مع العدد هدية
الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

منبر الإسلام

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

السنة ٦٦ العدد ٦ - جمادى الآخرة ١٤٢٨ هـ - يونية - يولية ٢٠٠٧م الثمن ١٠٠ قرش

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾

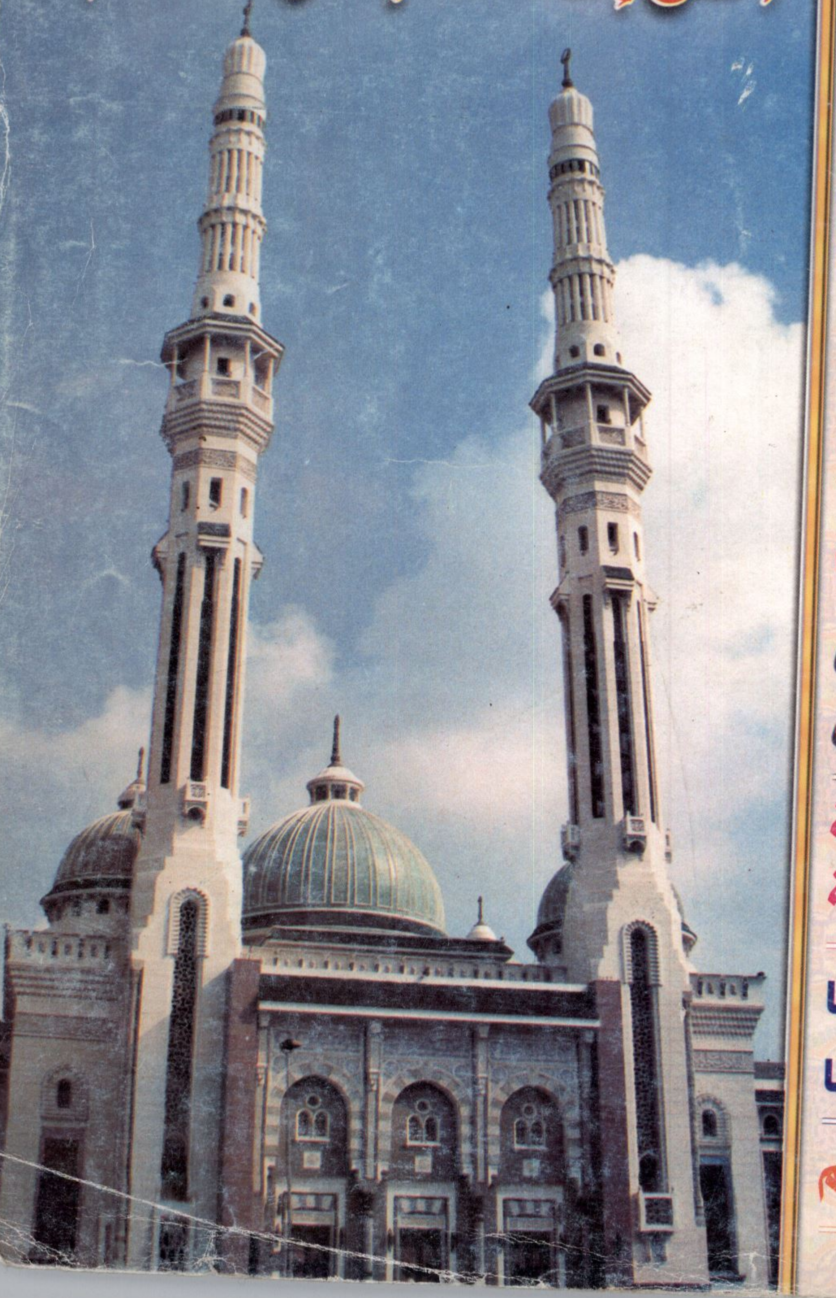

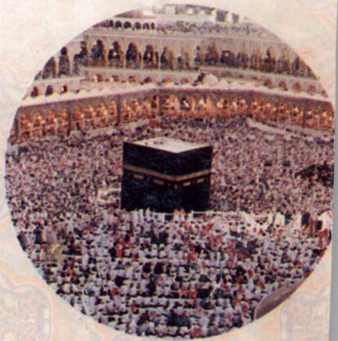

كة المكرمة عاصمة
ثقافة الإسلامية

عائم العلاقة الزوجية
ي الإسلام

حدة المسلمين
هداف ووسائل

بصمة الوراثية
الأدلة الشرعية

عنوسة أسبابها
وسائل القضاء عليها

إسلام والعلم

من محتويات العدد

- تفسير سورة «القيامة»
أ. د. محمد سيد طنطاوى
- من قصص السنة: مع نساء الرسول ﷺ
أ. د. أحمد عمر هاشم
- المخدرات.. حرب التدمير الشاملة
أ. د. عبدالرحمن عميرة
- الإسلام والفنون الجميلة
أ. د. محمد عمارة
- موقف الإسلام من مشاركة المرأة فى العمل العام
فضيلة الشيخ شوقي عبداللطيف
- ثقافة الوحدة والمسئولية المتبادلة
أ. د. أحمد عبدالرحيم السايح
- التسامح فى الإسلام
أ. د. محمد محمد أبو ليلة
- البر فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف
- الأوقاف والصيدلة
د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن

غلاف الفردوس
مجلة الطفل المسلم

هدية مجلة «منبر الإسلام»

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : صوفى أبو طالب

الدكتور : أحمد كمال أبو المجد

الدكتور : أحمد هيكل

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

على صفحات هذا العدد نعرض لقضايا مهمة لعل أبرزها ما صدر مؤخرا من فتاوى أساءت إلى الإسلام ونبيه ﷺ فكانت بمثابة الصدمة للمجتمع فى مصر وفى العالمين العربى والإسلامى لأنها صدرت فى مصر صاحبة الريادة فى العالم الإسلامى، ففى مقالة بعنوان: «قل إنما أنا بشر مثلكم» يؤكد الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - أن فتاوى إرضاع الكبير والتبرك ببول الرسول ﷺ قد أساءت أبلغ إساءة إلى الإسلام ونبيه ﷺ أكثر مما فعلته الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية لأن الإساءة هذه المرة صادرة من بعض علماء الإسلام الذين يعلنون الرأى الإسلامى للناس وليست من خصوم الإسلام.

ويشير د. زقزوق إلى أن الإسلام دين العقل والفطرة السليمة ولا يعقل أن تشتمل تعاليمه السامية على شىء يصادم العقل والفطرة والذوق العام.

كذلك نعرض لأهداف ووسائل وحدة الأمة الإسلامية كما وردت فى حديث الشهر للأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق الذى أكد أن العامل الدينى يعد من أهم وأقوى العوامل تأثيرا فى صنع الولاء والانتماء بين معتنقيه.

كما يقف معنا القارئ على الآثار المدمرة للمخدرات وكيف يتم استخدامها كحرب تدميرية للقضاء على نهضة الأمم. أما قضية البصمة الوراثية وأثرها على الأدلة الشرعية نتعرف على تفاصيلها على صفحات هذا العدد. بالإضافة إلى موقف الإسلام من مشاركة المرأة فى العمل العام، إلى جانب موضوعات التفسير فى القرآن الكريم وعلومه والأسرة فى التشريع الإسلامى والحضارة والعلوم والدعوة والموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

وحدة المسلمين: أهداف ووسائل

أ. د. عبدالصبور مرزوق

فى ظل ما نعيشه فى عالمنا المعاصر من متغيرات خطيرة وهائلة شملت كل جوانب الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفى مناخ غطرسة القوة، ومحاولة الغرب فرض هيمنته ونفوذه على العالم كله وعلى الشرق الإسلامى خاصة.

ثم: فى مناخ حالة التراجع للدور القيادى والعطاء الحضارى للإسلام.

يصبح من فرض العين أن تكون لنا نحن المسلمين وقفة نراجع فيها حال أمتنا بين ماكانت فيه وماهى عليه ونعيشه الآن وما ينبغى أن نكون عليه.

وحدة المعتقد

إذا كان علماء الاجتماع فى الغرب ينفون العامل الدينى من أن يكون عامل توحيد وإذا تواضعوا فى التعامل معه وضعوه فى ذيل قائمة العوامل الأخرى التى فى مقدمتها الجنس واللغة والثقافة.

أقول: إذا كان هؤلاء الغربيون يبعدون «الدين» عن التأثير فى بناء وحدة أتباعه فنحن المسلمين نعتصم بأثر الإسلام فى بناء وحدتنا انقياداً وإيمانا لما تحدّث به كتاب رسالتنا «القرآن الكريم» الذى قرر ذلك فى عقيدتنا مرتين فى قوله: **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** الأنبياء: آية ٩٢، **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** المؤمنون: آية ٥٢.

ثم فى أمره الصريح للأمة فى الاعتصام جميعا بحبل الله ونهيه إياهم عن التفرق والاختلاف: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا..﴾** آل عمران: آية ١٠٣، **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا..﴾** الأنفال: آية ٤٦.

ومعروف أن العامل الدينى - وهو ما تقرره الدراسات الاجتماعية من أهم وأقوى العوامل تأثيرا فى صنع الولاء والانتماء والتعاطف بين معتنقيه لأنه يذيب ويعلو على كل العوامل الأخرى من الجنس واللون أو اللغة أو العادات أو تمايز الطبقات أو تميزها.

وفى تاريخ دعوتنا الإسلامية سما وغلب تأثير العامل الدينى على كل العوامل الأخرى فى بناء مجتمع إسلامى بوجه كان فيه «سلمان الفارسى»، «وبلال الحبشى»، و«صهيب الرومى» كما كان فيه الأغنياء والفقراء والنبلاء والبسطاء، لا فضل فيهم لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى كما جاء فى الحديث النبوى الشريف.

***

فالإسلام - والإسلام وحده - هو العامل الأكبر والأعظم من عوامل توحيد أمتنا لأنه الجامع لكل من

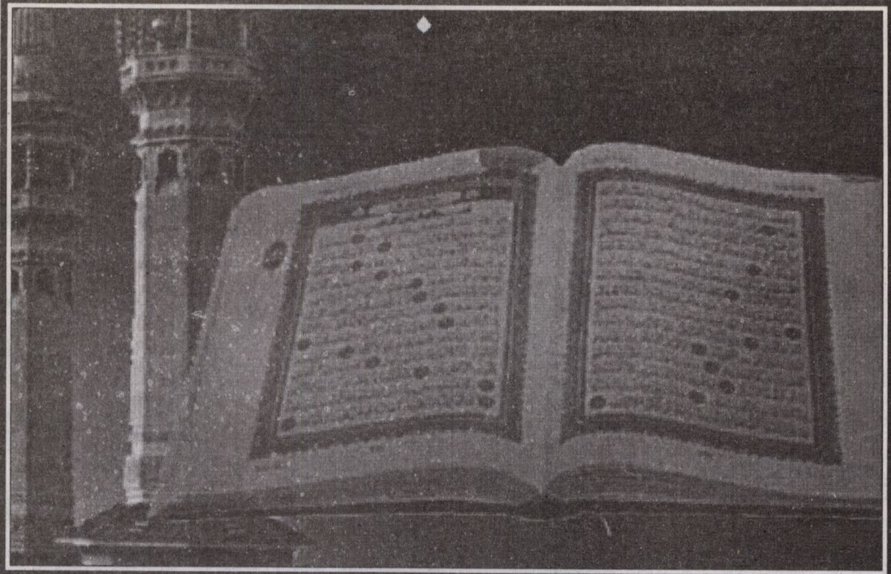

شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج بيت الله بغض النظر عن كل ما وراء ذلك من الاختلاف.

فإذا قيل: إن الخلاف المعروف بين المذاهب الفقهية - الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة - قد يفسر تأثير هذا العامل فى بناء وحدة الأمة أقول:

إن الاختلاف غير الخلاف فالأول هو من رحمة الله بعباده ينظر حديث «اختلاف أمتى رحمة» مظهر من مظاهر التيسير، ورفع الحرج عن المسلمين، والذى هو أحد قسمات الرسالة الخاتمة؛ فالاختلاف فى مقدار ما يمسح من الرأس أو مقدار المسافة المبيحة للقصر أو غيرها قسمة حضارية وتيسير فى رسالة الإسلام نفسه لا يمس جوهر العقيدة، وقد مارسه الرسول ﷺ فى قوله لمن سألوه عند مباشرتهم التصرفات المختلفة فى الحج.. فكان قوله لهم جميعا **«افعل ولا حرج.. الحج عرفة»** بمعنى أن هذه الاختلافات لا تفسد ولا تنفى سلامة الأصل - وهو فى موضوعنا بقاء صفة الإسلام للمسلم.

وإذا كان بعض قصار النظر وضعاف الفقه الصحيح للإسلام يكفرون بعض من يخالفونهم فى المذهب الفقهى فهؤلاء يظلمون كما يظلمون أنفسهم وأمتهم ويبقى وحدة المعتقد ويبقى الإسلام هو العامل الأكبر والأعظم من عوامل وحدة المسلمين.

***

وحدة التاريخ المشترك

والاشتراك فى التاريخ لا يراد به التعاصر الزمنى بين شعوب الأمة فى وقت بذاته فهذا أمر لا دلالة له بما لم يكن هذا التعاصر مصحوبا بأحداث أثرت فى الجميع وكان التعاصر فيها وعاء زمنيا لأحداث وآلام ومشكلات وقضايا.

وهذا ما نعنى به الاشتراك فى التاريخ..

والمتابعة الواقعية لأحداث التاريخ تؤكد أن كل ما وقع فى تاريخ المسلمين من هزائم أو انتصارات قد عاشه المسلمون معا وإن تباعدت بينهم الديار والأقطار، وأن كل حدث يقع يتردد

العامل الدينى من أهم وأقوى العوامل تأثيرا فى صنع الولاء والانتماء بين معتنقيه فلا تمييز معه بين الناس مع اختلاف أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم

صداه وتنعكس ردود أفعاله على الجميع أيا كان موقعهم.. بدءا من نصر «بدر» وهزيمة «أحد» فى عصر الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إلى معارك الشيشان مع الروس مرورا بحطين وعين جالوت ومواجهة التتار والصليبيين فى الحروب المعروفة وما صحب حركات الجهاد التى قام بها كثيرون من أمتنا فى المغرب العربى والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان والصومال والسنغال ومالى، وغيرها إضافة إلى حركات الإصلاح والمقاومة الدينية التى عبرت عنها حركة «الزوايا والربط» التى أقامها المسلمون عبر شمال افريقيا كله لتكوين الأجيال التى تملك القدرة ـ عند اللزوم ـ على مواجهة الاستعمار والغزو الثقافى معا.

يناظرها ما قام به نظراؤه فى مصر والشام (جمال الدين الأفغانى ـ محمد عبده ـ وغيرهما) من كبار العلماء فى الجزائر والمغرب وغيرها.

***

وهذا كله يؤكد وحدة التاريخ ووحدة الآلام والآمال التى عاشتها الأمة المسلمة عبر تاريخها الطويل بما يؤكد أن لهذا التاريخ آثاره التى يجب أخذها فى الاعتبار عند تقييم أوضاع الأمة ودراسة الإيجابى منها والسلبى من المواقف والتصرفات التى يستفاد بها فى التخطيط للمستقبل.

***

وحدة المستقبل والمصير

وبملاحظتنا للواقع المعاصر المشحون بكثير من التحفز للانقضاض على الإسلام والمسلمين.

ثم فى ظل ظروف التجزئة وتناقض الأهداف والوسائل من بعض دول الإسلام وبعضها.

ثم فى ظل المتغيرات التى أحدثتها العولمة ومحاولة القوة العظمى فى عالم اليوم بسط هيمنتها وسلطانها ونموذجها الثقافى والسلوكى والاجتماعى على العالم عامة وعالمنا الإسلامى بوصف خاص بما يؤدى آخر المطاف إلى إهدار هويتنا وتعريض مواريثنا الدينية والثقافية للمخاطر المدمرة.

أقول:

فى ظل هذه الأوضاع يصبح الحرص العظيم على توحيد تعاملنا مع المتغيرات المستجدة فرض عين على كل الأنظمة والشعوب الإسلامية، بل وعلى الأفراد المسلمين من ذوى الرأى والمشورة أو من نسميهم أهل الحل والعقد، فرض عين على الجميع أن يعملوا لتحقيق الأهداف التى توحد كلمتهم وتجعل لهم مكانا لائقا بحضارتهم فى عالم اليوم.

فهل يكون من المقبول أو المعقول شرعا وسياسة أن نسمح لأنفسنا بالتفريط ولو للحظة فى إعلان التفافنا حول شعار وحدة المسلمين لمواجهة هذه المخاطر الكبار؟!

القرآن الكريم وعلومه

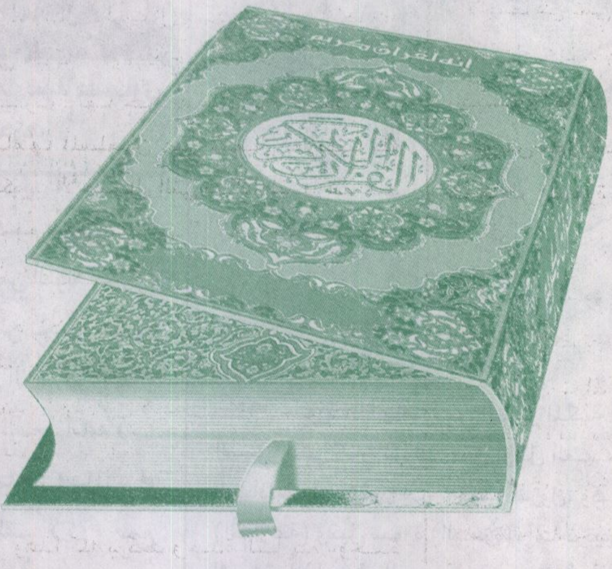

- تفسير سورة «القيامة»
- البر في القرآن الكريم والسنة النبوية

نظرات في كتاب الله تعالى

تفسير سورة «القيامة»

لفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ
(١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)
أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ
(٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ
(٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥)
يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ
الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لا وَزَرَ (١١)
إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ
الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ
الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ
أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ
(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) ﴾ القيامة: آية ١ - ١٩.

١ - **سورة «القيامة»** من السور المكية الخالصة، وتعتبر من السور التى كان نزولها فى أوائل العهد المكى، فهى السورة الحادية والثلاثون فى ترتيب النزول، وكان نزولها بعد سورة (القارعة) وقبل سورة (الهمزة). أما ترتيبها فى المصحف فهى السورة الخامسة والسبعون.

وعدد آياتها أربعون آية فى المصحف الكوفى، وتسع وثلاثون فى غيره.

٢ - والسورة الكريمة زاخرة بالحديث عن أهوال يوم القيامة، وعن أحوال الناس فيه: **﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة* ووجوه يومئذ باسرة* تظن أن يفعل بها فاقرة﴾**.

كما أنها تتحدث عن امكانية البعث، وعن حتمية وقوعه: **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى* ألم يك نطفة من منى يمنى* ثم كان علقة فخلق فسوى* فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى* أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى؟﴾**.

ولقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **أنه قال:** من سأل عن

يوم القيامة، أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعه، فليقرأ هذه السورة.

افتتح الله ـ تعالى ـ هذه السورة الكريمة بقوله ـ تعالى ـ: **﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾**.

وللعلماء فى مثل هذا التركيب أقوال منها: أن حرف «لا» هنا جىء به، لقصد المبالغة فى تأكيد القسم، كما فى قولهم: لا والله.

قال الألوسى: إدخال «لا» النافية صورة على فعل القسم، مستفيض فى كلامهم وأشعارهم.

ومنه قول امرئ القيس: لا وأبيك يابنة العامرى.. يعنى: وأبيك.

ثم قال: وملخص ما ذهب إليه جار الله فى ذلك، أن «لا» هذه، إذا وقعت فى خلال الكلام كقوله ـ تعالى ـ **﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾** فهى صلة تزاد لتأكيد القسم، مثلها فى قوله ـ تعالى ـ: **﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾** لتأكيد العلم(1)..

ومنها: أن «لا» هنا جىء بها لنفى ورد كلام المشركين المنكرين ليوم القيامة، فكأنه ـ تعالى ـ يقول: لا، ليس الأمر كما زعموا، ثم قال: أقسم بيوم القيامة الذى يبعث فيه الخلق للجزاء.

قال القرطبى: وذلك كقولهم: لا والله لا أفعل. فلا هنا رد لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوما أنكروها(2).

ومنها: أن «لا» فى هذا التركيب وأمثاله على حقيقتها للنفى، والمعنى لا أقسم بيوم القيامة ولا بغيره، على أن البعث حق، فإن المسألة أوضح من أن تحتاج إلى قسم.

وقد رجح بعض العلماء القول الأول فقال: وصيغة لا أقسم، صيغة قسم، أدخل حرف النفى على فعل «أقسم» لقصد المبالغة فى تحقيق حرمة المقسم به، بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به، ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به، أى: ولا أقسم بأعز منه عندى. وذلك كناية عن تأكيد القسم(3).

والمراد بالنفس اللوامة: النفس النقية المستقيمة التى تلوم ذاتها على ما فات منها، فهى ـ مهما أكثرت من فعل الخير ـ تتمنى أن لو ازدادت من ذلك، ومهما قللت من فعل الشر، تمنت ـ أيضا ـ أن لو ازدادت من هذا التقليل.

قال ابن كثير: عن الحسن البصرى فى هذه الآية: إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتى؟ وما أردت بأكلتى؟.. وإن الفاجر يمضى قدما ما يعاتب نفسه.

وفى رواية عن الحسن ـ أيضا ـ ليس أحد من أهل السماوات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة»(4).

وجواب القسم يفهم من قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾، والمراد بالإنسان: جنسه، أو المراد به الكافر المنكر للبعث. والاستفهام للتوبيخ والتقريع.

وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية أن بعض المشركين قالوا للنبى ﷺ: يا محمد حدثنى عن يوم القيامة، فأخبره ﷺ عنه فقال المشرك: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ـ يا محمد ـ أو يجمع الله العظام. فنزلت هذه الآية.

والمعنى: أقسم بيوم القيامة الذى لاشك فى وقوعه فى الوقت الذى نشاؤه، وأقسم بالنفس اللوامة التقية التى تلوم ذاتها على الخير، لماذا لم تستكثر منه. وعلى الشر لماذا فعلته، لنجمعن عظامكم ـ أيها الناس ـ ولنبعثكم للحساب والجزاء.

وافتتح ـ سبحانه ـ السورة الكريمة بهذا القسم، للإيذان بأن ما سيذكر بعده أمر مهم، من شأن النفوس الواعية أن تستشرف له، وأن تستجيب لما اشتمل عليه من هدايات وإرشادات.

ووصف ـ سبحانه ـ النفس باللوامة بصيغة المبالغة للإشعار بأنها كريمة مستقيمة تكثر من لوم ذاتها، وتحض صاحبها على المسارعة فى فعل الخيرات.

والعظام المراد بها الجسد، وعبر عنه بها، لأنه لا يقوم إلا بها، وللرد على المشركين الذين استبعدوا ذلك، وقالوا ـ كما حكى

القرآن عنهم ـ: ﴿من يحيى العظام وهى رميم﴾.

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ تأكيد لقدرته ـ تعالى ـ على إحياء الموتى بعد أن صاروا عظاما نخرة، وإبطال لنفيهم إحياء العظام وهى رميم.

و﴿قادرين﴾ حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى. وقوله: ﴿نسوى﴾ من التسوية، وهى تقويم الشىء وجعله متقنا مستويا، يقال: سوى فلان الشىء إذا جعله متساويا لا عوج فيه ولا اضطراب.

والبنان: جمع بنانة، وهى أصابع اليدين والرجلين، أو مفاصل تلك الأصابع وأطرافها.

أى: ليس الأمر كما زعم هؤلاء المشركون من أننا لا نعيد الإنسان إلى الحياة بعد موته للحساب والجزاء، بل الحق أننا سنجمعه وسنعيده إلى الحياة حالة كوننا قادرين قدرة تامة، على هذا الجمع لعظامه وجسده، وعلى جعل أصابعه وأطرافه وأنامله مستوية الخلق، متقنة الصنع، كما كانت قبل الموت.

وخصت البنان بالذكر، لأنها أصغر الأعضاء، وآخر ما يتم به الخلق، فإذا كان ـ سبحانه ـ قادرا على تسويتها مع لطافتها ودقتها، فهو على غيرها مما هو أكبر منها أشد قدرة.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ بيان لحال أخرى من أحوال فجور هؤلاء المشركين وطغيانهم، وانتقال من إنكار الحسبان إلى الإخبار عن حال هذا الإنسان.

والفجور: يطلق على القول البالغ النهاية فى السوء، وعلى الفعل القبيح المنكر، ويطلق على الكذب، ولذا وصفت اليمين الكاذبة، باليمين الفاجرة فيكون فجر بمعنى كذب، وزنا ومعنى.

ولفظ «الأمام» يطلق على المكان الذى يكون فى مواجهة الإنسان، والمراد به هنا: الزمان المستقبل وهو يوم القيامة، الذى دل عليه قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك: **﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾**.

أى: أن هذا الإنسان المنكر للبعث والحساب لا يريد أن يكف عن إنكاره وكفره، بل يريد أن يستمر على فجوره وتكذيبه لهذا اليوم بكل إصرار وجحود، فهو يسأل عنه سؤال استهزاء وتهكم فيقول: **﴿أيان يوم القيامة﴾** أى: متى يجىء يوم القيامة هذا الذى تتحدثون عنه ـ أيها المؤمنون ـ وتخشون ما فيه من حساب وجزاء؟

قال القرطبى: قوله ـ تعالى ـ: ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ قال ابن عباس: يعنى الكافر، يكذب بما أمامه من البعث والحساب.. ودليله **﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾**. أى: يسأل متى يكون؟ على وجه التكذيب والإنكار، فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب. ولكن يأثم لما بين يديه. ومما يدل أن الفجور: التكذيب، ما ذكره القتبى وغيره. من أن أعرابيا قصد عمر بن الخطاب، وشكى إليه نقب إبله ودبرها ـ أى: ـ مرضها وجربها ـ وسأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله. فقال الأعرابى:

أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر
فاغفر له اللهم إن كان فجر

يعنى إن كان كذبنى فيما ذكرت..(٥).

وأعيد لفظ الإنسان فى هذه الآيات أكثر من مرة، لأن المقام يقتضى توبيخه وتقريعه، وتسجيل الظلم والجحود عليه.

والضمير فى «أمامه» يجوز أن يعود إلى يوم القيامة. أى: بل يريد الإنسان ليكذب بيوم القيامة. الثابت الوقوع فى الوقت الذى يشاؤه الله ـ عز وجل ـ.

ويجوز أن يعود على الإنسان، فيكون المعنى: بل يريد الإنسان أن يستمر فى فجوره وتكذيبه بيوم القيامة فى الحال وفى المآل. أى: أن المراد بأمامه: مستقبل أيامه.

وجىء بلفظ **«أيَّان»** الدال على الاستفهام للزمان البعيد، للإشعار بشدة تكذيبهم، وإصرارهم على عدم وقوعه فى أى وقت من الأوقات.

ثم ساق ـ سبحانه ـ جانبا من

أهوال يوم القيامة، على سبيل التهديد والوعيد لهؤلاء المكذبين.

فقال: ﴿فإذا برق البصر* وخسف القمر* وجمع الشمس والقمر* يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾.

«وبرق» - بكسر الراء وفتحها - دهش وفزع وتحير ولمع من شدة شخوصه وخوفه.

يقال: برق بصر فلان - كفرح ونصر - إذا نظر إلى البرق فدهش وتحير.

والمراد بخسوف القمر: انطماس نوره، واختفاء ضوئه.

والمراد بجمع الشمس والقمر: اقترانهما ببعضهما بعد افتراقهما واختلال النظام المعهود للكون، اختلالا تتغير معه معالمه ونظمه.

وجواب ﴿إذا﴾ قوله: ﴿يقول الإنسان﴾. أى: فإذا برق بصر الإنسان وتحير من شدة الفزع والخوف، بعد أن رأى ما كان يكذب به فى الدنيا.

والتعريف فى البصر: للاستغراق، إذ أبصار الناس جميعا فى هذا اليوم، تكون فى حالة فزع، إلا أن هذا الفزع يتفاوت بينهم فى شدته.

﴿وخسف القمر﴾ أى: ذهب ضوؤه. وانطمس نوره.

﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أى: وقرن بينهما بعد أن كانا متفرقين. والتصقا بعد أن كانا متباعدين، وغاب ضوؤهما بعد أن كانا منيرين.

﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ أى: فإذا ما تم كل ذلك، يقول الإنسان فى هذا الوقت الذى يبرق فيه البصر، ويخسف فيه القمر، ويجمع فيه بين الشمس والقمر: أين المفر. أى: أين الفرار من قضاء الله - تعالى - ومن قدره وحسابه. فالمفر مصدر بمعنى الفرار. والاستفهام بمعنى التمنى أى: ليت لى مكانا أفر إليه مما أراه.

وقوله - سبحانه -: ﴿كلا لا وزر* إلى ربك يومئذ المستقر﴾ إبطال لهذا التمنى، ونفى لأن يكون لهذا الإنسان مهرب من الحساب.

والوزر: المراد به الملجأ والمكان الذى يحتمى به الشخص للتوقى مما يخافه، وأصله: الجبل المرتفع المنيع، من الوزر وهو الثقل.

أى: كلا لا وزر ولا ملجأ لك. أيها الإنسان - من المثول أمام ربك فى هذا اليوم للحساب والجزاء.

ومهما طال عمرك، وطال رقادك فى قبرك.. فإلى ربك وحده نهايتك ومستقرك ومصيرك، فى هذا اليوم الذى لا محيص لك عنه.

وقوله - سبحانه -: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ بيان لما يحدث له يوم القيامة، أى: يخبر الإنسان فى هذا اليوم بما قدم من أعمال حسنة. وبما أخر منها فلم يعملها، مع أنه كان فى إمكانه أن يعملها، والمقصود بالآية المجازاة على الأعمال لا مجرد الإخبار.

قال الإمام ابن كثير: قوله - تعالى -: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ أى: يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال - سبحانه -: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾(٦).

ثم أكد - سبحانه - هذا المعنى بقوله: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة* ولو ألقى معاذيره﴾.

والبصيرة هنا بمعنى الحجة الشاهدة عليه، وهى خبر عن المبتدأ وهو ﴿الإنسان﴾ والجار والمجرور متعلق بلفظ بصيرة والهاء فيها للمبالغة، مثل هاء علامة ونسابة.

أى: بل الإنسان حجة بينة على نفسه، وشاهدة بما كان منه من الأعمال السيئة، ولو أدلى بأية حجة يعتذر بها عن نفسه، لم ينفعه ذلك.

قال صاحب الكشاف: ﴿بصيرة﴾ أى: حجة بينة، وصفت بالبصارة على المجاز، كما وصفت الآيات بالإبصار فى قوله:

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾ أو: عين بصيرة، والمعنى أنه ينبأ بأعماله، وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء، لأنه شاهد عليها بما عملت، لأن جوارحه تنطق بذلك، كما قال - تعالى -: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أى: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها،

وعن الضحاك: ولو أرخى ستوره، وقال: المعاذير: الستور، وأحدها معذار، فإن صح فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب.

فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليس بجمع معذرة، إنما هو اسم جمع لها. ونحوه: المناكير فى المنكر(٧).

فالمقصود بهاتين الآيتين: بيان أن الإنسان لن يستطيع أن يهرب من نتائج عمله مهما حاول ذلك، لأن جوارحه شاهدة عليه، ولأن أعذاره لن تكون مقبولة، لأنها جاءت فى غير وقتها، كما قال - تعالى -: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.

ثم أرشد الله - تعالى - نبيه ﷺ إلى ما يجب عليه عند تبليغ القرآن إليه عن طريق الوحى. فقال - سبحانه -: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به* إن علينا جمعه وقرآنه* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه* ثم إن علينا بيانه﴾.

والضمير فى ﴿به﴾ يعود إلى القرآن الكريم المفهوم من المقام. والمراد بقوله ﴿لا تحرك﴾ نهيه ﷺ عن التعجل فى القراءة.

والمقصود بقوله: قرآنه، قراءته عليك، وتثبيته على لسانك وفى قلبك بحيث تقرؤه متى شئت فهو مصدر مضاف لمفعوله.

قال الآلوسى: قوله ﴿وقرآنه﴾ أى: إثبات قراءته فى لسانك، فالقرآن هنا، وكذا فيما بعده، مصدر كالرجحان بمعنى القراءة.. مضاف إلى المفعول وقيل: قرآنه، أى: تأليفه على لسانك..(٨).

أى: لا تتعجل - أيها الرسول الكريم - بقراءة القرآن الكريم عندما تسمعه من أمين وحينا جبريل عليه السلام، بل تريث وتمهل حتى ينتهى من قراءته ثم اقرأ من بعده، فإننا قد تكفلنا بجمعه فى صدرك وبقراءته عليك عن طريق وحينا، ومادام الأمر كذلك، فمتى قرأ عليك جبريل القرآن فاتبع قراءته ولا تسبقه بها، ثم إن علينا بعد ذلك بيان ما خفى عليك منه، وتوضيح ما أشكل عليك من معانيه.

قال الإمام ابن كثير ما ملخصه:
هذا تعليم من الله - تعالى - لنبيه ﷺ فى كيفية تلقيه الوحى من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك فى قراءته.

روى الشيخان وغيرهما عن ابن عباس قال كان النبى ﷺ يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك شفتيه - يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه شىء، أو من شدة رغبته فى حفظه - فأنزل الله - تعالى - هذه الآيات(٩).

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد ضمن لنبيه ﷺ أن يجمع له القرآن فى صدره وأن يجريه على لسانه، بدون أى تحريف أو تبديل، وأن يوضح له ما خفى عليه منه.

قالوا: فكان رسول الله ﷺ إذا ما نزل عليه الوحى بعد ذلك بالقرآن، أطرق وأنصت، وشبيه بهذه الآيات قوله - سبحانه -: ﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما﴾ طه: آية ١١٤.

الهوامش:

١ - راجع تفسير الآلوسى جـ٢٩ ص١٣٥.
٢ - راجع تفسير القرطبى جـ١٩ ص٩٢.
٣ - تفسير التحرير والتنوير جـ٢٩ ص٣٣٨ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
٤ - تفسير ابن كثير جـ٨ ص٣٠٠.
٥ - تفسير القرطبى جـ٢٩ ص٩٤.
٦ - تفسير ابن كثير جـ٨ ص٣٠٢.
٧ - تفسير الكشاف جـ٤ ص٦٦١.
٨ - تفسير الآلوسى جـ١٩ ص١٤٢.
٩ - راجع تفسير ابن كثير جـ٨ ص٣٠٤.

البــــر
فى القرآن الكريم والسنة النبوية (٢)

فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف

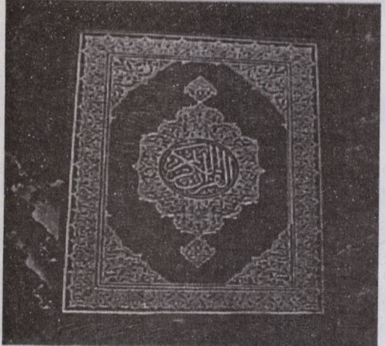

لا نزال مع القرآن الكريم نهتدى بهديه، ويرشدنا إلى الرشاد، ويقودنا إلى الفلاح، ويوجهنا إلى طريق الخير الذى يوصلنا إلى سعادة الدارين، وتبيّن لنا آياته المحكمات أن البر فى الإسلام يأتى بمعان متنوعة منها:

أنه يأتى بمعنى الطاعة وفعل الخيرات على وجه العموم: يقول الله - جل وعلا: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ سورة البقرة آية ١٨٩،

التعاون على الخيرات يؤدى إلى السعادة والتعاون على ما يغضب الله يؤدى إلى الشقاء

أى ليس من البر ما كنتم تفعلونه فى الجاهلية من دخولكم البيوت من ظهورها عند إحرامكم، أو عند عودتكم من حجكم، ولكن البر الحق الجامع لخصال الخير يكون فى تقوى الله، بأن تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وأن تخشوه فى جميع أقوالكم وأفعالكم... وإذا فعلتم ذلك فعليكم أن تأتوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم أو عند رجوعكم من حجكم، وعليكم أن تباشروا الأمور من وجوهها الصحيحة التى يجب أن تباشروها على هذا الوجه الصحيح، ولاتعكسوا، وعليكم القيام بتنفيذ جميع الواجبات المطلوبة منكم، واجتناب البدع والمنكرات لتكونوا من المفلحين الفائزين بالحياة المطمئنة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تُوشكِ القُرى أن تُخرب وهى عامرة، قيل: وكيف تخرب وهى عامرة؟ قال: إذا علا فُجَّارُها أبرارَها وساد القبيلة منافقوها.

ويقول الله - عز وجل: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فإن الله به عليم﴾** سورة آل عمران آية ٩٢، أى: لن تنالوا حقيقة البر وفضله وجزاءه، ولن تجنوا ثمرته وتبلغوا ثوابه الجزيل الذى يوصلكم إلى رضاء الله، وإلى جنته التى أعدها لعباده الطائعين الصالحين، إلا إذا بذلتم مما تحبونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها مما تشتهونه فى سبيل الله، وما تنفقوا من شىء ولو قدرا قليلا فإن الله به عليم وسيجازيكم عليه

بأكثر وأفضل مما أنفقتم وبذلتم وأعطيتم.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّب، قال أنس: فلما أُنْزِلت هذه الآية: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون...﴾** قام أبوطلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله - تبارك وتعالى - يقول: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾** وإنّ أحبَّ أموالى إلىّ بَيْرُحاء، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخْرَها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«بَخٍ، ذلك مال رابح، وقد سمِعْتُ ما قلْتَ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين»** فقال أبو طلحة: أَفعَلُ يا رسول الله، فقسَمَها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه(1).

وعن الحسن: كل شىء أنفقه المسلم من ماله يبتغى به وجه الله - تعالى - ويطلب ثوابه حتى التمرة يدخل فى هذه الآية.

وقال الحسن البصرى: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون.

وقال الشاعر:

إن المكارم أخلاق مطهّرة

فالعقل أولها، والدين ثانيها

والعلم ثالثها، والحلم رابعها

والجود خامسها، والعُرف ساديها

والصبر سابعها، والبرُّ ثامنها

والشكر تاسعها، واللين عاشيها

والنفس تعلم أنى لا أصدّقها

ولست أرْشُدُ إلا حين أعْصيها

ويقول الله - جل شأنه -: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾** سورة المائدة آية ٢، نداء من الله - عز وجل - إلى المؤمنين بأن يلتزموا أوامر الله وطاعته قولا وفعلا أو نهيا وتركا فينهى المؤمنين عن الاعتداء على حدود الله التى حدّها، وعلى فرائضه التى فرضها، وعلى أحكامه التى أوجبها على عباده، وعن بدء القتال فى الشهر الحرام «والمراد به الجنس فيدخل فيه جميع الأشهر الحرم» وعن الاعتداء على ذوات القلائد من الهدى الذى يهدى إلى البيت الحرام، كما ينهى المؤمنين عن إلحاق أى أذى بالقاصدين زيارة البيت الحرام بأن يصدوهم عن دخوله حال كونهم متوجهين يطلبون من ربهم ثوابا ورضوانا لتعبدهم فى بيته الحرام، فلا يجوز لأحد أن يمنع المسلمين من الحج أو الزيارة بسبب نزاع أو خصام أو بغض أو عداوة، لأن بيت الله - تعالى - مفتوح للجميع.

وهذا الرأى فى تفسير الآية هو الأولى،

البر إحدى الصفات التى لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها وهو أعلى درجات الصدق ويكون مسماه إذا أطلق مسمى الإيمان

قال الفخر الرازى - رحمه الله: أمرنا الله فى هذه الآية ألا نخيف من يقصد بيته من المسلمين، وحرّم علينا أخذ الهدى من المهدين إذا كانوا مسلمين، والدليل عليه أول الآية وآخرها، أما أول الآية فهو: **«لا تحلوا شعائر الله»** وشعائر الله إنما تليق بنسك المسلمين وطاعتهم لا بنسك الكفار، وأما آخر الآية فهو قوله: **﴿يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا﴾** وهذا إنما يليق بالمسلم لا بالكافر.

ثم أباح - سبحانه - للمسلمين «بعد هذا النهى» الصيد بعد الانتهاء من إحرامهم، أى: وإذا خرجتم من إحرامكم أبيح لكم الصيد، وأبيح لكم أيضا كل ما كان مباحا لكم قبل الإحرام، والأمر فى قوله - تعالى - **﴿فاصطادوا﴾** للإباحة وليس للوجوب.

ثم أمر الله - تعالى - عباده بالتعاون على فعل كل ما هو خير وبر وطاعة لله، وعلى ترك كل الآثام والمنكرات والاعتداء على حدوده، فإن التعاون على الطاعات والخيرات يؤدى إلى السعادة، أما التعاون على ما يغضب الله فيؤدى إلى الشقاء، فأمَر الله بالتعاون على البر، وقَرَنه بالتقوى له، لأن فى التقوى رضا الله، وفى البر رضا الناس، ومَنْ جَمَع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

فى التقوى رضا الله وفى البر رضا الناس ومن جمع بين رضا الله ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته

ثم أنذر الله جلت قدرته وعظمت، وحذر الذين يتعاونون على الإثم والعدوان بأنه - سبحانه - شديد العقاب لمن خالف أمره، وانحرف عن طريقه القويم.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشى بطريق اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثلُ الذى كان بلغ بى، فنزل البئر فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»** قالوا: يا رسول الله، وإن لنا فى البهائم أجرا؟ فقال: **«فى كل ذات كبد رطبة أجر[٢]»**.

وعنه رضي الله عنه قال: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله» وأحسبه أنه قال: **«وكالقائم لا يَفْتُر وكالصائم لا يُفطر»[٣]**.

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[٤]**.

والبر إحدى الصفات التى لا تكتمل مكارم الأخلاق إلا بها، وهو أعلى درجات الصدق، وقد يكون مُسَمَّاه إذا أطلق هو مُسَمّى الإيمان، جاء رجل إلى أبى ذر رضي الله عنه فسأله عن الإيمان فقرأ: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** سورة البقرة آية ١٧٧، قال الرجل: ليس عن البرّ

سألتُك، فقال أبو ذر : جاء رجل إلى النبى ﷺ فسأله عن الذى سألتنى عنه، فقرأ الذى قرأتُ عليك، فقال له الذى قلتَ لى، فلما أبى أن يرضى قال له: **«إن المؤمن الذى إذا عمل الحسنة سرَّته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها»**.

والرسول عليه الصلاة والسلام يُشير فى هذا الحديث إلى ما يسبّبه فعل الحسنة أو الخير من إحساس نفسىّ بالسعادة، وما يعقبه من راحة قلبية غامرة، الأمر الذى يعكس بدوره فاعلية الإيمان - وكذلك البر الذى بمعناه - فى تنمية قوة الشعور بالالتزام الخُلقى تجاه عمل الخير، كما تُرى أبعادُ هذا الشعور لدى النفس المؤمنة، حتى إذا ما عمل هذا المؤمن عملا خُلقيا فاضلاً، ظهرت عليه الآثار النفسية الناتجة عن إنجاز ذلك العمل من سرور وسكينة، والأمر بالعكس بالنسبة لفعل السيئة أو الشر، لأن الأصداء النفسية التى يسببها تراضى قبضة الالتزام الخُلُقى، أو التهاون فيه، تظهر سماتها فى مظاهر الحزن والهم والقلق التى تبدو لدى المؤمن.

والبر نوعان : صلة ومعروف:

فأما الصلة: فهى التبرع ببذل المال فى الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب. وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع منه شحُّها وإباؤها، قال الله تعالى : **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** سورة الحشر آية ٩.

وأما النوع الثانى من البر فهو : المعروف: ويتنوع إلى نوعين: قولا وعملا :

فأما القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حُسنِ الخلق، ورقة الطبع، ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء، فإنه إن أسرف فيه كان مَلَقا مذموما، وإن توسَّط واقتصد فيه كان معروفا وبرا محمودا.

وأما العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمعونة فى النائبة، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم..

وليس فى هذه الأمور سرف، ولا لغايتها حدّ، بخلاف النوع الأول، لأنها وإن كثرت فهى أفعال خير تعود بنفعين : نفع على فاعلها فى اكتساب الأجر وجميل الذكر، ونفع على المُعان بها فى التخفيف عنه والمساعدة له.

قال الماوردى - رحمه الله - إن البر من أسباب الألفة، لأنه يُوصل إلى القلوب ألطافا يُكبّتها محبة وانعطافا، ولذلك ندب الله - تعالى - إلى التعاون به، وقَرَنه بالتقوى له، فقال - سبحانه: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾** سورة المائدة آية ٢، لأن له فى التقوى رضا الله - تعالى -، وفى البر رضا الناس، ومَنْ جَمَع بين رضا الله - تعالى - ورضا الناس، فقد تمت سعادته وعمت نعمته..

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»**(٥).

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : **«كل معروف صدقة»**(٦).

الهوامش:

١ - البخارى - الفتح ٣ «١٤٦١» ومسلم «٩٩٨».
٢ - البخارى - الفتح ١٠ «٦٠٠٩» ومسلم «٢٢٤٤».
٣ - البخارى - الفتح ١٠ «٦٠٠٧» ومسلم «٢٩٨٢».
٤ - مسلم «٢٦٢٦».
٥ - البخارى - الفتح ٣ «١٤٦٦» ومسلم «١٠٠٠».
٦ - البخارى - الفتح ١٠ «٦٠٢١».

قال تبارك وتعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ صدق الله العظيم

الإسْراف فى الإنْفاق

شعر / عمر موسى موسى البرعى

يا مدمن الإسراف عش متعقلا ** إنى أخاف عليك من إملاق
أنفق ولا تسرف بكل تعقل ** حتى تعيش محرر الأعناق
فالمسرفون تجردوا من حكمة ** وقد اغتدوا فى عزة وشقاق
مردوا على الإسراف فى أموالهم ** والغم يأتيهم من الأعماق
والدهر يصفعهم ويقلق بالهم ** لا شىء يسعفهم على الإطلاق
فتجنب الإسراف تغنم رحمة ** وتفز بعفو الرازق الخلاق
واعمل حساب غد فلست بضامن ** ما فى غد من شدة الإطباق
لا تأمنن الدهر واحذر غدره ** والزم حدود العدل فى الإنفاق
فالفقر غم فى الحقيقة مهلك ** والنفس تمسى منه فى إشفاق
لا تحرمن البيت من خير له ** فيه الأمان خلا من الإقلاق
فالمال ينفع فى الشدائد كلها ** وبه يفك المرء كل وثاق
وبه تجهز ما تريد وتشترى ** وبه تعيش مكرم الأخلاق
فإذا مرضت فسوف تلقى مخرجا ** تنجو به من شدة الإرهاق
فالادخار فضيلة محمودة ** تسمو بصاحبها على الأعناق
حتى تحقق فى الحياة كرامة ** تنجيك من ذل ومن إخفاق
فاغنم نصيبك فى الحياة وعش به ** فالمال درع فى الشدائد واق
واطلب عطاء الله واستمسك به ** فهو الحكيم مقسم الأرزاق

قل إنما أنا بشر مثلكم

أ. د. محمود حمدى زقزوق

منذ أكثر من قرن من الزمان حذر الشيخ/ محمد عبده من المصادر السيئة للتثقيف التى تؤذى العقول بما تنقله من جراثيم فكرية وأوبئة ثقافية تهدم العقول وتقضى على صحة الفكر والثقافة. ومن الأمثلة على ذلك ـ كما يقول الشيخ ـ كتب الأكاذيب الصرفة وكتب الخرافات وأمثالها من كتب تخدر العقل وتشل فاعليته.

وقد خاض العديد من المصلحين وقادة التنوير فى بلادنا فى الماضى والحاضر معارك كثيرة من أجل تنوير العقول وتثقيف الأذهان، حتى تنهض الأمة وتتفرغ للبناء والتعمير، وتخطو خطوات ملموسة فى مجال التقدم والرقى، وتسابق الآخرين فى التجديد المتواصل للمجتمع والنهوض بالمواطنين.

أدرك الثقات من علماء المسلمين ماتحتويه كتب التراث من غث وسمين فأعملوا عقولهم فيما ينقل عن الأسلاف

ولكن الطريق لم يكن دائماً معبّداً أو مفروشاً بالورود والرياحين. فبين الحين والآخر كانت تظهر فى الطريق بعض الأشواك التى تعطل مسيرة التقدم وتشد المواطنين إلى التخلف وتنشر بينهم ظلام الجهل بدلاً من نور العلم.

وفى الأسابيع الأخيرة صدم المجتمع فى مصر وفى العالمين العربى والإسلامى بما صدر فى مصر ـ صاحبة الريادة فى العالم الإسلامى ـ من فتاوى وآراء دينية تعد كارثية بكل المقاييس. فمن إرضاع الكبير إلى التبرك بشرب بول النبى الكريم والتبرك بنخامته وغير ذلك من فتاوى وآراء طيرتها وكالات الأنباء العالمية ونشرتها صحف مختلفة فى أوروبا وأمريكا. وقد تلقيت العديد من المكالمات الهاتفية من بلاد عديدة مستنكرة ومندهشة أن تصدر مثل هذه الفتاوى والآراء من مصر بلد الأزهر الشريف ومن بعض أبناء الأزهر.

وقد أساءت هذه الفتاوى المأساوية أبلغ إساءة إلى الإسلام ونبيه أكثر مما فعلته الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية، لأن الإساءة هذه المرة صادرة من بعض علماء الإسلام الذين يعلنون الرأى الإسلامى للناس، وليست من خصوم الإسلام. والإساءة من الصديق أشد وأنكى من الإساءة من العدو، كما يقول فى ذلك «طرفة بن العبد» أيضاً:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

وقد تكون مثل هذه الفتاوى والآراء موجودة فى بعض الكتب القديمة، لكن هذا لا يعطيها أى مصداقية ولا يجوز أن تكون القاعدة فى ذلك هى معرفة الحق بالرجال مهما طار صيتهم وانتشر بريقهم فى وقت من

فتاوى إرضاع الكبير والتبرك بشرب بول الرسول ﷺ أساءت إلى الإسلام ونبيه أكثر مما فعلته الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية

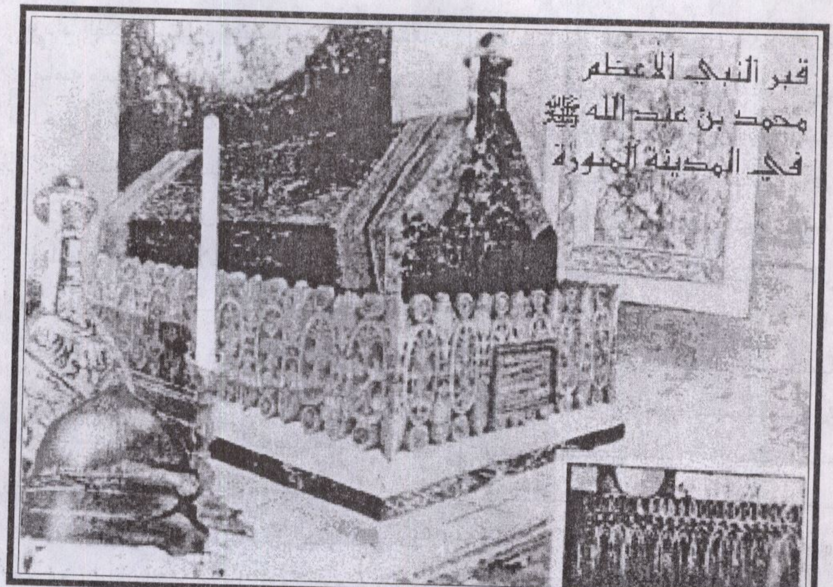

الأوقات. فالمعيار الذى يجب أن يحتكم إليه فى مثل هذه الأمور هو العقل الإنسانى والفطرة الإنسانية الصافية والذوق العام السليم.

والإسلام - كما هو معروف - دين العقل والفطرة السليمة. ولا يعقل أن تشتمل تعاليمه السامية على شىء يصادم العقل والفطرة والذوق العام. وكتب التراث فيها الغث وفيها السمين، فيها المقبول وفيها المرفوض. وليس من مصلحة الإسلام والمسلمين أن نعيد نشر ما تشتمل عليه من غثاء.

وقد أدرك ذلك الثقات من علماء المسلمين على مدار التاريخ الإسلامى، وكانوا يعملون عقولهم فيما ينقل عن الأسلاف، ولا يأخذون أى شىء على علاته إلا بعد فحصه واختبار مدى صحته واتفاقه مع العقل والمنطق، ووضعوا فى ذلك القواعد التى على أساسها يقبلون ما يقبلون ويرفضون ما يرفضون، حتى إذا كان الأمر يتعلق بنص دينى يوحى ظاهره بمخالفة العقل فإنه لا يجوز قبول هذا الظاهر وإنما يجب تأويله حتى يتفق مع العقل. وفى ذلك يقول الإمام الغزالى «فإن لنا معياراً فى التأويل وهو أن مادل نظر العقل ودليله على بطلان ظاهره علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك» وفى السياق ذاته يقول الشيخ محمد عبده: «اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل». وهذا ما كان يفعله أيضاً كبار علمائنا ومفكرينا على مدار التاريخ.

والمفروض أنه كلما تقدم بنا الزمن

لا يجوز إخراج الرسول ﷺ من نطاق البشرية فسريان قوانينها عليه لا ينقص من قدره شيئا

ازداد الفكر استنارة وفهماً وفقهاً، واتسعت أمامه مساحة العلم النافع وتقلصت مساحة الجهل والجمود والانغلاق. والمفروض أيضاً أنه يجب على المتحدثين منا باسم الدين أن يدركوا أننا نعيش اليوم فى عصر ثورة المعلومات والاتصالات والطفرة التكنولوجية، وأن الدنيا قد تغيرت وأن الأحوال قد تبدلت، وأنه لم يعد مقبولاً ولا معقولاً حشو أذهان جماهير المسلمين بالغثاء من القول، والسقيم من الفكر، والباطل من الأقاويل التى ما أنزل الله بها من سلطان.

إن فتوى إرضاع الكبير - كما شرحها صاحبها بالتفصيل الممل - هى دعوة مفتوحة لنشر الإباحية فى المجتمع، وهدم للقيم المتعارف عليها بين الناس. ولا أعتقد أن من يقول بهذه الفتوى يقبل تطبيقها على إحدى قريباته مع زميل لها فى العمل. والحديث على النحو الذى بنيت عليه هذه الفتوى لا يجوز العمل به على الإطلاق، وذلك لمخالفته الصريحة للعقل والمنطق ولتعاليم الإسلام وقيمه. أما ما نشر فى ذات التوقيت من تبرك بشرب بول الرسول ﷺ ومسح الوجوه بنخامته فإن فى ذلك إساءة بالغة للنبى عليه الصلاة والسلام.

إنه لاجدال فى أن النبى ﷺ يعد مثلاً أعلى فى أخلاقه وسلوكه فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه - كما جاء فى حديثه هو عن نفسه - ومن هنا جعله الله أسوة حسنة للمسلمين جميعاً فى قوله تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾** الأحزاب: آية ٢١، ولا جدال أيضاً فى أنه قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة على أكمل وجه.

فهو الإنسان الكامل وهو المثل الأعلى وهو القمة التى لا يرقى إليها البشر. أو كما يقول الإمام البوصيرى فى مدحه: **«يا سماء ما طاولتها سماء»**.

لكن الله أراد له أن يكون - على الرغم من ذلك كله - إنسانا، وأن يظل بشراً يعيش بين الناس، يأكل كما يأكل الناس، ويشرب كما يشربون، ويتزوج وينجب البنين والبنات، وتلك هى سنته - عليه الصلاة والسلام - وكما يقول هو فى ذلك: **«فمن رغب عن سنتى فليس منى»**.

وقد ظل الرسول بشراً منذ مولده حتى وفاته - عليه الصلاة والسلام - تجرى عليه قوانين البشر. ولا يجوز إخراجه من نطاق البشرية إلى نطاق آخر. فهذا لم يرده الله سبحانه فى القرآن الكريم، ولم يرد عن الرسول نفسه شىء من ذلك.

ونحن نسىء إلى هذه الشخصية العظيمة أبلغ إساءة إذا أردنا إخراجه عن طور البشرية ونسبنا إليه أن إفرازاته الجسمية لا تسرى عليها القوانين التى تسرى على جميع البشر، وأنه يجوز التبرك بها وتعاطيها إلى درجة تصل إلى حد شرب بوله ومسح الوجوه بنخامته وما شاكل ذلك من أخبار مسيئة إلى شخص النبى - عليه الصلاة والسلام - وإلى الإسلام نفسه. ومثل

هذه الأخبار لايمكن قبولها لا عقلاً ولا شرعاً، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون أخباراً صحيحة حتى وإن تناقلتها الكتب ورواها الراوون، وذلك لسبب بسيط وهو أن العقل يرفضها والنفوس تعافها والذوق العام السليم والفطرة الإنسانية الصافية لا تقبلها بأى حال من الأحوال.

وتأكيد القرآن الكريم على أنه - عليه الصلاة والسلام - بشر مثلنا فى قوله تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد﴾** الكهف: آية ١١٠، فيه أبلغ رد على محاولات إخراجه من إطار الطبيعة البشرية. والآية نفسها حين تؤكد ذلك تنبه إلى ما يمتاز به النبى ﷺ عن غيره من البشر، وتلك الميزة هى أنه الوحيد الذى يوحى إليه. والإمام الرازى يقول فى تفسير هذه الآية: **«أى لا امتياز بينى وبينكم فى شىء من الصفات إلا أن الله تعالى أوحى إلىَّ أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد»**.

لقد أراد الله له - كما أراد لكل الأنبياء - أن يكونوا بشراً تجرى عليهم كل قوانين البشر. وقد اعتاد الناس فى كل الأزمان أن يضيفوا إلى الشخصيات العظيمة من القدرات والصفات ما يخرجهم عن طور البشرية. وهذا تزيّد من البشر انطلاقاً من شدة حبهم لهذه الشخصية أو تلك. فيسبح الخيال بهم كل مذهب، وهذا أمر لم يرده الله تعالى لنبيه. ومن هنا كان هذا التأكيد فى قوله تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾** ولم يكتف بالقول: **﴿قل إنما أنا بشر﴾** وإنما جاء الحرص فى النص على المثلية **﴿مثلكم﴾**، يجوز عليه كبشر ما يجوز عليكم من صفات البشرية ولوازمها.

إننا ننزه رسولنا الكريم الذى نحبه ونجله ونقدره ونضعه - كما وضعه ربه - فى أرقى مكان - ننزهه عن إخراجه من طور البشرية، فسريان القوانين البشرية عليه لا ينقص من قدره شيئاً، فعلى الرغم من سريان كل هذه القوانين عليه فإنه لم يكن يوماً أسيراً لشهوة أو عبداً لمتعة دنيوية، وإنما سما وارتفع فوق كل الشبهات والشهوات برغم ما يشده إلى الأرض - كغيره من الناس - من رغبات.

والسؤال الذى ينبغى أن يطرح فى هذا **الصدد هو:** ما الفائدة التى تعود على الإسلام والمسلمين من إثارة هذه الفتاوى؟ هل تساعد فى تصحيح الصورة المشوهة عن الإسلام فى الإعلام الدولى؟ وهل انتهت كل مشكلات المسلمين ولم يعد أمامنا إلا البحث فى الكتب القديمة لاستخراج كل ما هو غريب ومستنكر من الآراء؟

إننا نظلم الإسلام ظلماً بيناً ونفترى على رسوله الكريم بهذا الغثاء الذى ينشر على الناس باسم الدين، والدين من كل ذلك برىء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإسلام دين العقل والفطرة السليمة ولا يُعقل أن تشتمل تعاليمه السامية على شىء يصادم العقل والذوق العام

صفحة من التاريخ المصرى

فى مسجد ابن طولون.. جلسة علمية شائقة

د. محمد رجب البيومى

جلس أبو محمد عبد الله بن محمد البلوىّ فى مسجد أحمد بن طولون منفردا حزينا كمن نزل به همّ لا يطيق دفعه، ورآه أحد تلاميذه الأوفياء على مثل ماهو فيه من الوجد، فتقدم إليه متسائلا عما نزل به، إذ عهده بأستاذه أن يكون مستبشر الوجه، ضاحك العينين، فقال البلوىّ فى حزن: لقد منعت اليوم من التدريس لكم فى هذا المسجد، إذ جاءنى من يقول إننى أشرح فى درس العقيدة كلام الخوارج والشيعة والمعتزلة ولابد أن يكون الدرس الدينى منسجما مع ما يراه علماء مصر من أتباع مذهب السنة، وقد أقرّ القاضى ما أراده فما علىّ إلا أن أنسحب من مجلس شرفنى الله به، وذلك كثير.

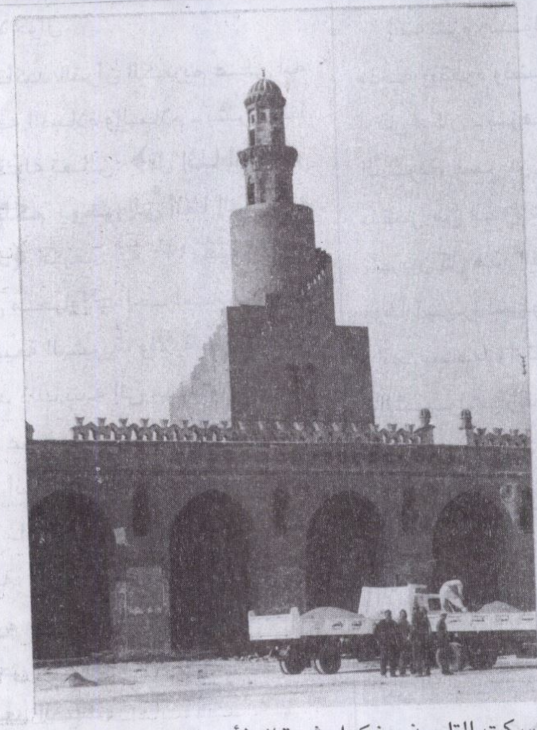

فسكت التلميذ مفكرا، ثم قال لأستاذه، دع درس العقيدة يا سيدى، واتجه إلى سواه، لا أقول إلى دروس التفسير والحديث والفقه فقد تفضى إلى مثل ما يعترض عليه، ولكن إلى درس التاريخ وأنت عالم بأحوال الدول وسير الرؤساء والملوك، وابتعد عن الفترة التى جد فيها الخلاف بين الشيعة والأموية وستجد المجال رحبا فسيحا.

فانطلق وجه البلوى، وقال لتلميذه، شكر الله لك ما اقترحت، وأذكر أنى منذ سنوات أفكر فى صاحب هذا المسجد الذى جعله

مناظرا لمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، وأتمنى أن أعيد سيرته بعد سبعين عاما من وفاته، وقد انقضت الطولونية، وجاءت الإخشيدية، فلن أرمى بالتزلف والرياء لأن هواى مع الرجل.

قال التلميذ، وزملائى يعرفون عن أحمد بن طولون الشىء الكثير، وسيغتبطون بما ستقول، فردّ البلوى: أقترح أن يكتب كل تلميذ نبذة بما يعرف، فيكون الدرس لأول مرة مشتركا بين الأستاذ والتلاميذ، على أن أفتتح القول ببعض ما أعلم، وأوالى قراءة ما تكتبون معقبا عليه إن وجد موضع للتعقيب، وعليك أن تذهب إلى إخوانك فتحدثهم عن اقتراحك على أن نبدأ الدرس بعد خمسة أيام عقب صلاة الجمعة، فتغمرنا روح العبادة من صلاة وخطبة ودعاء، وبالله التوفيق.

حان الموعد المرتقب، وكان الطلاب على شوق لمجلس الأستاذ، بعد أن يئسوا من معاودته حين أتاهم ما أمر به من عدم الخوض فى العقائد والاتجاهات! وقد تحلقوا حول البلوى ليبدأ حديثه شاكرا لهم إسهامهم فى هذا الدرس الجديد، وقد رأى أن يتحفهم بحادثتين تتعلقان بابن طولون، إحداهما فى مبدأ حياته السياسية، والأخرى فى ختام عمره حين أدركه المغيب، وفيما بين البدء والخاتمة متسع فسيح لقراءة ما أعد التلاميذ.

أما الطرفة الأولى فموقف أحمد حين كان بواسط واليا عليها، إذ خلع الخليفة المستعين بالله، وخلفه المعتز بالله، وكان من التقليد الشنيع لدى حاشية الخلافة، أن يقضى على المخلوع كيلا تنازعه نفسه الثورة على الخليفة القائم فيجمع الحشود لثورة لا يريدونها، وقد حضر المستعين منفيا إلى واسط فلقى من أحمد بن طولون كل مجلة واحترام، ووفاه حقه من التعظيم، ثم فوجئ بكتاب من والدة المعتز، وكانت تخشى الثورة على ولدها، تقول فيه على لسان الخليفة، إذا قرأت كتابى هذا فجئنى برأس المستعين وقد قلدتك واسط، فلما قرأ ابن طولون الكتاب ارتاع ارتياعا شديدا وكتب إليها يقول: والله لا يرانى الله - عز وجل - أقتل خليفة له فى رقبتى بيعة أبدا، وله أيمان مغلظة يحاسبنى الله على الحنْث بها.

ولكن العزم على اغتيال المستعين كان مقررا، فجاء الأمر بتنحية ابن طولون عن واسط ليكون واليا على سرّ من رأى فحمد الله أن نجا من إثم سيحيق به، وما كان يبرح المدينة حتى قتل المستعين على يد من يسمى سعيد الحاجب، وكانت مأساة!

هذه مكرمة لابن طولون لا ينازعه أحد فى سموها، إذ عرض نفسه لغضب الخلافة غير مبال بالعاقبة. أما المسألة الثانية فهى أنه فى مرضه الأخير دعا أخص خاصته وطلب منه أن يأمر الناس بالدعاء له فى موقفه المتأزم، فشاع هذا الأمر، وخرج المسلمون بالمصاحف إلى سفح الجبل، وتضرعوا إلى الله فى أمره بنيات خالصة. وعجوا بالدعاء مبتهلين، فكان لهم مشهد

رأى ابن طولون فى قواده عدته وأسباب نجاحه ينتسبون إليه انتساب الأبناء إلى الآباء

تقبل أحمد بن طولون الأمر بتنحيته عن الولاية بنفس راضية لينأى بنفسه عن إثم قتل نفس بريئة

عظيم كيوم عرفات.

ولما رأى اليهود والنصارى ما فعل المسلمون خرج الفريقان ومع اليهود التوراة، ومع النصارى الإنجيل. وفى أيدى شمامستهم البخور الذى يتبركون به، واحتجبت الجماعة كلها فى سفح الجبل، واعتزل كل فريق منهم على حده يدعون الله، ويتضرعون إليه أن يمن على أحمد بالعافية، وارتفعت لهم ضجة عظيمة هائلة حتى سمعها أحمد بن طولون فى قصره، فجعل يبكى، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

سمع التلاميذ هاتين الطرفتين، فكتبوهما، وقالوا لم نكن نعرف ذلك من قبل، ثم تقدم كل تلميذ بورقة أو ورقتين كتب بهما ما تعلمه من أخبار ابن طولون، وأخذ الأستاذ يطالع ما كتبه أبناؤه مغتبطا، ثم قال فى محبة، ما كدتم تبقون شيئا لأستاذكم، وسأرتب الأوراق أبجديا، وأطالعها عليكم، ففيها النفع الجزيل إن شاء الله.

الورقة الأولى

كانت الورقة الأولى تحكى قصة عبدالرحمن العمرى إذ قام بالثورة على ابن طولون وهيأ جيشا لمحاربته بالصعيد وطالت الحرب دون جدوى، وبعد شهور جاء إليه فتيان من أتباع العمرى، ومعهما سفط يحمل رأسه مقتولا وقد أملا بذلك أن يحصلا على مركز كبير فى دولة ابن طولون. أما ابن طولون فقد أحضر من رجاله من يعرف العمرى معرفة شخصية ليشهد عن حقيقة الرأس، أهو له أم لغيره، فتأكد أن القتيل هو العمرى، وعند ذلك سأل ابن طولون، الشابين، هل آذاكما العمرى فى شىء؟ وقد كنتما من كبار رجاله، فقالا: لا، فقال: هل غير حالكما معه فخفتما على أنفسكما؟ فقالا: لا، فقال: ولماذا أقدمتما على قتله ولم يفعل ما يوجب ذلك، فقالا: نبتغى الحظوة لك ونكون من كبار أعوانك، فأنت ملك مصر، فقال غاضبا: يجب أن يقتص منكما، لأن الذى يغدر بصاحبه دون جُرم أسلفه، سيغدر بغيره إذا استطاع ذلك، وأمر بضرب عنقيهما، وصلبت جثاهما ثم أمر برأس العمرى فغسل وطيّب، وشيع فى مشهد عظيم.

الورقة الثانية

قالت نَعْتُ أم ولد أحمد بن طولون كان عندى جوار من الحسناوات لم أر أجمل منهن فشوقته إليهن، ووصفتهن له وصفا بديعا، فقال أعرضيهن علىّ فجعل ينظر إلى كل واحدة، ويقول حسنة جدا، جميلة جدا، ثم جعل بعد الانتهاء يبعث بكل واحدة إلى قائد من قواده، هدية له قالت نعت: فاغتظت غيظا شديدا، وقلت له: أنا أقدم إليك هؤلاء، وهن على ما ترى من الروعة والجمال، فتذهب بهن إلى القواد، فتبسم وقال لى: أراك مغيظة مما فعلت، فقلت: نعم، قال فاسمعى إن رغبتى الآن ليست فى الحسان، وخلوات النساء، إنما رغبتى فى حراسة مملكتى، والسهر على دولتى وهؤلاء القواد هم عُدتى وأسباب

نجاحى، وينتسبون إلى انتساب الأبناء إلى الآباء، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنساء، فأنا أوثرهم بما يحبون ويشتهون، كما أنهم يؤثروننى بأنفسهم فى أشد الأوقات فيبذلون أنفسهم فداء لى»، ثم قال اعلمى أننى أجد فى فهم الرجال واستعدادهم الشخصى لقبول الأعباء مالا أجده فى ملذات الطعام والنساء.

الورقة الثالثة

نظر أحمد بن طولون من قصره إلى مشهد جنازة تمر أمامه، فأمر بإيقاف الجنازة، وإحضار الميت فلما رآه، قال هذا جاسوس ويريد أن يهرب من الحرس إلى الخارج دون أن يشك أحد فيه، واختار الهرب عن طريق الجنازة التى يكون هو الميت بها، فقال له أصحابه: أيها الأمير، وكيف عرفت ذلك؟ قال: لم أسمع من الصارخات الصائحات ما يدل على حسرة وألم، ولم أر فى المشيعين من يظهر الأسف، فأردت أن أتحقق ثم إنى لما كشفت عنه، وجدت رجله قائمة، والميت تسترخى رجله، فعرفت أنه حىّ يتصنع الموت.

الورقة الرابعة

قال بعض خدمه، ركب مولاى فى يوم بارد، فرأى بشط النيل صيادا عليه ثوب لا يواريه، ومعه صبىّ فى مثل حاله، وقد ألقى شبكته فى البحر، ومكث ينتظر فرقّ لحاله، وقالى لى: ادفع لهذا المسكين ثلاثين دينارا فتأخرت حتى دفعتها إليه، وفى رجوعه نظر إلى الصياد فوجده ميتا، وابنه يبكى ويصيح، فظن مولاى أن بعض الأشرار قتله ليأخذ النقود، فسأل ولده فقال: إن أبى لم يزل يقبل الدنانير حتى سقط ميتا، ففتش الميت فوجد الدنانير فى جيبه لم تنقص واحدا، فأراد إعطاء المال للصبى فأبى، وقال: هذه قتلت أبى، فماذا أصنع بها، فقال لخادمه المال يحتاج إلى تدبير، وهذا الصياد لم يحمل دينارا فى جيبه، فحين وجد ثلاثين دينارا، لم يتمالك شعوره، وفاضت روحه ثم قال: ادع القاضى، فجاء فقال له: اكتب للصبى قدرا كافيا من المال يجرى عليه كل شهر، كيلا يفقد نفسه إذا وجد فى يده المال كله مرة واحدة، وفرح الصبى حين علم أنه سيقبض أجرا معلوما كل شهر وسيكتفى هو وإخوته وأمه.

الورقة الخامسة

كان من عادة ابن طولون أن يحضر الفقراء فى داره، ويقيم المآدب الخاصة بأكرم المطاعم، وينظر إليهم من الشرفة العالية، وهم يأكلون فيرتاح كثيرا، وقد لحظ أن شيخا كبيرا قد جمع بعض الطعام حتى انتهى الناس من الأكل، ووضعه فى لفافة صغيرة، ونهض يسير فاعترضه بعض الحجاب، وجعل يغمزه حتى سقطت اللفافة وتبعثر ما بها، ونظر الشيخ حائرا، فنهض ابن طولون من مكانه وسأل الحاجب، لماذا صنعت هذا بالشيخ المسكين، فارتبك. وقال: أردت مداعبته، فقسا عليه فى الكلام، وأمره أن يعد مائدة حافلة بأشهى المأكولات، ويحملها على رأسه ويذهب بها مع الشيخ المسكين إلى منزله، ثم دعا الشيخ وقال له: كم لك من العيال، قال خمس بنات

أمر ابن طولون الشرطة إذا رأوا من الأغنياء من يحمل خمرا أو أداة لهو أن يعتقلوه ويكافئوه أسوأ مكافأة

بلغن سن الزواج، وثلاثة أولاد وأم، فقال: ولماذا لم يتزوجن فقال الشيخ يا مولاى أنا فقير، والناس لا يصاهرون إلا الأغنياء، فأمر له بمائة دينار ليشترى بها بضاعة يتاجر فيها قدر طاقته، ويعاونه أولاده ثم أمر خازن المال أن يجهز بنات الرجل الخمس جهازا يصلح للعروس الكريمة مع ما ينبغى لهن من الثياب والحلى، ومنح كل غلام خمسين دينارا تكون رأس مال خاص به، ورجع الشيخ إلى منزله وهو لا يصدق أن ليلة القدر قد فتحت له بما حباه ابن طولون من كرم.

الورقة السادسة

جمع ابن طولون رجال الشرطة، وقال لهم: إنى أمر ليلا بمنازل الأغنياء ثم أنتقل إلى منازل الفقراء، فأجد الشوارع التى يسكنها الموسرون حافلة بالزمر والطرب، وأشم رائحة الخمور، ولولا أننى أوثر السلامة لدخلت عليهم بيوتهم وفعلت بهم الأفاعيل، ولكنى أقول ماداموا مستترين فى المنازل فلا بأس.

أما منازل الفقراء فلا أمر بشارع من شوارعهم إلا سمعت كتاب الله يتلى، والناس مجتمعون فى المنزل يستمعون كما انى أحيانا أستمع إلى واعظ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإذا أذن الفجر خرجوا جميعا إلى الصلاة وأنا معهم دون أن يشعروا بى، أما الأغنياء فلا يخرج أحد منهم إلى بيت الله، ولذلك آمركم إذا رأيتم فى أحياء الأغنياء من يحمل شراب خمر أو أداة لهو فاعتقلوه وكافئوه أسوأ المكافأة، وإذا رأيتم فى أحياء الفقراء رجلا مسالما يذهب إلى بيت جاره، فاتركوه فإنه يذهب إلى استماع القرآن والتأدب بالوعظ الحكيم فاستجاب رجال الشرطة لما أمر وطبقوه منذ قال دون تأخير.

الورقة السابعة

قال أحمد بن طولون لأحد خاصته، اختر لى شابا صادقا أمينا، لعمل خاص يقوم به، فقال صاحبه فجعلت أتفرس فيمن عرفت، حتى اخترت شابا من أشجع وأذكى وأحسن من عرفته، فتقدمت به إلى ابن طولون، ثم خلا به ساعة، ورجع فأمر بضربه عشرين سوطا مبرحا، ثم حمله إلى السجن فتحيرت ولم أجرؤ أن أسأل الأمير، وظللت مشغولا بما أرى دون أن أعرف له سببا، وبعد عشرة أيام جاء الشاب فطرحه الأمير على الأرض وضربه عشرين سوطا. وبعث به إلى السجن، فجعلت أقلب كفىّ، وأقول يا سبحان الله ولا أدرى سببا معقولا لما أراه، وبعد شهرين جاءنى الشاب فى مظهر أخاذ، وأخبرنى أنه أصبح ذا ضيعة غالية، وقصر عظيم، بفضل رعاية الأمير، فقلت له أخبرنى بأمرك فقال:

حين خلوت مع الأمير أول ما عرفتنى به، قال لى: إن فى السجن جماعة من أعدائى، وأريد أن أعرف ما يقولون عنى، فأظهر أنك معاقب، وسأضربك بالسياط وأبعث بك لتعيش مع هؤلاء فتعلم ما يدبرون وما يقولون، وحين يرونك مضروبا بالسياط لن يشكوا فى أمرك وسيتخذونك صديقا لا يسترون عنك شيئا ثم فعل بى ما فعل، وذهبت إلى السجن فلم يشك هؤلاء فى أنى أحد أعداء ابن طولون، ثم حبس الأمير قوما آخرين فى محبس آخر، واضطر إلى عقابى مرة ثانية لأصنع ما صنعت فى المرة الأولى، وقد وفق الله فعلمت أسرار هؤلاء وأولئك، وأبلغت الأمير بكل ما رأيت وما سمعت فغمرنى بعطفه وأنعم علىّ بما أنعم.

ثم قال البلوىّ: أما الورقة الثامنة فقال تلاميذه حسبك الآن لنجمع ما سمعنا، فلو طال الكلام لضاع منا الكثير، ولنا يوم آخر فى مجلس يمتد فيه هذا الحديث.

وأقبلوا على يد الشيخ يلثمون ويدعون!

من قصص السنة

مع نساء الرسول صلى الله عليه وسلم

أ.د. أحمد عمر هاشم

قال الإمام البخارى - رحمه الله تعالى - حدثنا إسماعيل قال: حدثنى أخى عن سليمان عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضى الله عنها - أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر فيه أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخرها، حتى إذا كان رسول الله ﷺ فى بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله ﷺ فى بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة، فقلن لها كلمى رسول الله ﷺ يكلم الناس فيقول: من أراد أن يهدى إلى رسول الله ﷺ هدية، فليهدها إليه حيث كان من نسائه.

الغلو فى الغيرة أو الخروج بها عن المعقول ينقلها إلى دائرة الحرام

فكلمته أم سلمة بما قلن لها، فلم يقل لها شيئا، فسألنها فقالت ما قال لى شيئا فقلن لها: فكلميه: قالت فكلمته حين دار إليها فلم يقل لها شيئا، فسألنها؟ فقالت: ما قال لى شيئا، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته، فقال لها: لا تؤذينى فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى، وأنا فى ثوب امرأة إلا عائشة، قالت: فقلت: أتوب إلى الله من أذاك يارسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك العدل فى بنت أبى بكر، فكلمته، فقال: يابنية ألا تحبين ما أحب؟ فقالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن، فقلن: ارجعى إليه، فأبت أن ترجع، فأرسلن زينب بنت جحش فأغلظت وقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت ابن أبى قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة، وهى قاعدة، فسبتها حتى أن رسول الله ﷺ لينظر إلى عائشة هل تكلم؟ قال: فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، قالت: فنظر النبى ﷺ إلى عائشة، وقال: «**إنها بنت أبى بكر**» رواه البخارى.

من طبائع النفس البشرية «الغيرة» وقد تزداد عن العادة الطبيعية لها بزيادة التنافس الذى يحدث بين النفوس، والغلو فى الغيرة أو الخروج بها عن الحد المعقول ينقلها إلى دائرة الحرام.

أما الغيرة المعتدلة، والتى تكون فى موضعها المناسب، وبسبب حقيقى كأن تكون هناك ريبة، فهى غير محرمة، بل تكون حينئذ مما يحبه الله، وأما الغيرة التى يبغضها الله، فهى التى تكون فى غير ريبة، كما جاء فى الحديث: «**إن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله..**» ومن الغيرة ما يكون ناتجا عما طبعت عليه النفوس البشرية، ولا تتعدى ما حرم الله، بل يكون الدافع عليها

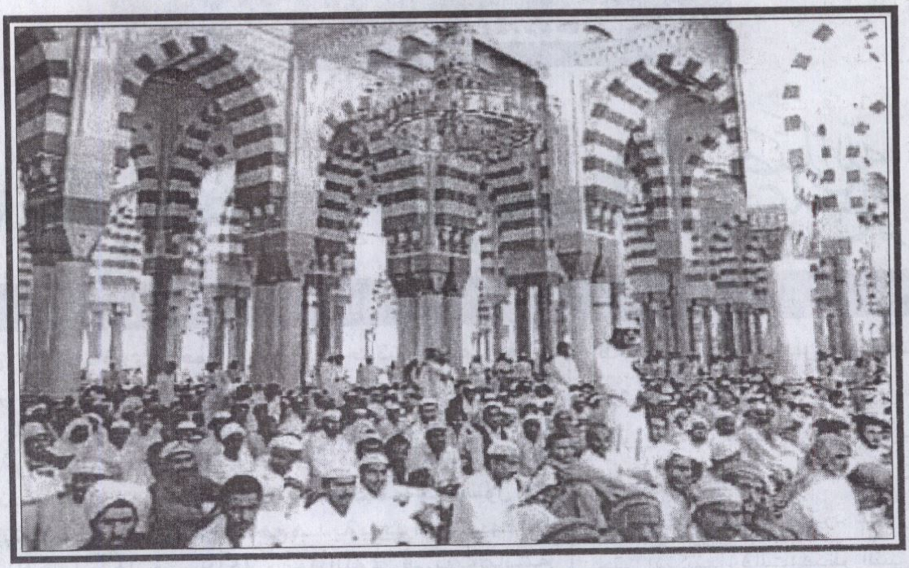

التنافس كما هو الحال بالنسبة لما حدث بين أمهات المؤمنين، حيث انقسمن إلى حزبين أى طائفتين بسبب الغيرة المذكورة، فحزب فيه عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وصفية بنت حيى وسودة بنت زمعة، والحزب الآخر فيه أم سلمة بنت أبى أمية وسائر نساء رسول الله ﷺ - أى باقيهن: زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبى سفيان وجويرية بنت الحارث.

والسبب المباشر لهذا هو أن المسلمين علموا حب رسول الله ﷺ عائشة، فإذا أراد أحدهم أن يقدم هدية انتظر حتى تحين نوبة عائشة، فيجىء بالهدية فى بيتها، وذلك للحرص على حب الرسول ﷺ وحب من أحبه رسول الله ﷺ.

فوجه حزب أم سلمة إليها الرأى أن تكلم رسول الله ﷺ فتقول: من أراد أن يهدى إلى رسول الله ﷺ هدية فليهدها حيث كان من نسائه، طلبا للمساواة والعدالة فى ظنهن وحتى تحصل كل منهن على نصيب من الهدايا، فتوجهت أم سلمة بالقول مرتين، وهو يعرض عنها فلو كلم الناس بذلك لكان فى كلامه نوع طلب والتماس، وإيماء للناس بإهدائه وهو لا يحب مثل هذا التصرف.. ولكن هل كان فى طلبهن أذى أو نوع عصيان؟ نقول: لا، إذ لو كان كذلك، ما سكت ﷺ، بل كان يسرع إلى الزجر عن المخالفة، ولكنه أعرض إلى المرة الثالثة، ثم ذكر خصوصية منحها الله تعالى لعائشة - رضى الله عنها - بقوله: لا تؤذينى فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى فى ثوب امرأة إلا عائشة، ولا شأن لعائشة بهذه الأمور، ولا شأن للرسول ﷺ أيضا بها، ولا يليق به أن يكلم الناس فى مثل ذلك.

وفى تكرار هذا القول ما قد يؤدى إلى ظلم عائشة مع ما لها من منزلة سامية فهى بنت الصديق الذى واساه بنفسه وماله، وكان رفيقه فى الدعوة وفى الهجرة وفى الجهاد وما إلى ذلك، فطلب حزب أم سلمة فاطمة بنت الرسول ﷺ لمكانتها عنده، وأرسلنها طالبة «العدل فى بنت أبى بكر»، أى التسوية بينهن فى كل شىء من المحبة، وغيرها وقال الكرمانى: فى محبة القلب فقط لأنه كان يسوى بينهن فى الأفعال المقدورة.

سوى الرسول ﷺ بين زوجاته فى الأفعال المقدورة أما المحبة فهى ليست من مقدور البشر

وقد اتفق على أنه لا يلزمه التسوية فى المحبة؛ لأنها ليست من مقدور البشر، وقيل: إن التى خاطبت فاطمة بذلك منهن زينب بنت جحش، وأن النبى ﷺ سألها أرسلتك زينب؟ قالت: زينب وغيرها.

قال: أهى التى وليت ذلك؟ قالت: نعم، فقال لها: يا بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، زاد مسلم فى رواية: قال: فأحبى هذه أى عائشة، فرجعت فاطمة إليهن فأخبرتهن بما قال: فقلن: ارجعى إليه، فأبت أن ترجع إرضاء للرسول ﷺ، وحرصا على كمال الأدب معه.

فأرسلن زينب بنت جحش فأتته، فأغلظت فى كلامها، فقالت: إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت ابن أبى قحافة فرفعت زينب صوتها حتى تناولت عائشة وتكلمت معها بما لا يليق، فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها، فنظر رسول الله ﷺ إلى عائشة، وقال: إنها بنت أبى بكر أى أن لها شرفا وعقلا ومعرفة بالمناقب والمثالب كأبيها فقد تكلمت ولم يؤاخذها الرسول ﷺ؟ ثم كيف ترد عائشة عليها، وكل ذلك فى حضرة رسول الله ﷺ؟

نعود فنقول: إن الغيرة من طبائع البشر، وهى التى دفعت زينب إلى مثل هذا، خاصة بعد أن علمت أن كل المحاولات لا جدوى منها، فنالها ما ينال البشر من الغضب، ولكنه لم يكن منها ماهو حرام وإلا لآخذها النبى ﷺ، ولكنه لا يليق بالنسبة لمنزلتها، وأما رد عائشة فأيضا لم يكن فيه ماهو حرام ،بل كان ردها حسما للخلاف، وإيقافا للمجاوزة فى القول.

وفى رواية مسلم: وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لى فيها، قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر».

ويستنبط من القصة:

منزلة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ ومحبة الرسول ﷺ لها، واستحباب تقديم الهدية فى أوقات الفرح والسرور ومشاركة فى المشاعر.

قال بعض العلماء فى الحديث أنه لاحرج على الرجل فى إيثار بعض نسائه فى التحف والظرف، واعترض على هذا بأن الناس هم الذين كانوا يفعلون ذلك، فلا دلالة فى الحديث عليه، والظاهر أن رسول الله ﷺ كان يشرك نساءه فى ذلك، ولكن وقعت المنافسة لكون العطية تصل إليهن من بيت عائشة.

وعذر زينب فى طلب العدل لغيرها، ولئن كانت فاطمة قد طلبت ما طلبته، ولكن خص العلماء زينب بالكلام دونها لكونها شريكة ومتولية للإرسال بخلاف فاطمة فهى حاملة لرسالة فحسب.

ما جبلت عليه النفوس من تنافس، خاصة بين الضرائر، فعلى الأزواج معالجة ذلك بالحسنى وألا يميلوا مع البعض.

التسامح فى الإسلام

أ.د. محمد محمد أبو ليلة

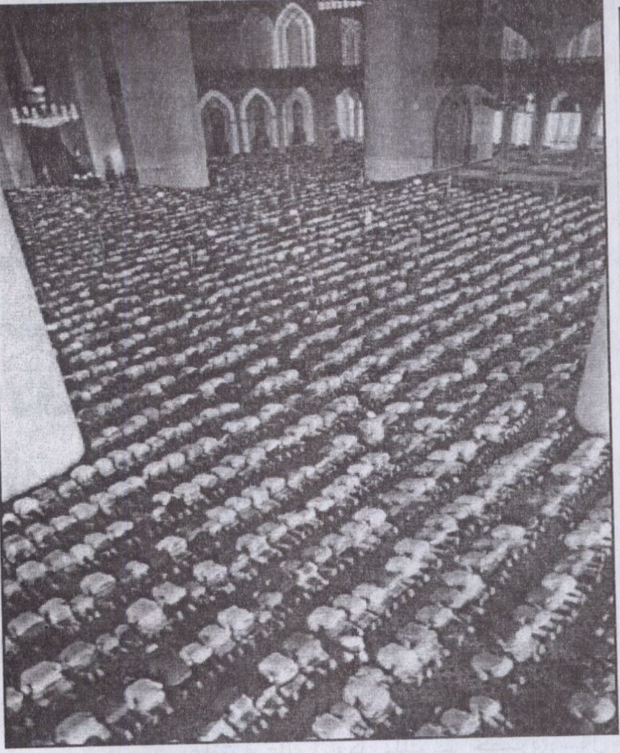

السماحة ركن الفضيلة، وهى أحد الأعمدة التى يقوم عليها بناء الأخلاق والقيم فى الإسلام وأهمها، وهى من أخص صفات النبيين والصالحين الذين تربوا على أيد الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين. والتسامح على المستوى الفردى خلق جميل يجب على المسلم أن يتحلى به مع المسلم أو غير المسلم، القريب والغريب، العدو والحبيب. عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - قالت: قدمت علىَّ أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت علىَّ أمى وهى راغبة (أى تطلب المساعدة) افأصل أمى (أى أعطيها) قال: «نعم صلى أمك» ويقول الله تعالى: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ النور: آية ٢٢.

والسماحة هى زهرة الفطرة، وثمرة الخُلق الحميد، ودليل على سكينة النفس وطمأنينة القلب وراحة البال، وقبل أن نتكلم عن السماحة فى الإسلام لابد أن نعرف معناها أولاً والكلمة معروفة بمعناها العام للناس جميعا بل إنها تحولت من مجرد كلمة إلى إحساس حيث إن الرجل السمح أو المرأة السمحة يتحدث كلاهما عن نفسه بوجهه وسلوكه قبل أن يتحدث بلسانه فأنت عندما ترى الرجل السمح والمرأة السمحة تقر عينك، ويسر قلبك وتشعر بالسكينة والطمأنينة وانشراح الصدر. وعكس ذلك يكون مع الإنسان الشحيح فإنه يثير الاشمئزاز فى النفوس والانقباض فى الصدور.

والسمح معناه الكريم، والسماحة الكرم والجود، وسمح له شىء أى أعطاه إياه عن رضا نفس، وأسمح وسمح له أى سَهَّلَ له طريقه للحصول على الشىء، وأعانه بجاهه أو بخبرته إن لم يعنه بماله على تحقيق ذلك.

والسماحة هى الانقياد للخير وللحق إذا ظهر واتضح، والمسامحة معناها المساهلة فى التعامل وتسامحوا تساهلوا فيما بينهم وفى الحديث المشهور: «السماح رباح» بمعنى أنَّ المساهلة فى الأشياء تُزيد صاحبها قوة وكما هو سائر على ألسنة الناس «البركة فى البكور» ويقول ﷺ: **«رحم الله امرءا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا كيل له أو كُيل عليه»** أو نحوه. رواه مسلم. ومن التسامح الاعتراف بالجميل و محاولة إكرام صاحبه ولو بالشكر والدعاء له.

وفى حديث عطاء «اسمح يُسمَحُ بك» ويقول ﷺ فى الحديث القدسى **«اسمِحوا لعبدى كاسماحه لعبادى»** ومعنى الحديث أن الإنسان السمح فى معاملاته وأخلاقه ينبغى أن يعامله الناس بسماحة كذلك تجاوبا مع مشاعره وأحاسيسه النبيلة. وفى الحديث أن ابن عباس قال وقد سُئل عن رجل شرب لبناً محضا أيتوضأ؟ قال «أسمح يُسمح لك» يعنى لا تُشَدِّد فيُشَدَّد عليك وقال شمّر «سهِّل يُسَهِّل لك وعليك».

ومن ذلك قوله ﷺ: **«بعثت بالحنيفية السمحة»** أى بالدين السهل وقال تعالى **﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾** الحج: آية ٨٧، أى أنه ﷺ قد حكم بالتسهيل والتيسير وبالدين الخالص المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ولا مشقة فى تشريعاته **﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين* قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾** الأنعام الآيتان ١٦١، ١٦٢.

﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ النساء: آية ١٢٥.

ومن أجل تربية المسلم على خلق التسامح أمر الله تعالى المسلمين بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل وبجميع الكتب التى نزلت عليهم، وربط الله تعالى بيننا وبين الأنبياء السابقين وأممهم، وبين التاريخ الحاضر والمستقبل، وأمرنا بقبول الآخر، المخالف لنا، وبضرورة التعاون معه على الرغم من الخلافات والسلبيات التى بيننا وبينهم، يقول تعالى: **﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجُورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾** النساء: آية ١٥٢، فقد علمَّنا الله تعالى فى القرآن الكريم أن نتسامح مع الآخرين وأن نتحمل أذى المؤذين منهم قدر طاقتنا وقد وعد الله تعالى من يفعل ذلك ابتغاء وجهه الكريم بالسعادة فى الدنيا والآخرة على سبيل المثال يقول تعالى **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾** الشورى: آية ٤٠، يعنى فمن عفا عمن ظلمه أو أساء إليه أو اتهمه زورا فقد أصلح من شأنه بالعفو عنه مع السعى فى تقويم نفسه بالعفو الصادق المبرئ من أية نية للغدر أو تبييت للشر فإن الله تعالى هو الذى سيؤجره الأجر العظيم ويرضيه ويعليه وفى هذا يقول تعالى: **﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾** فصلت: آية ٣٤.

ويقول تعالى: **﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾** الشورى: آية ٤٣.

ومعنى من عزم الأمور أى من الأمور التى تحتاج إلى عزيمة قوية لفعلها وتدعو إلى الثبات عليها. وننبه

هنا على أمر مهم وهو أن العفو عن الجانى إذا جرّ إلى تضييع الحقوق أو ترتّب عليه شر أكثر من الشر الأول كان فعله تفريطا فى الحقوق لا تسامحاً بل فيه تشجيع للمجرمين على الفساد فى الأرض، وعلى الاستهتار بحقوق الله وحقوق العباد وليس من السماحة إضاعة حقوق العباد المادية أو الأدبية كما أنه ليس من السماحة أن يكسب إنسان من حرام وينفق بإسراف وسفه. وليس من التسامح كذلك التساهل مع أهل الدعارة والفسق وممالأة الظالمين ومجاراة المنحرفين.

يقول تعالى: **﴿ولا يأتل أُولوا الفضل منكم والسَّعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم﴾** النور: آية ٢٢.

حتى مع هؤلاء الذين يحاولون أن يردوا المسلمين عن دينهم فإن الله تعالى يأمرنا بالعفو عنهم قال تعالى: **﴿ود كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شئ قدير﴾** البقرة: آية ١٠٩، والعفو المأمور به فى الآيات عن الأعداء إنما يكون عن قوة وتيقظ للمكائد والمؤامرات **﴿الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** آل عمران: آية ١٣٤، **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** الفرقان: آية ٦٣، ويقول ـ عز وجل ـ لنبيه ﷺ: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾** الأعراف: آية ١٩٩.

وقد ربى الله ورسوله المسلمين على السماحة فرغبهم فى العفو عن الناس وأمرهم بإصلاح ذات البين وبالمعاملة الطيبة، ورد الإساءة بالحسنى. كما أمرنا رسول الله ﷺ بالرفق ونهانا عن العنف والخرق (اى الحماقة) التى تؤدى إلى التهلكة. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«إن الله عز وجل ليُعطى على الرفق ما لا يعطى على الخُرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق، وما من أهل بيت يُحرمون الرفق إلا حُرموا»** رواه مسلم وأبو داوود مختصرا، ويقول: **«من يحرم الرفق يحرم الخير»**. ومن باب الرفق أنه لما سأله بعض الحجاج عن خطئهم فى ترتيب بعض مناسك الحج قال: **«ارم ولا حرج»، «افعل ولا حرج»** فَصَوَّبَ فعلهم جميعاً، وطمأنهم على صحة حجهم فى هذا اليوم الذى يشتد فيه الزحام.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»** البخارى ومسلم ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرى إلى اليمن أميرين قال: **«بشّرا ولا تُنَفّرا ويسرا ولا تعسرا»**.

وعن السماحة «تقول عائشة ـ رضى الله عنها ـ: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى» رواه البخارى ومسلم. وقال معاذ: أوصانى رسول الله ﷺ فقال: **«يا معاذ أوصيك باتقاء الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن، وحب الآخرة ،والجزع من الحساب، وخفض الجناح وأنهاك أن تَسُبَّ حكيماً، أو تكذِّب صادقاً، أو تطيع آثماً، أوتعصى إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً. وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة؛ السر بالسر والعلانية بالعلانية»** أخرجه أبو نعيم فى الحلية. والبيهقى فى الزهد.

ولقد كان النبى ﷺ مثلا أعلى فى السماحة والتسامح فكان ينفق ويعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وكان كرمه يقارن بالريح

المرسلة. وكان إذا أُهْدِيَ إليه يكافئ على الهدية بالمزيد. وكان يتواضع للجميع عن حلم ورحمة ومودة، فلم يكن فظاً أو قاسياً فى معاملة الخلق. ولقد شملت سماحته الأعداء فلم ينتقم من أحد وهو أعلى ما يكون يداً وأنفذ ما يكون أمراً ولقد عبّر النبى ﷺ عن سيرته فى العفو والتسامح فى جملة واحدة قالها بعد ما فتح مكة تلك الجملة النورانية هى «**اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم**» أى اذهبوا أحراراً بلا عتاب أو عقابٍ تعنيف. ومن أدلة التسامح والتيسير فى التشريع الإسلامى ما جاء عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وهو أشد أمة محمد فى دين الله، يقول: لأنْ أعطل الحدود فى الشبهات خير من أن أقيمها فى الشبهات. وروى الزهرى عن عروة عن عائشة أم المؤمنين فقيهة الإسلام، قالت: ادرءوا الحدود عن المسلمين بالشبهات ما استطعتم، فإذا وجدتم للمسلم مخرجاً فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئّ فى العفو خير له من أن يخطئّ فى العقوبة. وقد أطلق عمر بن الخطاب سراح إمرأة كانت قد اغتصبت وهى نائمةٌ قائلاً: لو قتلت هذه خشيت على نفسى الأخشبين (أى الجبلين ينطبقان عليه). ثم كتب إلى أمراء الأمصار ألا تقتل نفس دونه (أى بغير إذنه)(١)، ومن التسامح رد الجميل، والعفو عن الكثير من أجل القليل، فهذا من صميم أخلاق النبى الكريم ﷺ.

أهمية التسامح فى العلاقات الدولية فى الإسلام

لا بد أن تقوم العلاقات الدولية على أساس التسامح لا على مجرد المصالح المادية والصراعات، فالإنسانية كالجسد الواحد يؤثر بعضه فى بعض ويتأثر بعضه ببعض، والتسامح بين الشعوب يسهل الحياة ويقوى العلاقات الطيبة بين الناس، ويضمن استقرار المجتمعات وتبادل المصالح، ويعين على نهضة الأمم، وتضامنها، وتعاونها على البر والتقوى بدلاً من الحروب والمعارك والنزاعات الدولية والإقليمية، وبدلاً من الإغارة على حقوق الآخرين واستلاب ثرواتهم وأمنهم. وأساس العلاقات الإنسانية فى الإسلام يتجلى فى قوله تعالى: ﴿**يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير**﴾ الحجرات: آية ١٣.

فالناس جميعا ينتمون إلى أصل واحد يرتبطون به جميعا بحكم الوراثة وعناصر التكوين وجوهر الروح، وذلك مهما تعددت ألوانهم وأحجامهم وبيئاتهم، فقد يحدث هذا الاختلاف كله فى الأسرة الواحدة التى تربطها أواصرالدم ووشائج القرابة. كما يحدث بين الأسرة البشرية على اتساعها وتنوعها.ومن الآية نعلم أن أساس التفضيل بين البشر ليس هو اللون أو الجنس أو اللغة أو الثقافة وإنما هو التقوى يعنى الضمير الحى والوازع الدينى القوى والعمل الصالح جاء ذلك أيضا فى قوله تعالى: ﴿**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ الملك: آية ٢، ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ طه: آية ٥٥، وجاء عن النبى ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح**» رواه أحمد. وإذن فمجرد التمسك الظاهرى بالدين لا يعطى تلك الأفضلية ولا يضمن هذه المرتبة عند الله تعالى فإن التمسك بالدين ينبغى أن يكون عملاً لا شعاراً، وسلوكاً عملياً لا دعاوى جوفاء، ولا تزيين لفظى كاذب للتوصل إلى الهدف وخداع الناس.

ولقد رتب الله - تعالى - شرائعه بحسب أصناف الناس ومستوياتهم فى الحياة، فللمسلمين تشريعاتهم الخاصة بهم من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق، ولغير المسلمين من كفار وكتابيين ومن لهم دين أو شبهة دين أحكامهم الخاصة بهم كذلك. ولذلك نجد هذا التنوع الواضح فى الخطاب القرآنى والحديث النبوى من حيث العموم والخصوص ومن حيث نوع المخاطبين

فمن أساليب الخطاب القرآنى على سبيل المثال ﴿يأيها الناس﴾، ﴿يأيها الإنسان﴾. ﴿يا أهل الكتاب﴾، ﴿يا أيها الكافرون﴾، ﴿يا بنى آدم﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وعلى الرغم من أن الإسلام جاء بالحنيفية السمحة، وجاء ليؤسس الوحدانية ويقرر نبوة محمد ﷺ باعتبارها آخر الرسالات والمهيمنة على ما سبقها من دعوات، فإنه تعالى قد وزع الحقوق للجميع على أساس الخَلْق والتدبير، وليس على أساس الدين، وجعل الحياة مصونة للكل والأرزاق مكفولة للكل ومترتبة على الأعمال وتحمل المشاق والأهوال، وإلا لمات العاصى والكافر وهلك الملحد، ومن ليس له دين أصلاً ولا يطمئن إلى يقين يقول تعالى: **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين* وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾** فصلت: الآيتان ٩، ١٠.

فكل ما فى الكون ثروة ربانية خلقها الله لمصلحة الإنسان أيا كان، وبالعمل أيا كان العامل تحصل المكاسب والمنافع.

وقد أوجب الإسلام علينا أن نكون عُدُولاً مع كل الناس بغض النظر عن أديانهم وألوانهم لأن الحقوق مترتبة بالنسبة للمؤمن على الشريعة أمابالنسبة لغير المؤمن فإنها مترتبة على حق الحياة المكفول من الله كما ذكرنا .على سبيل المثال يقول تعالى: **﴿إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾** النساء: آية ٥٨.

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾ النساء: آية ١٣٥.

ويأمر الله تعالى المؤمنين بأن يوفوا بالعقود إلى أهلها: **﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾**..

ويقول لهم فى الآية القرآنية نفسها: **﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا* وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾** المائدة: الآيتان ٨، ٩.

وفى اليوم الذى أكمل الله تعالى الدين، وأتم النعمة، ورضى الإسلام ديناً لهذه الأمة يقول تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا﴾**، يقول فى نفس السياق **﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان..﴾** المائدة: آية ٥.

والمعروف أن الاجتماع على الطعام يأتى بالمحبة، وأن الزواج يأتى بالود والسكن وبهذا يمهد الله تبارك وتعالى للمسلمين أن يبروا بغير المسلمين ويتواصلوا معهم. ومن الجدير بالذكر أن حق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم، يعدل تماماً حق الزوجة المسلمة.

يقول الله تعالى: **﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قديرٌ والله غفورٌ رحيمٌ* لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: الآيتان ٧، ٨.

وقد يقال لماذا لم يبح الإسلام للمسلمة أن تتزوج كتابياً كما أباح ذلك بالنسبة للرجل.. نقول: إن هذا مترتب على قاعدة أن الإسلام آخر الأديان والمهيمن عليها، وعلى مسألة النسب حيث يقضى الإسلام أن الأبناء يتبعون دين الأب، وفى هذا المنهج الإسلامى فى الزواج ضمان لاستمراره وضمان لحقوق الأولاد.

وفوق كل ذلك فإن هذا من خصوصيات الشريعة الإسلامية.

وكما أثنى الله على الأنبياء السابقين وجعل الإيمان بهم جزءاً من الإيمان العام الكلى للمسلم، فإنه كذلك قد أثنى على الصالحين من أمم هؤلاء النبيين: فقد أثنى الله تعالى على حواريى عيسى عليه السلام، وعلى أصحاب الأخدود وعلى أهل الكهف وعلى امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا بعد رؤية الآيات التى أظهرها الله تعالى على يد موسى عليه السلام على الرغم مما منّاهم به حاكم مصر من المال والتقريب.

ومن أقوال الله تعالى: **﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾** آل عمران: آية ٧٥.

فلم يسوّ الله تعالى بين أهل الكتاب على الرغم من كفرهم جميعاً بمحمد ﷺ وإنما أقر لكثير منهم بالأمانة ويقظة الضمير بفضل العمل، والتأثر بما لديهم من تعاليم الأنبياء السابقين، وأيضا لنقاء فطرتهم وزهدهم فى الحياة الدنيا.

ويقول تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾** آل عمران: آية ١٠٠.

فلم يقل الله تعالى أن كل أهل الكتاب يعملون على رد المسلمين عن الإسلام بل بعضهم، وهم المتعصبون منهم الذين يحاولون صرف المسلمين عن دينهم لأغراض دنيوية وبدوافع غير أخلاقية فى أغلبها.

ويقول الله تعالى: **﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الله وهم يسجدون* يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين* وما يفعلوا من خيرٍ فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾** آل عمران: الآيات ١١٣ - ١١٥. فهل بعد هذه الشهادة لصالح أهل الكتاب شهادة!

ومن التشريعات المقررة لغير المسلمين فى الشريعة الإسلامية منها ما هو خاص بوقت السلم، ومنها ما هوخاص بوقت الحرب. فقد نهى الله تعالى عن العدوان عليهم أو أكل حقوقهم يقول الله تعالى بصيغة عمومية **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** النحل: آية ٩٠.

وقد جعل الله تعالى القصاص عاماً فى الدماء فلم يفرق بين دم مسلم ودم غير مسلم يقول تعالى: **﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾** البقرة: آية ١٧٩.

﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ التوبة: آية ٦. فهذا تكليف للمسلم أن يغيث المستجير من الكفار وأن يوصله إلى مأمنه؛ وختام الآية فيه إشارة واضحة إلى أنه لا حجة على من لم يبلغه صحيح الإسلام؛ وأنه واجب على المسلمين أن يقوموا بتعليم الذين يجهلون الإسلام أو يهاجمونه عدواً بغير علم. وقد جاء فى صحيحى البخارى ومسلم أن أبامرة مولى أم هانىء بنت أبى طالب أخبر أنه سمع أم هانىء بنت أبى طالب تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره قالت فسلمت عليه فقال (من هذه). فقلت أنا أم هانىء بنت أبى طالب فقال: (مرحبا بأم هانىء) فلما فرغ من غسله. قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفا فى ثوب واحد فلما انصرف قلت يا رسول الله: «زعم ابن أمى أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان ابن هبيرة فقال رسول الله ﷺ **«قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء»**.

ويقول تعالى **﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن**

أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إنّ كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون﴾ المائدة: آية ٣٢.

ومعنى **﴿من أجل ذلك﴾** أى من جراء انتهاك حرمة الحياة الإنسانية وبسبب فظاعة جريمة القتل، وإشاعة الفوضى والفساد فى الأرض جعل الله قتل النفس الواحدة يعدل فى الجرم والتعدى قتل الناس جميعاً وذلك لأن من استمرأ القتل ولم يجد من يأخذ على يديه ويوقفه ويعاقبه ،استمر فى القتل والتخريب وكذلك فإن من أحيا نفساً أى عمل على نجاتها وحافظ على حياتها فكأنما أحيا الناس جميعاً، لأن من حافظ على حياة الناس بمنع التعدى عليهم يكون له ثواب من أحيا الناس جميعاً.

وقاعدة الإسلام الذهبية بالنسبة لوضع أهل الكتاب فى المجتمع الإسلامى **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا»** وقد سوى الصحابة بين الناس مسلمين وغير مسلمين فى الدماء والأعراض والممتلكات وعاقبوا من تعدى على واحد منهم بغير حق أو تعدى على دار عبادته أو تنسكه بأى شكل من أشكال الاعتداء. يقول الإمام على فى نهج البلاغة (٧٦/٣) لمالك بن الحارث بن الأشقر عندما ولاه مصر».. وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك فى الدين وإما نظير لك فى الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه. فهذه دعوة إلى المساواة فى الحقوق بين المسلمين وغير المسلمين. ويلخص أبو يوسف موقف الإسلام من غير المسلمين بقوله «والأسير من أسرى المشركين لا بد وأن يطعم ويكسى ويحسن إليه حتى يحكم فيه».

رأينا مما سبق أن الإسلام جاء بالحنيفية السمحة المبنية على الأخوة الإنسانية والإيمانية وعلى الأخلاق الطيبة، وعلى التيسير ورفع الحرج وجاء بكتاب أنزله الله تعالى مفرقاً ليكون أدعى لحفظه وتطبيقه فى واقع الحياة ولذلك صار القرآن خلقاً لرسول الله ﷺ كما جاء فى وصف عائشة له **«كان خلقه القرآن»** إذن فقد طبق الرسول ﷺ القرآن على نفسه وعلى صحابته حتى صار القرآن خلقاً أو طبيعة ثانية للمسلمين الأوائل وحتى لقد انتشر الإسلام والقرآن بانتشار هؤلاء المسلمين فى الأرض فقد سار الصحابة والتابعون بالقرآن فى أيديهم وفى قلوبهم وعقولهم فقبلهم الناس ودانوا بدينهم لسماحتهم وطيب أخلاقهم وصدقهم معهم.

وإذا كان النبى ﷺ قد طبق تعاليم الإسلام الاعتقادية والعبادية على المسلمين فإنه قد طبق أحكام المعاملات والأخلاق على المسلمين وعلى غير المسلمين دون عنت أو إكراه وبما يضمن حقوقهم كاملة .وقد تعلم المسلمون منه صلى الله عليه وسلم أنه **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، ولا امتهان للكرامة الإنسانية بالقول أو بالفعل أو بالتحريض أو بالتفريط فى الدفاع عن أصحاب الحقوق من مواطنى الأمة الإسلامية على إختلاف أديانهم.

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن..﴾ العنكبوت: آية ٤٦.

﴿وقولوا للناس حسناً..﴾ البقرة: اية ٨٣.

وقد سمعوا منه - صلوات الله وسلامه عليه - قوله: **«ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه (أى أنا الذى أخاصمه وأحاجه) يوم القيامة»** رواه أبو داود والبخارى فى صحيحه، وعنه ﷺ قال: **«من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما».**

وقد استقبل رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة وفد نصارى نجران فى مسجده وحاورهم فيه وأكرم وفادتهم.

وقد أرسل رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين إلى الحبشة النصرانية ليعيشوا فى حماية ملكها العادل الورع النجاشى.

وعندما آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة فإنه لم يفعل ﷺ ذلك على حساب غير المسلمين الذين كانوا يعيشون فى المدينة المنورة، بل إنه آخى بين المسلمين واليهود، وكتب بذلك وثيقة مواطنة، لم يكتب فى التاريخ مثلها، بين المسلمين واليهود. أما بالنسبة للمسلمين فالقرآن هو دستورهم فهم ليسوا فى حاجة إلى وثيقة، أما اليهود فلأنهم لم يؤمنوا بالقرآن الكريم لذلك كتب رسول الله ﷺ الوثيقة المعروفة بوثيقة المدينة لضمان حقوقهم يقول ابن اسحق أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط لهم واشترط عليهم لما امتنعوا من اتباعه.

وقد اعتبر الرسول ﷺ فى نفس هذه الوثيقة **«أن اليهود أمة من المؤمنين»** وهكذا محا الإسلام الشعور بالدونية الذى تعانى منه الأقليات فى شتى بلدان العالم اليوم وجعل الكرامة والمشاركة فى الحقوق والواجبات الوطنية هى أساس المواطنة.

وحتى عندما خرج اليهود على نصوص هذه الوثيقة وحاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم وجاءه المسلمون ببعض ما أخذوه من اليهود ووجد ﷺ ورقة عتيقة فسأل ما هذه فأجيب بأنها «ورقة من توراة اليهود» قال: «ردوها إليهم فهم أحرى أن يعلموها أولادهم».

ولم يطلب النبى ﷺ من اليهود أن يغيروا كتبهم أو تعاليم دينهم ولم يتدخل فى شىء من ذلك بل حفظ لهم خصوصيتهم واحترم آدميتهم .وتمشياً مع مبدأ الإسلام فى التمكين للدين، وتأليف القلوب، قبل رسول الله ﷺ الدخول فى معاهدة الحديبية، وهى معاهدة رائدة فى التاريخ الإسلامى، حقناً للدماء وحفاظاً على حياة الناس وعندما توجه ﷺ إلى مكة ليفتحها أظهر تواضعاً جماً وحث الناس على الرحمة والتأدب عند دخول البلد الحرام ولما سمع النبى ﷺ أن أحد قادة فرق الجيش وهو سعد بن عبادة قال لأبى سفيان «اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة» عزله الرسول ﷺ وقال **«اليوم يوم المرحمة، اليوم تعظم الحرمة»**.

وعندما دخل مكة وأظفره الله بأهلها الذين اشتدوا عليه وحاربوه ولاحقوه فى كل مكان هو وأصحابه وعذبوهم قال وهو أعلى ما يكون مكاناًومكانة **«اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب (لا ملامة) عليكم اليوم يغفر الله لنا ولكم»**.

وأصدق كلمة قالتها العرب فى وصف عفوه ﷺ فى هذا الموقف **«أخ كريم وابن أخ كريم»**.

وكان هذا اليوم هو يوم العفوالعام، ويوم الانتصار الأعظم، ويوم إقرار السلام واستعادة حرمة الدماء والأموال وتقرير الحقوق وبفتح مكة إنفتح العالم كله أمام الإسلام.

وقد ذهب عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس بناء على طلب البطريرك، وهناك تسلم منه عمر مفتاح المدينة فى محبة وأمن وسلام وأرسل عمر وفداً على رأسه الإمام على ليأكلوا طعاما أعده لهم إخوانهم نصارى فلسطين فى الكنيسة وهناك أيضاً ضرب عمر مثلاً رائعاً فى التسامح والسماحة والتواد عندما رفض أن يصلى فى كنيسة القيامة وعلل لذلك بقوله: «حتى لا يأتى أحد بعد ذلك ويقول هنا صلى عمر بن الخطاب ويحولها المسلمون إلى مسجد بحجة أن عمر صلى فيها».

لقد كان أهل البلاد المفتوحة يرحبون بالمسلمين وينضمون إليهم فى محاربة الذين استعمروا بلادهم وأذلوهم باسم الدين. وكان المسلمون لا يتصرفون مع الناس كمحاربين منتصرين لكن كأهل وإخوان متحابين متعاونين.

ولذلك بقيت العلاقة الإسلامية النصرانية علامة بارزة على التسامح بين أهل الملتين وبقيت الكنائس

والبيع والصوامع كما هى وبقى النصارى فى أوطانهم لم يخرجوا منها.

ولقد كان الخلفاء الراشدون يستحثون المسلمين على البر بالآخرين واحترام حقوق المواطنة لغير المسلمين ففى العهدة العمرية حرّم عمر دماء المسيحيين وأموالهم وأعراضهم والتعرض لكنائسهم بأى أذى أو ضرر.

اكتشفت وثيقة من العهد الأيوبى يوصى فيها الوالى المسلم جنوده ألا يتعرضوا لنصرانى أو لمتعبّد فى صومعته أو كنيسته وأن يبرّوا برجال الدين غير المسلمين وأن يضاعفوا عطاءهم ورواتبهم لأن أصحاب الحاجات يقصدونهم طلباً للمعونة وفى هذا إعانة لهم على ممارسة شعائر دينهم واحترام أهل ملتهم لهم.وعندما مرض أحمد بن طولون حزن عليه المسلمون والنصارى حزناً شديداً وكان النصارى يدخلون المساجد مع المسلمين ليدعوا له بالصحة والسلامة.

وعندما مات الإمام الأوزاعى رضي الله عنه بالشام شهد جنازته كل من كان فى بيروت من النصارى والمسلمين حتى قيل أنه لم يبق فى هذا اليوم أحد فى منزله.

ومما سبق نرى أن المسلمين قد نشروا الإسلام بقوة القرآن، وبحسن السلوك والقدوة الحسنة فقد كانوا مثلاً للسماحة وحسن معاملة الآخرين، ولم يستعمل المسلمون السيف إلا فى البلاد التى كانت محتلة بقوى أجنبية طاغية وكانت هذه القوى تتربص بهم سعياً للقضاء عليهم داخل الجزيرة العربية، وفى منطقة الشام التى كانت دُولَةً بين الروم والفرس على أن الفرس لم يتحمسوا لنشر دينهم فى المنطقة بشكل عام، ولكن الرومان نشروا دينهم بالقوة وفرضوه على أهل البلاد واحتلوا المنطقة باسم الدين وجعلوها قاعدة لحكمهم ومنطلقاً لاستعمار بلدان أخرى ولذلك جاء الإسلام ليحررها ويرد الحقوق إلى أهلها وما حدث من مواجهات بين المسلمين وغير المسلمين إنما كان بين الروم والمسلمين ولم يكن أبداً بين المسلمين والمسيحيين العرب ولهذا فقد دخلت هذه البلدان فى الإسلام فى وقت قصير بل لقد دخل معظمها صلحاً كفلسطين مثلاً التى دعى إليها عمر بن الخطاب وكان النصارى العرب يقفون صفاً واحداً ضد المستعمر الرومانى وقد حدث ذلك الشئ نفسه فى المغرب العربى و فى الحروب الصليبية حيث كان المسيحيين العرب يحاربون فى صفوف المسلمين عدوا مشتركاً وكما هو حادث اليوم فى كل البلاد العربية فالكل شركاء فى وطن واحد.

ولقد أصبح من الحقائق المقررة أن الذين دخلوا فى الإسلام من أهالى الشام ومصر طواعية وبسبب عدل المسلمين وسماحة نفوسهم التى التقت مع سماحة نفوس المسيحيين المصرين والشاميين، إذ لولا هذه السماحة المشتركة ما كان الإسلام ليدخل بهذه السهولة تلك البلاد ويبقى متمكناً فى نفوس أهلها إلى اليوم.

ونختم بهذا المثل الذى يدل على الاندماج شبه الكامل بين المسلمين والنصارى فى مصر ذلك عندما فتح عمرو بن العاص مصر كنانة الله فى أرضه رد البطريرك اصطيفانوس إلى كرسى البطريركية المرقصية فى الإسكندرية بعد غياب دام حوالى ثلاث عشر سنة حيث أبعده الرومان عن كرسيه وقد استقبل عمرو بنفسه هذا البطريرك فى موكب مهيب وهكذا تتجلى سماحة الإسلام نظرياً وعملياً عبر التاريخ.

الهامش:

١ - القاضى أبو يوسف (صاحب الإمام أبى حنيفة) كتاب الخراج، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ص١٦٦ - ١٦٧.

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- دعائم العلاقة الزوجية فى الإسلام وأثرها فى تنمية الابتكار لدى الأبناء (١)
- البصمة الوراثية والأدلة الشرعية (٢)
- موقف الإسلام من مشاركة المرأة فى العمل العام

دعائم العلاقة الزوجية فى الإسلام وأثرها فى تنمية الابتكار لدى الأبناء (١)

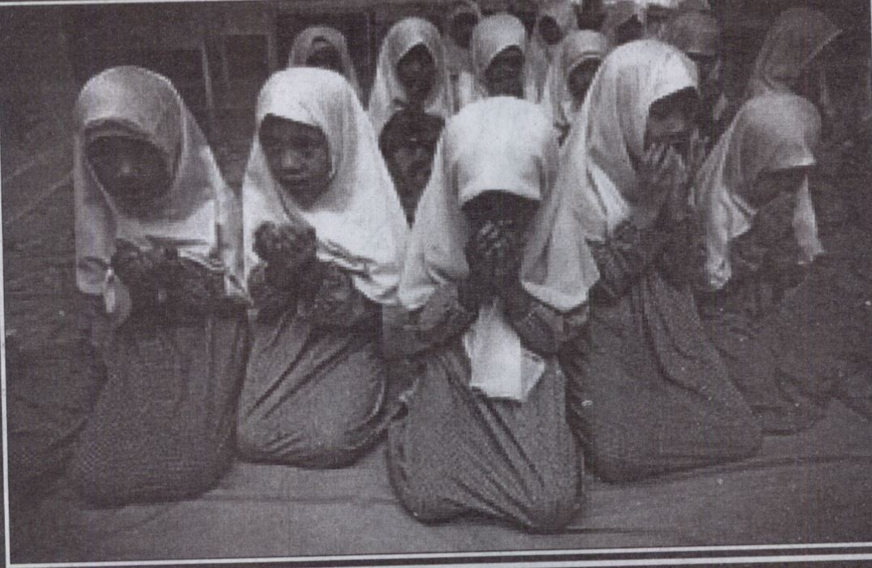

أ. د/ محمد الدسوقى

تتفق كلمة علماء الاجتماع على تباين مذاهبهم على أن الأسرة عماد المجتمع وأنها إذا قامت على أسس قوية استقرت أحواله وتوطدت أركانه، فإذا وهنت الدعائم التى تقوم عليها أسس الأسرة اضطربت حياة المجتمع واختل توازنه، فالأسرة هى الخلايا التى يتألف منها جسم المجتمع، وبصلاحها يصلح هذا الجسم وبفسادها يدب إليه السقم والانحلال.

والذى يلاحظ على الدراسات الاجتماعية المعاصرة أن الاهتمام غلب عليها فيما يتعلق بالأسرة، وبخاصة فى العقود القليلة الماضية، وهو اهتمام يعكس التعبير عن أهمية الأسرة وأنها النموذج الأساسى لتكوين الشخصية، بل هى المهندس الأول الذى يضع تصميم هذا التكوين(١).

ولأهمية الأسرة وأثرها فى المجتمع وجهت الشرائع الإلهية نحوها قسطا كبيرا من العناية والرعاية، والإسلام الذى بعث به محمد ﷺ وهو خاتمة الشرائع، وجاء صالحا للتطبيق، ومن ثم كان دعوة الناس كافة، قد قرر المبادئ والقواعد التى تبنى الأسرة عليها حتى تنهض برسالتها كما ينبغى أن تكون لتسود المجتمع الإنسانى القيم الفاضلة، والحياة الآمنة، ومفاهيم التعاون على الخير والبر.

لعلماء الاجتماع فى نشأة الأسرة وتطورها وأنواعها آراء متباينة(٢)، ولا مجال لعرض هذه الآراء وتحليلها، فضلا عن أنها لا تنهض على أدلة علمية يقينية، وليست سوى محاولات واجتهادات تعتمد على الآثار والنقوش والشعوب البدائية التى عاشت منعزلة عن أمم العالم القديم ولم تتعرض لتيارات الحضارات التى تعرضت لها كثير من الشعوب.

وهؤلاء العلماء مع هذا قد أغفلوا فى دراساتهم للأسرة ووظائفها والأنظمة العديدة(٣) التى مرت بها ما جاء فى الكتب المقدسة(٤) عنها، فالقرآن الكريم قد تحدث عن أصل نشأة الأسرة فى آيات كثيرة، فبين أن الزواج الفردى هو أصل الأسرة، وأنه أقدم نظام اجتماعى عرفته البشرية، وأن الأسرة الأبوية هى الأسرة الأولى فى تاريخ الجنس البشرى، قال الله - تعالى - فى أول سورة النساء: **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾**، وقال تعالى فى سورة الحجرات: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** آية ١٣.

وبالإضافة إلى هذا كله ليس بين علماء الاجتماع اتفاق على رأى واحد فى تفسير الظروف والدوافع التى تمخض عنها وجود الأسرة، وأى أنواعها كان أسبق تاريخيا، وهذا يؤكد ما أومأت إليه آنفا من أن آراء هؤلاء العلماء فى موضوع نشأة الأسرة اجتهادات ومحاولات تخضع للأخذ والرد والقبول والرفض.

وإذا شئنا أن نحدد مفهوما للأسرة، ورجعنا فى هذا إلى معاجمنا(٥) اللغوية فإنها تقدم مادة تدل فى مجموعها على أن الأسرة لدى العرب لا تعنى فقط الرجل وزوجه وأولاده، ولكنها إلى هذا تشمل الأقارب الذين يتقوى بهم فيعقلون الديات ويحمون الظهور.

وهذا المفهوم الواسع للأسرة، كما تحدثت عنها المعاجم اللغوية يعد بعض أقسامها لدى علماء الاجتماع، فقد ذهب هؤلاء العلماء إلى أن الأسرة من حيث نطاقها ثلاثة أنواع:

١ - الأسرة بمعناها الخاص، وهى التى تتكون من الزوجة والأولاد.

٢ - الأسرة بمعناها الواسع، وهى تشمل الزوجين والأولاد وذوى القربى.

٣ - الأسرة بالمعنى الأعم، وهى تشمل كل من يجمعهم أصل مشترك ولو كان بعيدا، وهى منتشرة فى البوادى والقرى(٦).

فالأولاد فى الأسرة إذن جزء جوهرى من تكوينها، وبدونهم تكون كشجرة صوحت أفنانها وتساقطت أوراقها، وهجرتها البلادة المغردة، ولهذا يحرص كل زوجين على أن ينجبا لينعما ببهجة الأطفال والآمال المعقودة عليهم إذا ما بلغوا مبلغ الرجال، وكم من زوجين فرق بينهما العقم على الرغم مما قد يكون بينهما من حب ووئام.

وإذا كان بعض الأزواج يؤثر عدم الإنجاب فرارا من المسئولية، فإن هذا البعض بسلوكه يحارب غريزة فطرية لا ينفرد بها الإنسان وحده ولكنها تشمل الكائنات الحية كلها، ومحاربة الغرائز الفطرية للقضاء عليها مآله البوار بلا مراء، ومن ثم حين يتقدم العمر بهؤلاء الذين فرضوا على أنفسهم الحرمان من انجاب الأولاد فإنهم يشعرون بوطأة هذا الحرمان، ويتمنون لو عاد بهم الزمن إلى الوراء ليبدأوا حياة جديدة تستجيب للفطرة السوية فى حب الإنجاب والذرية، ولكن هيهات.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى أن الأولاد متاع الحياة الدنيا وزينتها **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾** الكهف: آية ٤٦، كما حدثنا القرآن أن بعض الأنبياء توجه إلى الله بالدعاء أن يرزقه الولد وألا يدعه فردا بلا خلف يخلفه **﴿وزكريا إذ نادى ربه رب**

لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين﴾ الأنبياء: آية ٨٩، ﴿وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا﴾ مريم: آية ٦.

فالولد نعمة من نعم الله، ومتعة من متع الحياة، ومن واجب كل والدين رعاية النعمة وتعهدها بالتوجيه والحماية لأن ذلك مسئولية من جهة وشكر عليها من جهة أخرى.

ولن يستطيع الوالدان أن ينهضا بمسئولية الرعاية للأبناء إلا إذا كانت العلاقة بينهما حميمة يسودها الود وحسن المعاشرة على القيام بتلك المسئولية وما أقدسها من مسئولية.

دعائم العلاقة بين الزوجين

مادامت الأسرة لا يتوافر لها المعنى الكامل إلا بوجود الأبناء ومادامت رعاية الأبناء مسئولية مشتركة بين الوالدين، ومادام القيام بهذه المسئولية فى إتقان وإحسان لا سبيل إليه إلا بالصلة الوطيدة بين الزوجين. فماهى الأسس والدعائم التى تقوم عليها هذه الصلة حتى تؤدى الأسرة رسالتها كما ينبغى أن تكون؟

إن أهم هذه الدعائم من وجهة النظر الإسلامية، وهى وجهة لا تعدلها نظم وضعية أو تشريعات بشرية - هى ما يلى:

أولا: لما كان الزواج أساس بناء الأسرة، ولا يمكن أن تقوم أسرة بدون زواج شرعى، عنى الإسلام بالزواج عناية خاصة تفوق عنايته بأية علاقة إنسانية أخرى، ويبدو ذلك فى كل ما عرض له هذا الدين القويم من مسائل الأسرة ابتداء بالخطبة، وانتهاء بالطلاق عند الضرورة.

لما كان الزواج كذلك وجب أن يقوم على الرغبة المشتركة والاختيار المطلق والرضا الكامل، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها الصموت**» رواه البخارى.

وإذا كان الرضا أمرا لابد منه فإن الرؤية لابد منها أيضا ليكون هذا الرضا جديا وقائما على حقيقة، ومنبعثا من شعور، قال رسول الله ﷺ للمغيرة بن شعبة حين خطب امرأة «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**» رواه ابن ماجه والترمذى، أى فإنه أدعى أن يبارك بينكما فتجتمعا على وفاق وخير وتتعاونا على ما فيه صلاح أمركما.

ثانيا: يدعو الإسلام كلا من الرجل والمرأة إلى الحرص على أن يكون اختيار شريك العمر فى رحلة الحياة مناطه الاعتصام بالدين والخلق، فذلك وحده هو السبيل الأمثل لبناء أسرة قوية تكون عمادا لمجتمع قوى.

والنصوص التى تحض على حسن الاختيار، وتحذر من الاهتمام بالأعراض الزائلة دون الاهتمام بالقيم الخالدة كثيرة، منها فيما يتعلق باختيار الزوجة ما روى عن رسول الله ﷺ قال: «**تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء**» رواه البخارى. فعلى الرجل أن يختار زوجة طيبة الأورمة كريمة العنصر، فالعرق دساس، ومن ثم روى أن أبا الأسود الدؤلى (ت: ٦٩هـ) امتن على بنيه باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق فقال لهم: لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا، وقبل أن تولدوا، فقالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها»(٧)، وفى هذا يقول الشاعر:

وأول إحسانى إليكم تخيرى

لماجدة الأعراق باد عفافها

وقد حذر الرسول ﷺ من المرأة التى لا تتمتع بالدين والخلق وإن كانت جميلة لأنها نشأت فى بيئة فاسدة قال: «**إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وما خضراء الدمن يارسول الله؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء**» رواه الدارقطنى.

وقال عروة بن الزبير: ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله بمثل منكح سوء.

وقال الشاعر:

وأول خبث الماء خبث ترابه

وأول خبث القوم خبث المناكح(٨)

وكما وردت الآثار الكثيرة التى تدعو إلى أن يكون اختيار المرأة أساسه الدين والخلق، وردت آثار كثيرة أيضا تدعو إلى أن يقاس الرجل بهذا المقياس الصحيح مقياس الإيمان والتقوى ومن هذه الآثار قول رسول الله ﷺ: **«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»** رواه ابن ماجه.

ولا يفهمن أحد أن دعوة الإسلام لأن يكون مرجع الاختيار فى الزواج إلى القيم الثابتة أنه ينبذ المال والجمال وما إليهما، ولكن الإسلام يجعل الدين والخلق الشرط الأساسى أو الأول لقيام علاقة زوجية، لأن ما سوى ذلك لا يدوم وقد يكون الحرص عليه على حساب ما يجب أن يكون من الدين والخلق فتصبح العلاقة بين الزوجين مادية تفتر أو تنتهى بزوال هذا المتاع الزائل، المهم إسلاميا أن يتمتع كل من الرجل والمرأة بالدين والخلق، فإذا انضم إليهما المال والجمال والحسب فقد جمع الزوجان كل أسباب الخير والسعادة.

ثالثا: الكفاءة.. تعرف الكفاءة لغة بأنها المماثلة والمساواة، وتعنى فى الاصطلاح الفقهى مساواة الرجل للمرأة فى أمور مخصوصة يعتبر الإخلال بها مفسدا للحياة الزوجية.

ولا تعنى كلمة المساواة هنا المعنى الحرفى، وإنما تعنى أن يكون بين الزوجين لون من التقارب فى بعض الأمور حتى يتسنى للعلاقة الزوجية أن تظل قوية لا تعصف بها المشكلات المختلفة، لأن من شأن التقارب بين الزوجين فى المستوى الاجتماعى والمالى وكذلك التقارب فى الوعى والثقافة والسن أن يكون ذلك أنفى للشقاق بينهما وأحفظ للمودة، وأدعى للوفاق والوئام(٩).

والذى لا خلاف عليه أن كل أقوال الفقهاء تؤكد على أن الدين والخلق أساس الكفاءة بين الزوجين، وأن ما سوى هذا من التقارب الاجتماعى والمالى والفكرى لا يعنى خروجا على مفهوم المساواة بين الناس، ولكنه يعنى احتراما للأعراف التى لا تصادم نصا أو قاعدة معلومة من الدين بالضرورة، فضلا عن أن التقارب فى تلك الأمور يساعد على استقرار أساس الأسرة، والإسلام حريص أبلغ الحرص على هذا الاستقرار ولهذا لم يكن احترام ما ذهب إليه الفقهاء حول الكفاءة مناقضا أو متعارضا مع مبدأ المساواة أو فيه اعتراف بالطبقية، وإنما هو تعبير عن نظرة موضوعية ومراعاة لطبيعة النفس البشرية التى تجنح إلى التماثل والتشابه وتنفر من التفاوت والاختلاف.

رابعا: الاحترام المتبادل: لأن العلاقة الزوجية علاقة إنسانية سامية، علاقة قوامها المحبة والمودة والرفق والإحسان، عبر عنها القرآن الكريم بعقدة النكاح كما عبر عنها بالميثاق الغليظ، فإن الاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين يحكم العلاقة بينهما مهما يكن هناك من اختلاف فى الرأى، أو تفاوت فى الحكم على الأشياء، وهذا الاحترام تعبر عنه الآية الكريمة: **﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾**، فالزوجان مطالبان معا بأن يحسن كل منهما إلى الآخر إحسانا يعبر عن التقدير وحسن العشرة، وجميل الصحبة، واحترام الرأى الآخر، فلا استبداد ولا جفوة أو غلظة، وإنما تشاور وتفاهم، وحنان وسماحة وسعة صدر، وتلطف وتجاوز عن بعض الهفوات التى لا يسلم منها إنسان، والدفع دائما بالتى هى أحسن، وأما الدرجة التى أعطيت للرجال فليست إلا درجة المسئولية والرعاية ولا تعنى إلغاء لشخصية المرأة، أو امتهانا لإرادتها واستعلاء عليها.

إن الاحترام المتبادل بين الزوجين دعامة أساسية للحياة الزوجية التى تثمر أطيب الثمرات، وتكفل للأسرة

حياة الاستقرار والاستمرار، فى جو من الطمأنينة والسعادة والأمل المشرق بمستقبل زاهر للأبناء.

خامسا: ولأن عقد الزواج يقوم فى الأصل على التأبيد والاستمرار، ولا يجوز انحلاله إلا إذا أمست العلاقة بين الزوجين أوهى من خيط العنكبوت، وأصبح من الخير لهما أن يتفرقا، فإن الشريعة الإسلامية حرصا منها على أن تظل العلاقة الزوجية قوية حية بمعانى المودة والرحمة تدعو الزوجين إلى علاج ما قد يطرأ على العلاقة بينهما من أسباب النفور والشقاق، وإذا عجز الزوجان عن هذا العلاج وجب على الأمة ممثلة فى أهل الزوجين أولا التدخل والإصلاح، وإنهاء حالة الخلاف والنزاع، فإن لم يستطع أهل الزوجين ذلك كان على ولى الأمر أن يتخذ من الوسائل ما يراها كفيلة بعودة الحياة الطبيعية بين الزوجين، فإذا باءت كل هذه المحاولات بالفشل كان آخر الدواء الكى، فكان الطلاق والفراق. وجملة القول أن العلاقة الزوجية قوامها الرغبة المشتركة، والإرادة الحرة، والقيم الفاضلة، والتقدير والاحترام المتبادل والشعور الصادق ببناء أسرة يظللها الود والتفاهم، وينير دربها الإخلاص والوفاء، ويحمى مسيرتها التغاضى عن اللمم والعمل الجاد لتجاوز المشكلات التى قد تهدد هذا المجتمع الصغير بالاضطراب والقلق والانهيار.

أثر العلاقة بين الزوجين فى تنمية الابتكار لدى الأبناء

مما لا مراء فيه أن الأبناء الذين لا ينشأون فى أسرة، لا يتمتعون بمايتمتع به سواهم ممن نشأوا فى رعاية الوالدين من القوة النفسية والعقلية والجسدية، والاستعداد لمواجهة مسئوليات(١٠) الحياة، مهما يتوافر لهم من وسائل العيش المادية.

لقد أثبتت التجارب أن النشأة الطبيعية للإنسان لا تكون إلا فى ظل والدين تجمع بينهما معانى التفاهم والاستقرار النفسى، وأن الإنسان مهما يتحقق له من أسباب الرعاية الغذائية والصحية فى صغره، ويفقد حنان الأبوين، فإن نشأته لا تكون صحيحة، وتؤثر هذه النشأة على مستقبل حياته.

والأسرة تكفل بيئة نفسية ووجدانية للطفل يكون لها أثرها الفاعل فى نسبة ذكائه، ولهذا كان ابداع الأطفال فى المؤسسات وإقامتهم بها فترة طويلة، يرتبط بتأخر ارتقاء قدراتهم اللفظية والعقلية، وكان الطفل الذى يعيش فى أسرة تتبناه يزيد ذكاؤه عن الطفل الذى يقيم فى إحدى المؤسسات(١١) مدة طويلة.

فالأسرة - إذن - تلعب الدور المهم فى نمو الأبناء عقليا وجسديا، ومهما يكن للمدرسة من أثر فى البناء العقلى للأبناء، فإنهم لا يلبثون بها كل أسبوع إلا نحو اثنتين وأربعين ساعة على حين يظلون بين والديهم وفى رعاية أسرهم نحو مائة وست وعشرين ساعة، ومن هنا كان تأثير الأسرة أقوى، وكان دورها أكبر فى اشباع الحاجات النفسية والعقلية للأبناء من العوامل الخارجية ولا يقلل من هذا الدور أو يلغيه إلا التفكك الأسرى وانشغال الآباء لفترات طويلة خارج المنزل، وميل بعضهم إلى الإفراط فى تدليل(١٢) الأبناء أو التفريط فى توجيههم والإشراف عليهم.

وإذا كانت للأسرة تلك الأهمية فى حياة الأبناء، وأنها تمثل الاطار الأساسى للتفاعل بين الوالدين والنسل، وإذا كان هذا التفاعل يعد من أكثر الظروف تأثيرا على اتجاهات الأبناء وسلوكهم منذ طفولتهم المبكرة، وتستمر فاعليته فى المراحل التالية من العمر - فقد اهتم كثير من علماء النفس بطرق معاملة الوالدين لأبنائهم وما يمكن أن يترتب على ذلك من تشجيع على الابتكار أو تنفير منه منذ مراحل مبكرة من العمر(١٣).

وقبل تفصيل القول فى أسلوب معاملة الوالدين للأبناء، وأثر هذه المعاملة فى تنمية الابتكار، تجدر الإشارة إلى مفهوم الابتكار بإجمال.

معنى الابتكار

ليس فى المعاجم العربية القديمة

حديث عن الابتكار بالمعنى الذى يذكر فى الدراسات النفسية والفلسفية والتربوية الحديثة، وقد أومأت بعض المعاجم المعاصرة إلى أن الابتكار يعنى ابتداع الشىء دون سبق(١٤) إليه، والابتداع هو الإنشاء والبدء على غير مثال سابق، فالابتكار طوعا لهذا هو استقلال العقلية الإنسانية بحيث يكون ما يصدر عنها صورة غير مسبوقة بها، ولا مقلدة فيه سواها.

وقد كثر الكلام فى مفهوم الابتكار لدى علماء النفس والفلسفة والتربية، وتنوعت آراؤهم فى هذا المفهوم(١٥)، وإن كانوا بوجه عام لا يختلفون فى أن الابتكار لا يخرج فى دلالته عن الكشف عن جديد متميز(١٦) فى نوعه أو جديد أصيل له قيمته وفائدته الاجتماعية(١٧)، وأن العوامل التى تكفل له هذا الكشف متعددة من أهمها:

الأصالة والمرونة التلقائية والطلاقة الفكرية، وتعنى الأصالة أن الأفكار تنبعث من الشخص وتنتمى إليه وتعبر عن طابعه وشخصيته، أو هى القدرة على إنتاج أكبر قدر من الأفكار غير الشائعة أو الماهرة(١٨).

وتعد الأصالة الصفة الأولى المبرزة عند كل الشخصيات المبتكرة مهما يكن ميدان الابتكار(١٩).

وأما المرونة التلقائية فتعنى القدرة على إنتاج أكبر عدد من الأفكار التى تنتمى إلى ظاهرة من الظواهر، بمعنى أن يكون هناك ما يسمى بتداعى المعانى، وهو الانتقال من فكرة إلى أخرى أو من استخدام لشىء معين إلى استخدام آخر له، فالمرونة طوعا لهذا تشير إلى قدرة عقلية لا تجمد على فكرة واحدة، وإنما تغوص وراء أفكار متنوعة فى طواعية وتلقائية.

ويراد بالطلاقة الفكرية ما يمكن أن يسمى بسرعة البديهة، وهو القدرة على إنتاج أكبر عدد من الأفكار التى تدور فى فلك واحد وفى وحدة زمنية معينة(٢٠).

وخلاصة القول أن الابتكار يعتمد على مواهب الشخص التى تعبر عن أصالته وتفرده أكثر من اعتماده على ما يقدمه الموقف الخارجى من منبهات وإيحاءات(٢١)، وأن المبتكر إنسان ينفر من التكرار والملل، ويريد أن يحقق إنسانيته تحقيقا متكاملا يعرف التجديد على الدوام، ويضيق كل الضيق بحياة الرتابة أو الجمود والتقليد.

على أن الابتكار لا ينبغى قصره على العلماء الذين يبدعون ويحققون التطور الحضارى للإنسانية، وإنما يشمل كل الذين يتمتعون بالاستقلال العقلى مهما تكون مستويات التفكير لديهم، فكل إنسان ميسر لما خلق له، ومادام لا يلغى عقله ولا يكون ظلا لغيره فى تفكيره فإنه يستطيع أن يقدم فى مجال عمله ابتكارا على نحو من الأنحاء. وهذا ما يراه أصحاب المذهب الإنسانى الذين يذهبون إلى أن الناس جميعا لديهم القدرة على الابتكار وأن الاختلاف بين الأفراد ماهو إلا اختلاف فى الدرجة(٢٢).

تنمية الابتكار لدى الأبناء

إذا كان الابتكار فى مفهومه العام يعنى الاستقلال العقلى ويعبر عن الشخصية بما لها من قدرات وطاقات وإبداعات، فإن تنمية الابتكار لدى الأبناء يحتاج إلى رعاية خاصة تبدأ فى البيت أولا، ثم تنتقل إلى المدرسة وبعد ذلك إلى المجتمع.

وهذه الرعاية فى البيت مسئولية الوالدين، والقيام بهذه المسئولية فى إحسان يقتضى أن تكون العلاقة بين الأب والأم علاقة ود واحترام وتفاهم وانسجام حتى يصبح البيت بيئة يسودها الاستقرار والأمن النفسى، ولا يعرف النزاع أو الشقاق الذى يرتد على البيت بالقلق والخوف من المستقبل المجهول ومن هنا كانت العلاقة بين الزوجين ذات أثر فاعل فى حياة الأبناء، ويتجلى بعض الأثر فى تنمية الإبداع والابتكار، إذا كانت هذه العلاقة تمثل الاستقرار والترابط الحميم بين الزوجين، فقد تبين من عدد من دراسات سير الحياة لبعض الأفراد ذوى

القدرات الإبداعية الفائقة، وكذلك تبين من عدد من الدراسات التجريبية أن آباء المبدعين يمثلون عاملا حاسما فى أدائهم الإبداعى من حيث كونهم نماذج للتوحد معهم ومن حيث استثارتهم لمواهب أبنائهم ومحاولة تنمية هذه المواهب(٢٣).

فبيئة الأسرة المستقرة لها دورها بلا جدال فى تنمية الابتكار لدى الأبناء، وإن كان هناك بين الباحثين اختلاف حول العلاقة بين البيئة الاجتماعية للطفل والعوامل الوراثية، ومدى دور كل منهما فى الإبداع والابتكار، فالبعض يؤكد أن الصفات الوراثية غير العادية هى العامل الأرجح فى إبداع العباقرة وموهبتهم، وأن الخبرات الاجتماعية والتربوية تلى القدرة الموروثة فى الأهمية، ويرى البعض الآخر عكس هذا الرأى(٢٤).

ومع هذا التفاوت فى الرأى حول العلاقة بين البيئة الاجتماعية للطفل والعوامل الوراثية بالنسبة لتنمية الإبداع والابتكار، لا يمكن انكار أن تلك البيئة لها دورها المهم فى هذه التنمية، وأن هذا الدور قد يفوق العوامل الوراثية فى كثير من الأحيان، وذلك أن التجارب دلت على أن أكبر نمو للقدرات العقلية إنما يحدث خلال فترات النمو الأعظم للدماغ والقشرة الدماغية، وهذا النمو يكون فى فترة الطفولة ويكون مصحوبا بزيادة مرموقة فى القدرات العقلية، ومن ثم تتزايد القدرة العقلية للطفل من سن الثالثة والرابعة بمقدار كبير، وأيضا بين الرابعة والخامسة والسادسة(٢٥).

ومادامت المرحلة الباكرة من حياة الطفل تتمتع بهذه الخاصية، خاصية النمو المتزايد للقدرات العقلية، فإن بيئة الأسرة تقوم بالدور الأول فى رعاية هذا النمو ودفعه إلى مجالات العطاء النافع، ولا ريب فى أن هذه الرعاية الأولى تساعد على بناء العقلية الابتكارية التى يرجع إليها الفضل فى تغيير مظاهر الحضارة، وتطوير الحياة الإنسانية.

الهوامش:

١ ـ انظر: دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعى فى المجتمع العربى للدكتور عبدالمجيد سيد أحمد منصور ص١١١، ط. الرياض.

٢ ـ انظر: أصل العائلة لمليحة عونى، ص٧، ط. بغداد، سنة ١٩٦٤م، والأسرة والمجتمع للأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى، ص٧، ط. الحلبى، القاهرة ١٩٤٥م.

٣ ـ انظر: الأسرة والمجتمع، ص٢٤، ٢٥، وما بعدها.

٤ ـ انظر: أصل العائلة ص١١.

٥ ـ انظر: فى هذا لسان العرب لابن منظور، وكذلك تاج العروس للزبيدى والمعجم الوسيط اصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٦ ـ انظر: الأسرة والمجتمع للأستاذ محمد عبدالفتاح الشهاوى، ص١٥ ط. القاهرة.

٧ ـ انظر: المرأة فى الشعر الجاهلى للدكتور أحمد الحوفى، ص١١٨، ط. مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

٨ ـ انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة جـ٤ ص٢ ط. دار الكتب المصرية.

٩ ـ انظر: الفرقة بين الزوجين للشيخ على حسب الله، ص٢٢ ط. دارالفكر العربى، القاهرة.

١٠ ـ انظر: أطفال بلا أسر، ترجمة محمد بدران، ط. القاهرة.

١١ ـ انظر: الأسرة وإبداع الأبناء للدكتور عبدالحليم محمود السيد، ص١١٧، ١٢٢، ط. دار المعارف القاهرة.

١٢ ـ انظر: انحراف الأحداث فى المجتمع القطرى للدكتورة أمينة على الكاظم، حولية كلية الإنسانيات، العدد ١١٨ ص١٣٧.

١٣ ـ انظر: الأسرة وإبداع الأبناء، ص٨٠، ٩٩، مرجع سابق.

١٤ ـ انظر: المعجم الوسيط، مادة «بكر» مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

١٥ ـ انظر: التفوق العقلى والابتكار للدكتور عبدالسلام عبدالغفار، ص١٢٤، ط. دار النهضة المصرية، القاهرة.

١٦ ـ انظر: العملية الابتكارية للدكتور محمود بسيونى ص٢٦، ط. عالم الكتب، القاهرة.

١٧ ـ انظر: التفوق العقلى والابتكار، ص١٧٧.

١٨ ـ المصدر السابق، ص١٥٧.

١٩ ـ انظر: العملية الابتكارية، ص٣٨.

٢٠ ـ انظر: التفوق العقلى والابتكار، ص١٥٧.

٢١ ـ انظر: المعجم الفلسفى للدكتور مراد وهبة، جـ١ ص١، ط. القاهرة.

٢٢ ـ انظر: التفوق العقلى والابتكار، ص١٩١.

٢٣ ـ انظر: الأسرة وإبداع الأبناء، ص١٢.

٢٤ ـ انظر: المرجع السابق، ص٢٠.

٢٥ ـ انظر: النمو والتربية للأستاذة سلوى أبو زيد، جريدة الشرق القطرية ٤ ديسمبر سنة ١٩٩٥م.

موقف الفكر الإسلامى من البصمة الوراثية (٢)

البصمة الوراثية والأدلة الشرعية

المستشار / حسن حسن منصور

أولا : ماهية الأدلة الشرعية:

عرف الفقهاء الدليل فى اللغة بأنه المرشد، وفى الاصطلاح بأنه هو مايترتب على العلم به العلم بالشئ الآخر، وفى بيان ذلك قالوا: إذا اعلم المدعى القاضى بحجته على دعواه، لزم القاضى من هذا العلم مع اقتناعه بهذه الحجة، علمه بصدق المدعى فى دعواه.

لا يعتبر القضاء الإسلامى البصمة حُجة قاطعة لاحتياجها لخبرة عملية دقيقة وحذرة

والأصل فى الإنسان براءة الذمة ما لم يقم الدليل على عكس ذلك، فمن ادعى على غيره حقاً لزمه إقامة الدليل على هذه الدعوى، وإذا دفع المدعى عليه لهذه الدعوى لزمه إقامة الدليل على نفى ما ادعاه المدعى، وهذا ما نبه إلى خطر عدم اتباعه قول رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضى الله عنهما: **«لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ولكن البينة على من ادعى»**، من هنا كانت أهمية إقامة الدليل على الدعاوى أمام القاضى، سواء كان ذلك بالإثبات أو النفى حسب الأحوال، والدليل يوصف بالشرعية إذا كان يستند إلى أصل ثابت من أدلة الأحكام الشرعية، المتمثلة فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان وغير ذلك من هذه الأدلة.

ومن المعلوم أن استظهار الدليل على الدعوى يأتى فى مرحلة لاحقة على إقامتها، وأن وجود هذا الدليل قد يكون معاصرا لحدوث وقائع هذه الدعوى.

ومن الأدلة ما هو مادى بحت يعتمد عليه القاضى مباشرة فى إثبات أو نفى الدعوى، كالكتابة وسماع أقوال الشهود، ومنها ما هو فنى يصدر عن خبير مختص فى أحد شئون الحياة كالطبيب الشرعى أو المهندس أو المحاسب وغيرهم، وللقاضى بصدد هذا الدليل كامل السلطة، فى تقدير الأخذ به أو الإعراض عنه كلية، أو عن دلالته.

ثانياً: سند البصمة الوراثية من أدلة الأحكام الشرعية:

والمقصود بهذه الأدلة هنا كما ذكر علماء أصول الفقه هو: مايمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى حكم شرعى عملى على سبيل القطع أو الظن، وهذه الأدلة حسب قوتها نوعان: الأول: أدلة متفق عليها: وهى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والإجماع، والقياس. والثانى: أدلة مختلف عليها: وهى الاستحسان والاستصحاب والمصالح المرسلة والعرف وسد الذرائع وعمل الصحابى وشرع من قبلنا.

ومن المتفق عليه بين العلماء المختصين فى مجال البصمة الوراثية، أنها تعتمد كلياً على تحلل

الخلية الحية، عن طريق معرفة الحامض النووى الموجود بها، الذى يختلف جزئيا من شخص إلى آخر، وهذا التحليل يتم فى المعامل المتخصصة، بواسطة الفنيين الباحثين فى هذا المجال، وعلى ذلك فإن البصمة الوراثية تعد من الأدلة الفنية التى يستعين القاضى فى معرفتها بأهل الخبرة المتخصصين، وفي النهاية تخضع لسلطة تقديره، كغيرها من الأدلة الفنية بصفة عامة.

فمثلاً: كل طعام وشراب ليس فى الشرع ما يدل على أن حكمه هو الحرمة، فإنه يكون مباحاً، لأن الله تعالى خلق كل ما فى الأرض لينتفع بها الناس، لقوله المحكم: **﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه﴾** (١٣ الجاثية)، قوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾** (٣١ الأعراف)، وغير ذلك من الآيات الدالة على إباحة هذه الأشياء، فتظل كذلك مستصحبة هذا الأصل، يقوم دليل آخر على حرمتها، كمن يسرف فى تناول الطعام والشراب، حتى يتسبب فى إتلاف أحد أعضاء جسمه، فيصير هذا المباح غير ذلك، كالحرام أو المكروه.

ثالثاً: مدى قوة البصمة الوراثية فى التدليل:

لما كانت هذه البصمة من مستحدثات العصر الحالى، فقد اقتصر الحديث عنها على علمائنا المعاصرين، الذين اتفقوا على أنها لاتعدو أن تكون قرينة فى الإثبات أو النفى، تحتاج إلى مايؤيدها من البينات الأخرى، ولا تصل إلى مرتبة الدليل الكامل فى هذا الصدد، ولكن اختلفوا حول قوة هذه القرينة فى الإثبات والنفى على عدة أقوال، نشير إلى بعضها كالآتى:

١ - يرى بعض علماء العصر أن البصمة الوراثية، هى قرينة قطعية، تفوق نسبة النجاح فيها نسبة مائة فى المائة[١]، وقد أخذت بها المحاكم الأوروبية والأمريكية، ليس على أنها دليل، ولكن على أنها قرينة نفى أو إثبات، وليس هناك ما يمنع شرعاً من الأخذ بها فى البلاد الإسلامية، وخاصة أن فيها كثيرا من الضمانات، وتقلل من سلطة القاضى فى التقدير.

٢ - يرى البعض الآخر أن البصمة الوراثية قرينة ظنية، لأنها لا تخلو من نسبة الخطأ، ولو كانت ضئيلة[٢]، وهذه القرينة تخضع لتقدير القاضى، لأن فحوصات البصمة الوراثية وتحليل الدم ليست من الأدلة الشرعية لإثبات أو نفى النسب، ولكن يمكن أن تكون عوامل مساعدة لهذه الأدلة فى الوصول إلى وجه الحق فى الدعوى.

٣ - ويصف البعض هذه القرينة بأنها قوية جداً فى إثبات ونفى النسب[٣]، وهى تزيد فى قوتها على القيافة، ويرى تقديمها على الشهادة.

ولكن الرأى الراجح بين غالبية العلماء المعاصرين، هو أن البصمة الوراثية هى قرينة قوية، لا تقدم على أى دليل شرعى نهائياً، ولا يقام عليها حكم على استقلال، ما لم تدعمها بينات أخرى.

وفى هذا الصدد يتعين إزالة التناقض،

«تستند البصمة الوراثية إلى قاعدة الأصل فى الأشياء الإباحة مالم يقم الدليل على عكس ذلك»

يرى بعض العلماء المعاصرين عدم ضرورة تعدد خبراء البصمة الوراثية لأنها ليست شهادة بالمعنى الشرعى

الذى قد يثار بسبب القول بأن نتائج البصمة الوراثية مؤكدة بنسبة مائة فى المائة، ومع ذلك لا يؤخذ بها كدليل إثبات أو نفى متكامل، وتقف قوتها فى التدليل عند حد القرينة، والتى لا ترقى - مهما كانت درجة قوتها - إلى مرتبة هذا الدليل، وفى سبيل إزالة هذا التناقض يقول العلماء المحدثون: إن البصمة الوراثية الأصل فى نتائجها، أنها قطعية ويقينية، غير أن الظروف المحيطة بها قد تنال من الثقة المطلوب توافرها فى هذه النتائج، حتى تصل بالقاضى إلى درجة اليقين، الذى لا يرقى إليه أدنى شك، فى الأخذ بها فى الإثبات أو النفى، مما أهدر قيمتها العلمية[٤]، ولذا فقد تطلب العلماء المحدثون للعمل بالبصمة الوراثية عدة شروط من الناحية العملية، إذا توافرت كانت هذه البصمة لها قوتها فى التدليل، كقرينة قاطعة، ولكن لا تصل إلى درجة الدليل الكامل، وإلا فلا تتوافر لها هذه القوة، وهذه الشروط هى كالآتى:

(أ) أن تكون المعامل الفنية القائمة على التحليل للوصول إلى البصمة الوراثية، تابعة للدولة وتخضع لرقابتها المحكمة، بعيداً عن الأهواء والأغراض الشخصية، ولا سيما أن واقع حياة الناس، لا يخلو فى كل زمان ومكان من ظواهر فساد ذمم بعض مدعى الحقوق، ولو بالباطل، والذين لا يعدمون من يعينهم على هذا الباطل، من بعض ذوى النفوس الضعيفة، من القائمين على أمر الفحص الموصل إلى نتائج هذه البصمة.

(ب) أن تكون هذه المعامل مزودة بأحدث الأجهزة العلمية الدقيقة، والتى تتمشى مع كل تطور فى هذا المجال، وأن يقوم على العمل بها العدد الكافى من الأطباء والفنيين المهرة، والذين يتمتعون بالصدق وحسن الخلق والحياد التام أثناء مباشرة مهمتهم، ومن المشهود لهم بالأمانة فى أداء عملهم، مع تدريبهم على أحدث ماوصل إليه العلم من تقدم فى هذا الميدان.

(جـ) يرى البعض أنه يشترط فى القائم على التحليل أن يكون مسلماً، ويقيس ذلك على الشهادة، وإن كنا نرى عدم ضرورة هذا الشرط طالما توافرت فيه الشروط السابقة، لأن البصمة الوراثية لا تعدو أن تكون دليلاً فنياً، لا يرقى إلى درجة الشهادة كدليل شرعى له شروطه المبينة تفصيلاً فى الفقه الإسلامى.

(د) يذهب غالبية العلماء إلى اشتراط تعدد الخبراء الفنيين القائمين على إجراء البصمة الوراثية، فلا يقل عددهم عن اثنين، قياساً على الشهادة التى لا يقل نصابها عن رجلين أو رجل وامرأتين، وعلى القيافة التى يشترط بعض الفقهاء للعمل بها أن تكون من قائفين على الأقل.

ولكن ما نراه مناسباً فى هذا الصدد، مايذهب إليه بعض العلماء المعاصرين، من عدم ضرورة تعدد خبراء البصمة الوراثية، لأنها ليست شهادة بالمعنى الشرعى المحدد فى الشريعة الغراء، ولكن لا مانع فى حالة الشك فى عمل الخبير الواحد من الاستعانة بخبير آخر، أو بلجنة مكونة من أكثر من خبير، لتقديم

تقرير مرجح، لإزالة هذا الشك، وزيادة اطمئنان القاضى للنتيجة التى توصل إليها الخبير الواحد، لاسيما وأن جمهور الشافعية والحنابلة والظاهرية، أجازوا الاعتماد على قول القائف الواحد المسلم العدل، فتكون البصمة الوراثية من باب أولى إذا كانت من خبير واحد، لأنها أوثق من القيافة، إذ تصل نتيجتها إلى ماتجاوز نسبة ٩٩٪.

رابعاً : أثر البصمة الوراثية على الأدلة الشرعية:

اختلف العلماء المعاصرون حول مدى تأثير الأخذ بالبصمة الوراثية، على الأدلة الشرعية التقليدية كالشهادة والإقرار واليمين وغيرها، على ثلاثة أقوال هى:

١ - **الأول**: وهو أن الأخذ بالبصمة الوراثية لا يؤثر على الأدلة التقليدية المتفق عليها فى النسب، وهى الفراش والبينة والإقرار، فقيام أى من هذه الأدلة يغنى عن البصمة الوراثية ويكفى وحده. وليس العكس، لأن الأخذ بهذه البصمة يجب ألا يؤدى إلى تعطيل النصوص الشرعية التى تضمنت هذه الأدلة، فهذه النصوص جاء بها الشارع الحكيم للتعبد بها، والأصل فيها الإعمال وليس الإهمال.

٢ - الثانى: وهو أنه فى مجال الأدلة التقليدية المختلف عليها فى النسب، كالقيافة والشبه والقرعة وغيرها، فإن البصمة الوراثية يمكن أن تحل محلها، لأن هذه الأدلة أقرب ماتكون إلى القرائن، وليس الأدلة المكتملة، فإذا تعارضت القرائن مع بعضها، فيؤخذ بالقرينة الأقوى حجة، وهى هنا البصمة الوراثية.

٣ - الثالث: وهو أن الأخذ بالبصمة الوراثية يكفى وحده، ويعد مانعاً من قبول الأدلة التقليدية(٥)، ومن أصحاب هذا القول من يرى أنها مقدمة فى الأخذ على الشهادة وحدها، ماسلف الذكر.

ونرى أن القول الأول هو الراجح، والأولى بالقبول والتعويل عليه فى العمل، ولا مانع من قبول القول الثانى لمنطق حجته، ولكن القول الثالث ننضم إلى غالبية العلماء فى رفضه، لما يترتب عليه من إهدار الأدلة المستقرة المعول عليها فى مجال النسب منذ بداية نزول الشرع الحكيم، وما قد يؤدى ذلك إلى إلغاء النصوص الشرعية التى تستند إليها هذه الأدلة، واستبدالها بالأدوات الفنية الحديثة المستعملة فى الكشف عن البصمة الوراثية، وهذا أمر له خطره على أحكام الشريعة الغراء، ولاسيما أن تقدم العلم لا يقف عند حد، وربما استجدت نظرية علمية ألغت هذه الأدوات ومايترتب عليها، ومن الخير أن نورد هنا ما أشار إليه أحد أنصار القول الأول رداً على القول الثالث بقوله: إن الطرق التقليدية من الفراش والبينة والإقرار، هى ما أجمعت عليه الأمة منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا، فكيف يسوغ أن تتقدم عليها البصمة الوراثية، التى لاتزال حتى الآن فى طور التجربة والاختبار، ويعترف الخبراء بأنه يعتريها الخلل من الناحية الفنية أثناء إجراء التحليل، ومن ثم لم يتفق عليها، حتى محاكم الدول التى اكتشفتها، وعرفت كثيرا من أسرارها فى بادئ الأمر، فعمدة جواز العمل بالبصمة الوراثية، هو قياسها على القيافة، فغاية الأمر أن تأخذ حكمها، وتقع فى منزلتها(٦).

تطبيق عملى للبصمة الوراثية:

هناك تطبيقات عدة للبصمة الوراثية فى مجالات مختلفة، ولو لم يصل الأمر إلى ساحات العدالة، وإذا كان من الصعب الإحاطة بهذه التطبيقات، فإنه تكفى الإشارة إلى واحد منها، وهو فى مجال إثبات النسب.

فمن المستقر عليه فى الفقه والمعمول به أمام جهات القضاء،

أن دعوى النسب باقية على حكمها فى الشريعة الإسلامية، وأن النسب فى جانب المرأة، يثبت بالولادة، ولا مرد لها، وهو إذا ثبت يلزم، ولايحتمل النفى أصلاً، وفى جانب الرجل يثبت بالفراش وبالإقرار والبينة، وهو بعد الإقرار به لايحتمل النفى، ويجوز إثباتها بالبينة، وأن شهادة الميلاد بمفردها ليست حجة فى إثبات النسب، وإن كانت تعد قرينة عليه، إذ لم يقصد بها ثبوته، وإنما جاء ذكره فيها تبعاً لما قصد منها ووضعت له، ولأن القيد بالدفاتر لا يشترط فيه أن يكون بناء على طلب الأب أو وكيله، بل يصح بالإملاء من القابلة أو الأم، فلا يعتبر نسبة الطفل فيها لشخص معين حجة عليه، طالما لم يقر بصحة البيانات المدونة بها.

وعلى ذلك فإن البصمة الوراثية تعد من الأدلة الفنية التى يستعين القاضى فى معرفتها بأهل الخبرة المتخصصين، وفى النهاية تخضع لسلطة تقديره، كغيرها من الأدلة الفنية بصفة عامة، وهى لا تؤثر على سبب النسب، المتمثل فى الفراش، الذى أشار إليه الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ﷺ: **«الولد للفراش، وللعاهر الحجر»**.

ولما كانت هذه البصمة من مستحدثات العصر الحالى، فقد اقتصر الحديث عنها على علمائنا المعاصرين، الذين اتفقوا على أن حجيتها لاتعدو أن تكون قرينة فى الإثبات أو النفى، تحتاج إلى مايؤيدها من البينات الأخرى، ولاتصل إلى مرتبة الدليل الكامل فى هذا الصدد، ومن ثم فإنها إذا تعارضت مع الفراش كسبب للنسب، فإن الفراش يعلو عليها فى الإثبات.

بادئ ذى بدء، يمكن الإشارة بوضوح إلى أن مسألة الأخذ بالبصمة الوراثية فى إثبات أو نفى النسب، لم تعرض موضوعياً حتى الآن على محكمة النقض المصرية، ولم يصدر عنها أية مبادئ فى هذه المسألة، ومن ثم فإن موقف القضاء المصرى من البصمة الوراثية، ينحصر فيما صدر من أحكام ابتدائية أو استئنافية خاصة بهذه المسألة.

وفى الختام:

فإن الخلاصة التى تجدر الإشارة إليها فى هذا الصدد، هى: أن أنظمة القضاء العربى تقوم على الجزم واليقين، ولا تقوم على مجرد الظنون والاحتمالات، ولما كانت البصمة الوراثية ماهى إلا مجرد خبرة يبديها الخبير الفنى، فى المختبر العلمى، ويبدى رأيه حول واقعة مطلوب الكشف فيها، وفضلاً عن ذلك الأخطاء التى قد تعترى البصمة الوراثية أثناء التحاليل البيولوجية، ونظراً لما تتصف به هذه البصمة من تقنية عالية، تتطلب خبرة عملية دقيقة حذرة ونشطة، وهو ما لم تتكفل به كثير من الدول، ونظراً لهذا كله، فإن القضاء العربى الإسلامى لم يعتبرها حجة قاطعة، إنما هى قرينة ظنية، تخضع لتقدير المحكمة، وسلطتها فى استخلاص الوقائع وتقدير أدلة الدعوى المطروحة أمامها(٧).

والله تعالى ولى التوفيق..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

(١) البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها - الدكتور نصر فريد واصل، ص ٤٣.

(٢) البصمة الوراثية ومشروعية استخدامها - الدكتور عمر السبيل، ص ٢٧.

(٣) الدكتور محمد رأفت عثمان - البصمة الوراثية ودورها فى إثبات ونفى النسب - ص ٥٧٥.

(٤) البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الشرعية - خليفة على الكعبى - ص ٢٠٨.

(٥) الدكتور سعد الدين هلال - البصمة الوراثية وعلائقها الشرعية، ص ٢٤٠.

(٦) الدكتور ناصر عبد الله الميمان - البصمة الوراثية وحكم استخدامها فى الطب الشرعى والنسب، المجلد الثانى، ص ٦١٦.

(٧) البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية، الباحث خليفة الكعبى - ص ٨٢.

المخدرات.. حرب التدمير فى عالمنا المعاصر

د. عبدالرحمن عميرة

يتساءل المرء لماذا يطلق على المخدرات بأنها حرب التدمير؟

ولماذا تغمر البلاد الإسلامية ـ بالذات ـ بهذا الكم الهائل المتنوع من كل أصنافها والدين يحرمها.

ومن هم وراء هذه الكميات المتلاحقة التى تأتى بثمن مرة ومن غير ثمن فى كثير من المرات..؟

وما الهدف والغاية من وراء حرب المخدرات هذه المعلنة حيناً والمتخفية تحت ستار الدبلوماسية و«البروتوكولات» مرات..؟

إن ما قرره مجلس الشعب المصرى فى إحدى جلساته يكشف القناع عن هذه الحرب.

لقد قال المجلس كما جاء فى مضبطته: إن هناك دولاً أجنبية تسعى سعياً حثيثاً لنشر وترويج السموم البيضاء فى مصر. ودول الخليج. وإن هذه الظاهرة قد بدأت مع إزدياد حركة السياحة للدول الأجنبية مع مصر.

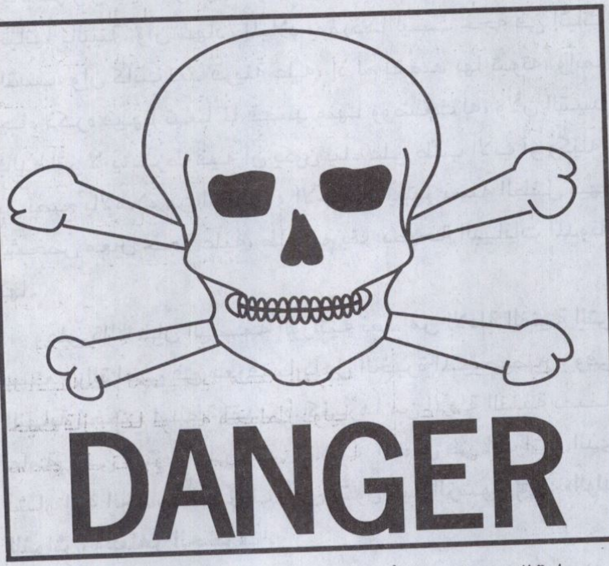

وما قاله مجلس الشعب المصرى فى جلسته أكده وصرح به اللواء حسنى عبد العظيم مدير الإدارة العامة لمكافحة المخدرات فى مصر سابقاً لمجلة الشرق الأوسط قال:

إن إحدى دول الجوار تعتبر أحد المنافذ الرئيسية - بل والمهمة - فى السنوات الأخيرة. بعد عودة العلاقات بينها وبين مصر.

والدليل على ذلك: دخول كميات كبيرة من مسحوق «الهيروين» بطريق مباشر أو غير مباشر.

ثم قال: وذلك تمشيا مع سياستها العدوانية فى تحطيم وتشويه صورة الشباب المصرى. وإغراق الأسواق المصرية بالسموم.

ونتساءل: ماذا تستفيد هذه الدولة من تشويه صورة الشباب المصرى..؟

وماذا تجنى من وراء إغراق الأسواق المصرية والعربية بالمخدرات؟

هل تبغى الربح من وراء ذلك..؟

وهل هى فى حاجة إلى المال..؟

أم أن الحقيقة التى تريدها أكبر من الربح ومن المال...؟؟؟

يقول الدكتور/ أحمد الرزوقى: فى ندوة المخدرات بجامعة الملك عبدالعزيز بالرياض. السعودية.

«تأكد لدى وزارة الداخلية فى المملكة العربية السعودية أن هناك أطرافاً دولية. تعمل بشكل مكثف على غزو المملكة العربية السعودية ودول الخليج بالمخدرات. وهدفها الرئيسى تفتيت المجتمع العربى والإسلامى وتدميره.

وما قاله الدكتور الرزوقى قاله النائب العام لجمهورية مصر العربية حيث قال: إننا نواجه مخططاً دولياً يستهدف تخريب مصر اجتماعيا واخلاقيا واقتصاديا وهذه المخدرات التى تأتى إلينا عبر الحدود والسدود تدفع قيمتها بالعملة الصعبة بما يصل إلى مليارات من الدولارات. وهذا يستنزف رصيد مصر من هذه العملات.

بالإضافة إلى إن إدمان المخدرات من شأنه أن يؤدى إلى تفسخ القوة البشرية. التى هى عصب الأمة.

ولا شك أن هذا يكون له أثر كبير فى ضعف الإنتاج..؟؟[١]

ويؤكد هذه الحقيقة اللواء جميل اليمان مدير عام جهاز مكافحة المخدرات بالمملكة العربية السعودية بقوله:

هناك عصابات يهودية تعمل وتحرض وتسهل عمليات التهريب إلى دول الخليج وخاصة المملكة العربية السعودية.

وقد ذكر أن السلطات فى مكافحة المخدرات بالسعودية تمكنت من ضبط ومصادرة ٢٧٦ ألف حبة مخدرة خلال ست سنوات[٢].

ونقول: ياله من خطب جسيم ٢٧٦ ألف قذيفة وقنبلة موقوتة يوجهها الأعداء إلى شبابنا. ولهذا نستطيع أن نقول ونؤكدأن ما يفعله هؤلاء الأعداء من تصدير هذه السموم إلى بلادنا ليس المقصود به التجارة الرائجة ولا البضاعة المزجاة فقط.

وليست هى أسلوباً من أساليب الربح والخسارة. ولكنها - والحق يقال - نوع من أنواع الحرب الموجهة التى يشنها هؤلاء الأعداء علينا.

إن الذين يحملون هذه المواد إلى بلادنا ليسوا إلاّ جواسيس يرسلهم الأعداء لا لتدمير المنشآت الحربية.

أو كشف الأسرار التكتيكية.

ولكنهم جواسيس يدمرون أغلى شئ تملكه الدولة وتحرص عليه.

إنهم الشباب رصيد الأمة فى السلم والحرب.

رصيد الأمة فى العمل والإنتاج والتصدير.

رصيد الأمة فى شتى ميادين الحياة

ومصداقاً لما نقول ما صرح به أحد الصحفيين فى مصر - حيث قال: أحب أن أحذر كل أب وكل أم فى بلادنا بخطر داهم يهدد الشعب المصرى كله، وهو أشبه بقنبلة ذرية ألقيت على بلادنا.

هذه القنبلة تفتك كل يوم بالآلاف من الشباب والشابات.

وتقضى عليهم أو تحولهم إلى أشباح وإلى مجرمين.

مطلوب من كل أم فى مصر، وفى كل البلاد العربية والإسلامية أن تشترك فى هذه المعركة. وأن تمنع جريمة قتل شاملة يقوم بها عملاء ماتت ضمائرهم، ورضوا أن يكونوا الخنجر الذى يغمد فى ظهر مصر.

ومطلوب من الدولة أن تحارب الآن معركة حياة أو موت.

وأن تضرب بيد من حديد على هؤلاء المهربين الذين يكونون الطابور الخامس ضد بلادنا[٣].

لقد وصف شيخ الصحفيين مروجى المخدرات بأنهم عملاء لدولة أجنبية وليسوا تجاراً يبغون الربح.

واتهمهم بأنهم الطابور الخامس أى جواسيس يعملون لصالح الأعداء ولهذا فهم يخربون ويدمرون ويفسدون فى الأرض.

ولقد قال الله تعالى: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾** المائدة: آية ٣٣.

وبهذا نصل إلى حكمة التشريع فى جعل عقوبة مروجى المخدرات الإعدام.

وقد أفتت هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية فى قرارها الصادر برقم ١٣٨ وتاريخ ١٤٠٧/٦/٢٠ متضمنا ما يلى:

أولا: بالنسبة لمهرب المخدرات فإن عقوبته القتل لما يسببه تهريب المخدرات وإدخالها البلاد من فساد عظيم.

هذا الفساد لا يقتصر على المهرب نفسه بل يتجاوز ذلك إلى الأمة بأسرها ويلحق بالمهرب الشخصى الذى يستورد أو يتلقى المخدرات من الخارج، ويمون بها المروجين.

وبناء عليه فقد صدر أمر خادم الحرمين الشريفين المبلغ من وزارة العدل[٤] ووزارة الداخلية برقم ٤/ب/٩٦٦٦ وبتاريخ ١٤٠٧/٧/١٠ بالعمل بموجبه وتعميمه على المحاكم.

وسيرلانكا، وإيران، (وتحكم على المتعاطى أيضا بالاعدام).

ويتوقع أن تدخل دول مجلس التعاون قريبا هذه القائمة.

ولاشك أن مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية عندما أصدر قراره بقتل مروجى المخدرات، نظر إليهم على أنهم من المفسدين فى الأرض، العاملين على قتل النفوس بهذه السموم.

والله سبحانه وتعالى حكم على المفسدين فى الأرض بالقتل. قال تعالى: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا﴾** المائدة: آية ٣٣.

وقال عند قتل العمد:

﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكانما قتل الناس جميعا﴾ المائدة: آية ٣٣.

ليس هذا فحسب، ولكن مجلس هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية نظر إلى هؤلاء المروجين على أنهم يعملون بترويجهم المسكر والمخدر على إشاعة الفحشاء فى المجتمع وهؤلاء توعدهم الله بقوله:

﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة﴾ النور: آية ١٩.

والذى قال فيهم رسول الله ﷺ:

«من شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته»[٥].

وتارك الصلاة عمداً كافر. كما قال الرسول ﷺ: **«العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»**[٦].

والذى يقع على أمه وذوى أقربائه. زان. والزانى عقابه الرجم فضلا عن تقطيع الأرحام.

قال تعالى: **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** محمد: آية ٢٢.

أما بقية الدول الأخرى التى أصدر قانونها إعدام مروجى المخدرات فهل هذا يتوافق مع شرع الله؟

إعدام مروجى المخدرات

ونقول: لقد ثبت بما لايدع مجالاً للشك أن إدمان العقل للمخدرات يؤدى إلى الجنون، أى فقدان العقل، العقل الذى أوجب فيه الرسول ﷺ الدية كاملة على من يتسبب فى فقده، وذلك فى كتابه إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه.

يقول ابن قدامة: أوجب الرسول ﷺ فى العقل الدية كاملة، لأنه أكبر المعانى قدسا، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان، وبه تعرف حقائق المعلومات، ويدخل به تكليف الشرائع، وهو أيضاً شرط فى ثبوت الولايات وأداء العبادات.

وإدمان الخمر يؤدى فى النهاية إلى الاكتئاب الذى يكون من نتائجه الانتحار:

يقول الشاعر العربي يصف مدمنى الخمر:

يا ساقنى أخمر فى كؤوسكما
أم فى كؤوسكما هم وتسهيد
أصخرة أنا مالى لا تحركنى
هذه المدام ولا تلك الأغاريد

إن كثرة الخمر أفقدت الشاعر الرغبة فى الحياة، ولم تعد - كما كان سابقا - تسبب له النشوة التى كان يشعر بها، بل أصبحت الخمر تسبب له الهم والغم والاكتئاب، حتى أصبح كالصخرة الصماء التى لا تشعر بالفرح ولا تطرب للغناء.

وهذا حال المدمن المكتئب الذى لا تسر عنه الخمر، وتصبح الحياة فى نظره بلا طعم فيلفه اليأس، ويلقى به فى أتون الانتحار.

فإذا علمنا أن احدى الدول أحصت عدد مدمنى المخدرات الذين أعلنوا عن أنفسهم، فتجاوز المليون ونصف المليون، فكم يكون عدد المدمنين الذين يتسترون على أنفسهم..؟

وكم تكون مصيبة هذه الدولة إذا لجأت هذه الاعداد الضخمة إلى الانتحار نتيجة الاكتئاب الذى تصاب به؟ وكما حدث فى الانتحار الجماعى الذى قام به شباب إحدى الدول المجاورة.

إذا عرفنا ذلك أيقنا أن عقوبة الإعدام التى قررتها بعض الدول على مروجى المخدرات أقل مما يجب بكثير.

وثبت أيضا أن المخدرات تؤدى إلى الإضرار بالنفس حتى تفضى بصاحبها إلى الموت المحقق.

وفى تقرير الصحة الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٩١م إن عدد المصابين بالإيدز نتيجة تعاطيهم المخدرات المغشوشة ببودرة الجماجم البشرية المطحونة. تجاوز العشرة ملايين فى دول أفريقيا وآسيا وأوروبا.

وأن هذه المخدرات أدت إلى التوسع فى إنتشار الدعارة وأن عدد الفتيات - فى إحدى الدول التى تدعى الحضارة والمدنية - واللاتى حملن سفاحاً من سن ١٢ إلى ١٧ عن طريق مزاولة هذه المهنة لتوفير ثمن الجرعة من المخدرات - واللاتى لا يصبرن على تعاطيها - بعد أن أصبحن مدمنات تتجاوز ١,٢ مليون فتاة - رغم انتشار استخدام وسائل منع الحمل وتدريسها فى المدارس بدءا من المرحلة الابتدائية.

ولقد تمت ولادة ٤٩٪ منهن ولادة طبيعية ويطلق عليهن فى تلك البلاد الأمهات العذارى.

وتم اجهاض الباقى ويبلغ عددهن ٤٠٠,٠٠٠ حالة أى ٣٨٪ من جميع حالات الحمل السفاح.

فهل إذا لجأت هذه الدول إلى فرض عقوبة الإعدام على مروجى المخدرات الذين تسببوا فى هذا الهول الكبير وهو انحطاط فئة من البشرية إلى درجة يترفع عنها الحيوان. تكون ملومة على ذلك..؟

أم نقول إن هذه العقوبة - والحق يقال - تكون أقل مما يجب..؟

ولقد ثبت بما لا يدع مجالاً للتزيد أو التهويل أن المخدرات تقضى على ثروات البلاد.

أولا: ما تنفقه الدولة لمكافحة هذه السموم، ومنع دخولها ووصولها إلى أيدى المدمنين. ويدخل تحت هذا البند جزء كبير من ميزانية وزارة الداخلية وميزانية حرس الجمارك والموانئ الجوية والبحرية والبرية.

ثانياً: الخدمات الطبية، والمعالجات النفسية والاجتماعية التى تقدم لعلاج المدمنين، هذا إلى إجراءات برامج التوعية بجميع مستوياتها، كما قد تشارك فى هذه النفقات وزارات أخرى كالتعليم والإعلام.

ثالثا: الإنفاق المستتر وهو نوعان:

أحدهما: ما ينفقه المدمنون ثمناً للمواد المخدرة، ويدخل فى ذلك ما يترتب على الإدمان من اختلال ارتباطهم بمواقيت العمل، وكثرة الغياب بسبب اعتلال الصحة، وتناقص إنتاجية المتعاطى.

ثانيهما: الخسائر البشرية التى يتكبدها المجتمع كجزء من المعاناة مع مشكلة المخدرات، والمقصود مجموع الأفراد الذين يخرجون كلياً أو جزئياً من حساب القوة العاملة.

ويأتى فى حساب الأرباح والخسائر البشرية أيضا جميع الأفراد العاملين فى حقل التهريب والاتجار غير المشروع فى هذه السموم.

إن هذه الخسائر تقدر فى الدولة الواحدة بمئات الملايين. ومصداقا لذلك قول الدكتور «التويجرى»:

«إن شاربى الخمر فى عاصمة عربية يتسببون فى خسارة سنوية مقدارها ٣١٩٥ مليونا من الجنيهات، وشرب دولة محدودة السكان ٣,٥ مليون كيلوجرام من المشروبات الكحولية عام ١٩٧١م ارتفعت عام ١٩٨١م إلى تسعة ملايين كيلوجرام، وتنفق دولة عربية على المخدرات ١٥٠٠ مليون جنيه سنويا. وتنفق الأمة العربية وهى فى حالتها الراهنة من التخلف ٦٤ ألف مليون دولار (٦٤بليوناً) سنوياً على الخمور والمخدرات»[٧]

كيف يتخلص المدمنون من الإدمان...؟

وإذا كان ذلك كذلك فما هو الحل...؟

هل تكفى عقوبة الإعدام مع هؤلاء العملاء الذين يقومون بدور الطابور الخامس بالنسبة لأوطانهم..؟

أم أن هذا علاج مؤقت قد يفيد مع هؤلاء العملاء الذى باعوا دينهم وضمائرهم للشيطان وهم المروجون.

وتبقى مشكلة المدمنين فى حياتنا تؤرق كل المخلصين من أبناء هذه الأمة.

إننا نرى ويشاركنا فى هذا الرأى الكثير ممن يرجون الخير للبشرية كلها حيث يتفقون على أن الحل فى الإسلام.

الإسلام الذى يستطيع عن طريق الإيمان الذى يبثه فى النفوس أن يزيل العوامل العديدة التى تدفع بالإنسان إلى تعاطى المخدرات وغيرها من الموبقات.

والإسلام يوجه الطاقات إلى غاية سامية، فلا يجد الشباب هذا الفراغ الذى يلقى إلى التهلكه.

إن الروح الإسلامية التى حررت الجزيرة العربية من إدمان الخمر فى صدر الإسلام، قادرة على أن تحرر الإنسان من ربقة الكحول فى القرن العشرين عن طريق الاعتقاد الدينى العميق.

لقد قال الكاتب الأمريكى الأسود «جيمس بالدون» - وهو يخاطب رفاقه السود: «عودوا إلى دينكم الحقيقى، انزعوا عنكم أغلال المخدرات، واحموا نساءكم من الزنى».

ثم ماذا..؟ لقد استطاع الإسلام أن يفعل مع هؤلاء السود فى أمريكا مالم تستطع أن تفعله أجياله من موظفى الضمان الاجتماعى، ومئات القرارات والدراسات واللجان التى كلفت بإصلاح أحوال السود.

واستطاع الإسلام فى وقت قصير جداً أن يحول هؤلاء البائسين مدمنى الخمور والأفيون والهيروين، ممن فشل فى علاجهم الأطباء النفسيون والمصلحون الاجتماعيون، ونفضوا أيديهم عنهم معلنين أنهم لا علاج لهم إلا الطهارة والنقاء، وتوقفوا فجأة عن الشرب وعن الإدمان.

يقول المؤرخ العالمى «أرنولد توينبى» فى كتابه «محاكمة الحضارة»:

«إن الروح الإسلامية تستطيع أن تحرر الإنسان من رقبة المخدرات عن طريق الاعتقاد الدينى العميق».

فهل يمكن أن تعود لنا الروح الإسلامية...؟

نرجو أن يتحقق ذلك... ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء.

الهوامش:

١ - جريدة الأهرام العدد ١٣٠٦.

٢ - المصدر السابق (الأهرام).

٣ - جريدة الأخبار المصرية.

٤ - والدول التى تحكم بإعدام المهرب والتاجر: هى الصين وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وأندونيسيا، ومصر العربية.

٥ - سبق تخريج هذا الحديث قريبا من هذا.

٦ - رواه الترمذي فى الإيمان ٩، والنسائى فى الصلاة وابن ماجة فى الإقامة ٧٧، وأحمد بن حنبل فى المسند ٥: ٣٤٦.

٧ - مجلة الخليج العدد ١٦.

الإنسان بين الخير والشر فى الحياة

أبراهيم زعبل

من أخذ الدنيا على أنها الغاية التى خلق لها ويعيش من أجلها بعُد بنفسه عن الغاية التى خلق من أجلها وهى عبادة الله تعالى وطاعته طلبا لرضا ربه فى الدنيا والآخرة ثم لم يأخذ منها شيئا أكثر مما قدره الله - عز وجل - له. ولذا فإن غاية المؤمن من الدنيا رضا الله تعالى بطاعته وشكره والحرص على الالتزام بأوامره سبحانه واجتناب نواهيه، وبهذا لا تكون الدنيا غاية إلا لغير المؤمن فقط لأن غير المؤمن كل أعماله وطموحاته واهتماماته تنتهى عند هذه الحياة الدنيا طوال حياته.

والحقيقة أن عمر الانسان فى هذه الحياة الدنيا مظنون غير متيقن. فالإنسان يتوقع أن يعيش فى الدنيا حتى يبلغ السبعين أو الثمانين ولكنه قد يموت فى العشرين أو الثلاثين ومن الناس من يموت وعمره يوم أو شهور ومنهم من يبلغ أرذل العمر.

ومع هذا يظن الإنسان أنه يعيش فى الدنيا أعواما طويلة وظنه هذا ليس مبنيا على يقين. فقد يأتيه الموت فى أية لحظة بينما يستطيع الإنسان أن يعرف عمره فى الآخرة يقينا وهو أنه خالد لا يموت إما منعم فى الجنة أو معذب فى النار وإذا أردنا أن نحكم على الأشياء حكمها الحقيقى بالنسبة للإنسان فلابد أن نأخذ هذا الحجم بمقياس الآخرة. ولكن لغفلتنا وحرصنا على الدنيا نجعل مفاهيم الخير والشر بالنسبة لمعظمنا تتركز على الحياة الدنيا على أساس أنها غاية وليست وسيلة فما يحقق لنا الخير فى الدنيا ويتفق مع مصالحنا ويرضى طموحاتنا هو الخير وما يعود علينا بالضرر ولا يحقق أطماعنا فى الدنيا هو الشر وهكذا لأننا نأخذ المقاييس بمفهوم شخصى حسب مصالحنا الشخصية وهذه مقاييس أنانية ومنحرفة وغير صالحة. وهكذا إذ قسنا الحدث بمقاييسنا الشخصية نجد أنه خير لإنسان وشر لأنسان آخر.

إذن لابد أن هناك مقاييس أخرى صحيحة وضعها الله - عز وجل - فى الكون بمقتضى علمه المحيط وحكمته البالغة فى وضعه - جل شأنه - الميزان الدقيق لحركة الحياة فى الكون. فالله تعالى وضع الميزان الدقيق العادل لحركة الحياة فى الكون لتدور حول مهمة الإنسان فى هذا الكون والتى خلقه الله تعالى من أجلها . ذلك الميزان الذى يحكم كل شىء وأولها وزنه الجمال فى الكون. والجمال فى الكون هو أن يؤدى الشىء مهمته فى الحياة وأول الأشياء فى الكون من المخلوقات الإنسان وعليه أن يؤدى دوره ومهمته كاملة فى الحياة وفق ما أحله الله تعالى وأمره به وما نهاه الله - تعالى - عنه وحرّمه عليه. فإذا عبث البشر بهذه الموازين الإلهية وعطلوها وابتدعوا لأنفسهم موازين وفق أهوائهم ونزواتهم فسدت الحياة وامتلأت بالشقاء وضاع الجمال وكثر البوار.

فالجمال يتحقق فى كل حركة من حركات الحياة ويظهر أثره الجمالى المريح وتعم السعادة به إذا سلمت الحياة فى كل حركة من التزييف أو الإخلال والتحريف أو العدوان على الفطرة التى

فطر الله - عز وجل - المخلوقات عليها، فالطفل مثلا يولد مسلما بالفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه وهذا عدوان على فطرة الحياة وحركتها.

فجمال الله - تعالى - فى كونه مع بداية الحياة لكل مولود، فقد خلق - جل شأنه - كل الخلق على الإسلام ولكن الناس يفسدون هذا الجمال. وكذلك يشب الطفل على البراءة لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا السرقة ولكن يتعلم ذلك ممن يتعاملون معه وهكذا يأتى الخلل على الجمال فى الكون كما يأتى الإنسان أيضا من التدخل الفاسد الضال من البشر.

فالله - عز وجل - يريد منا عمارة الأرض وقد وضع - جل شأنه - فيها آقواتها واحتياجات الحياة على ظهرها واستخلف الإنسان عليها **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾** البقرة: آية ٣٠، ومنحه عقلا يفكر ويميز بين الخبيث والطيب وبين النافع والضار ويتوارث به الحضارات ويضيف إليها.

هذا العقل هو الذى ميز الإنسان على الحيوان، فالحيوان مازال يعيش عيشة البدائية منذ بداية الخلق، لقد حدد الله - عز وجل - مهمة آدم عليه السلام وبنيه فى هذه الحياة الدنيا وأعلن بها الملائكة قبل أن يخلق وذلك فى قوله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٣٠

إن الله تعالى - جل شأنه - خلق الكون على الجمال كما خلقه على الخير. ولكن الفساد جاء لأن الإنسان أعطى حرية الاختيار مع إبلاغه وتعريضه بالحلال والحرام والنافع والضار وما سوف يناله على عمله وقوله من جنة أو نار، ومع هذا أخذ العاصون لأمر الله - تعالى - والكافرون يفسدون فى الكون بسوء اختيارهم وباستجابتهم لأهوائهم وشيطانهم ويدعون أنهم يصلحون كما قال الله تعالى: **﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون* ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾** البقرة: الآيتان ١١، ١٢.

فالله - عز وجل - قد خلق كونه على الأسس الصحيحة السليمة التى تكفل الحياة الطيبة لكل خلقه. لو أن الإنسان أخذ الكون وعاش فيه بتعاليم الله تبارك وتعالى سواء فى النشأة أو فى العمل أو فى التفضيل والاختيار أو فى الوسائل والأسباب ما كان هناك شر ولا شقاء فى الكون لأن كل شىء وضع الله - سبحانه وتعالى - له قواعد الجمال التى تحفظه وتجعله يؤدى مهمته دون حاجة إلى مجادلة أو تغيير أو تبديل، والشر فى الكون لم يأت من القواعد التى وضعت للخلق والتى قام عليها الكون ولكن تدخل الإنسان فيها بأهوائه ونزواته هو الذى يفسدها. فالكون فى خلقه غاية الإبداع يؤدى مهمته كما أرادها الله - سبحانه وتعالى - ولكن فى انسجام وراحة بعيدا عن كل ما يشقى، ويأتى بالأمراض والإفساد فى الكون. فالله - عز وجل - **﴿بديع السموات والأرض﴾** البقرة: آية ١١٧، إن الانسان بابتعاده عن منهج الله تعالى أوجد أمراضا وآفات فى المجتمعات جاءت بالشقاء والشر والله - سبحانه وتعالى - أرسل الرسل - عليهم السلام - بمنهج الله - عز وجل - ليعيدوا إلى الكون انسجامه وجماله.

وعندما نقرأ فى القرآن الكريم قول الحق - سبحانه -: **﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** الإسراء: آية ٨٢، نعرف أن القرآن الكريم قد نزل ليعالج أمراضا قد ظهرت واستفحلت نتيجة البعد عن منهج الله - عز وجل - فعلاج هذه الأمراض والشفاء منها لن يكون إلا بالرجوع إلى كتاب الله القرآن الكريم والسير على منهج الله - تعالى - كما أمرنا به فى قرآنه الكريم وعندما يتم الشفاء ويبرأ المجتمع من الأمراض التى تشقيه ويعانى منها تأتى الرحمة وتختفى هذه الأمراض ونسعد فى الحياة الدنيا وفى الآخرة باتباع منهج الله - تعالى -.

موقف الإسلام من مشاركة المرأة فى العمل العام

فضيلة الشيخ/ شوقى عبداللطيف أيوب

المرأة فى نظر الإسلام شريك أساسى ومهم فى الحياة لها ما للرجل وعليها ما على الرجل من حقوق وواجبات.

وكانت نظرة الشريعة الإسلامية إليها أكبر وأعمق دون غيرها من الشرائع والقوانين الوضعية القديم منها والحديث.

وأكبر برهان على ذلك أن القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين، ودستور السماء إلى الأرض، والمنهج الإلهى الرشيد للبشرية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

اهتم بشأن المرأة اهتماما فاق اهتمامه بالرجل لحكمة يعلمها الخالق: ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك: الآية ١٤.

لهذا نرى أن الكثير من سور القرآن وآياته اختصت بالحديث عن المرأة منذ نشأتها الأولى بل وقبل ولادتها حتى تصير زوجاً، وأما، وجدة.

ومع هذه المكانة السامية التى أولاها الإسلام للمرأة نرى بعض النساء ينخدعن فى هذا العصر ببعض الشعارات التى يرددها أعداء الإسلام عن تهميش الإسلام للمرأة وعدم الإعتراف بكيانها ومعاملتها كسقط المتاع وانتقاص حقوقها وإزدرائها، والعجيب أن هؤلاء النسوة اقتنعن بهذه الإدعاءات الكاذبة والشعارات البراقة الخادعة فأصبحن يطالبن بحقوق ليست لهن أو بأمور ليست فى صالح المرأة كالعرى والحرية المنفلتة وغيرها من الأمور التى تقضى تماماً على كرامة المرأة وسعادتها قضاء مبرماً، ولو علمت هذه النوعية من النساء ما تعانيه المرأة الغربية من اضطراب أسرى وقلق نفسى وضياع روحى وتعب ونصب لحمدت ربها على نعمة الإسلام وسجدت لخالق الأرض والسماوات على ما هى فيه من السكينة والهدوء وراحة البال والسعادة.

لذا أردت من خلال هذا المقال بيان اهتمام الإسلام بالمرأة باعتبارها شريكا أساسيا فى الحياة وعضوا مهما ومؤثرا فى بناء الوطن وصنع الحضارة.

دور المرأة فى صنع الحياة منذ فجر التاريخ:

لقد تحدث القران الكريم عن دور المرأة قبل فجر الإسلام ليلفت نظر المجتمع المسلم إلى الدور الذى تؤديه المرأة فى بناء الأمة وصنع الحضارة.

ففى نبأ موسى عليه السلام، نجد مشاركة امرأة فرعون لفرعون وملئه وجنوده فى الرأى العام فضلاً عن رجاحة عقلها وسداد رأيها - قال تعالى: **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين* فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين* وقالت**

امرأت فرعون قرت عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون﴾ القصص: الآيات ٧ ـ ٩.

وأيضاً نجد المشاركة العملية والفكرية فى مجتمع نبى الله شعيب عليه السلام بمدين بين الرعاة والراعيات بما فى ذلك بنات شعيب النبى عليه السلام قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير* فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير* فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين* قالت إحداهما يأبت استئجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ القصص: الآيات ٢٣ ـ ٢٦.

كما نجد ملكة سبأ تشارك الملأ من قومها فى الرأى لتوصل مبدأ الشورى ويمدحها القرآن لأنها تحكم بواسطة المشاركة فى المؤسسة الشورية على حين يذم فرعون وهو رجل لاستبداده برأيه واستخفافه بالرأى العام قال تعالى: ﴿قالت ياأيها الملؤا إنى ألقى إلىَّ كتاب كريم* إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم* ألا تعلوا علىَّ وأتونى مسلمين* قالت ياأيها الملؤا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون* قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين* قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون* وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ النمل: الآيات ٢٩ ـ ٣٥.

هكذا كانت مشاركة المرأة للرجل فى العمل العام سنة متبعة عبر المجتمعات والرسالات، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم.

مشاركة المرأة فى العمل العام:

لا يمكن لعاقل أن ينكر دور المرأة كشريك أساسى ومهم فى بناء الأمم وتقدمها ورقيها، لأن الحياة لم ولن تستقيم بدون هذه المشاركة.

وعن مشاركة المرأة فى صنع الحياة وبناء الوطن تحدث القرآن الكريم عن دائرتين من دوائر المشاركة بين الرجال والنساء.

الدائرة الأولى:

وهى الدائرة الأسرية التى هى اللبنة الأولى فى بناء صرح الأمة والخلية الرئيسية فى نسيج المجتمع الإنسانى، وعن علاقة المشاركة والتفاعل بين الرجل والمرأة تحدث القرآن الكريم عن الميثاق الغليظ والفطرى الذى يربط بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ سورة النساء: آية ٢١.

وحول تفسير هذه الآية يقول فضيلة الأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوى شيخ الأزهر: «والمراد بالميثاق الغليظ فى قوله: ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ هو ما أخذه الله للنساء على الرجال من حسن المعاشرة أو المفارقة بإحسان كما فى قوله تعالى: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾

شاركت المرأة المسلمة فى بناء الدولة بعد أن بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن يبارك هذا العمل الشجاع

وليس أخذ شىء مما أعطاه الرجال للنساء من التسريح بإحسان، بل يكون من التسريح الذى صاحبه الظلم والإساءة».

التفسير الوسيط للقرآن الكريم/المجلد الثالث

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبة الوداع: **«استوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»** رواه مسلم.

● ومن ألوان المشاركة الحميمة والمؤثرة تلك العلاقة الدافئة بين الرجل وزوجته، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه العلاقة بالسكن والمودة والرحمة، قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** سورة الروم: آية ٢١.

● وعن قيام الأسرة فى الاجتماع والتشاور والتناصح والتعاون فى سبيل تكوين أسرة سعيدة آمنة يعود خيرها على الذرية والمجتمع يقول الحق سبحانه: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾** البقرة: آية ٢٣٣.

ومن يتمعن معنى الآية الكريمة يجد أنها تحمل من أواصر الحب والتعاون بين الزوجين، فى رعاية الأولاد والاهتمام بشأنهم، والتى تصب كلها فى تكوين الأسرة وسعادتها، وذلك عن طريق توزيع العمل بين الزوج والزوجة ومشاركتها فى بناء أسرة قوية وسعيدة.

ذكرت كتب السير أن السيدة أسماء قالت: «تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير ناضح «جمل يسقى عليه الماء» وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه واستقى الماء وأخرز غربه «دلو الجلد» وأعجن ولم أكن أحسن الخبز، فكان يخبز جارات لى من الأنصار وكن نساء صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى وهى منى على ثلثى فرسخ، فلقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه نفر من الأنصار فدعانى ليحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله أنى استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه» رواه البخارى ومسلم.

ولقد تحدث القرآن الكريم أيضا عن التماثل بين الزوج والزوجة فى الحقوق والواجبات فقال تعالى: **﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾** سورة البقرة: اية ٢٢٨.

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن المشاركة والتعاون فى دائرة الأسرة، وقد وردت ضمن سبع عشرة آية تتحدث كلها عن شئون الأسرة وأحكامها من الآية ٢٢١ حتى الآية ٢٣٧ من سورة البقرة ومن خلالها كان الحديث عن الخطوبة، والنكاح، والمعاشرة ، والمباشرة ، والحيض، والطهر والرضاع، والفطام، والإيلاء، والطلاق، والمتعة... إلخ.

والمراد بالمماثلة التى وردت فى الآية الكريمة ليست المماثلة بين الذكر والأنثى فى الفطرة الإلهية التى قد ميزت بينهما كما قال تعالى: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾** وإنما قصد بها المماثلة فى الحقوق والواجبات بين الزوجين فى دائرة الاجتماع الأسرى على النحو الذى يجعل هذه الحقوق والواجبات بالاشتراك كلاً واحداً، ولهذا عرف الصحابة - رضوان الله عليهم - قيمة تبادل الحقوق والواجبات بين الذكر والأنثى.

يقول عبد الله بن عباس - رضى عنهما - فى تفسير هذه المماثلة كما ورد فى كتب السير: (إنى أحب أن أتزين لزوجتى كما أحب أن تتزين لى).

إن المماثلة التى بينتها الشريعة الغراء بين النوعين تحقق مبدأ التكامل بين الذكر والأنثى على النحو الذى لا يطمس التمايز الفطرى بين الذكورة والأنوثة والذى هو سر شوق كل نوع إلى الآخر لأنها مماثلة الشقين المتكاملين لا الندين المتطابقين، إنها مماثلة الاشتراك فى النهوض برسالة الاجتماع الأسرى، وفق المؤهلات الفطرية، كما يجب أن نتفهم جيداً المعنى الجليل للدرجة التى فضل الله بها الرجال عن النساء فى قوله تعالى: **﴿وللرجال عليهن درجة﴾** بأن هذه الدرجة فيها قمة التكريم للمرأة لأنها تلقى بالمسئولية الكبرى والعبء الثقيل على الزوج تجاه زوجته وذلك بتوفير كل مستلزمات الحياة الكريمة لها من مأكل وملبس ومشرب ومسكن وهو ما عبر عنه القرآن فى قوله تعالى: **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** النساء: آية ٣٤.

وهذه الدرجة ليست لكل رجل على كل امرأة، ولا لكل زوج على كل زوجة، وإنما هى للغالب من مجموع الرجال على مجموع النساء بحكم طبيعة التغاير فى الخلقة والقوة والمهارة فى التكاليف بميادين بعينها، وهذه القوامة قد تكون أحياناً للمرأة فى حالة تحملها لعبء الأسرة ومصاعب الحياة فى ظل عجز الرجل وبعض الظروف الطارئة التى قد تحول بينه وبين أداء رسالته، وعن حقيقة المشاركة والتكامل بين النوعين يقول الرسول ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه الصحابى الجليل عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على بيت سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد.

أما الدائرة الثانية:

من دوائر المشاركة بين الرجال والنساء، فهى دائرة الأمة والمجتمع وبمعنى أدق: أى دائرة المشاركة فى جميع ميادين الحياة وفى مقدمة ذلك فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن هذه الفريضة يندرج تحتها كل التكاليف والأحكام السياسية والاجتماعية والاقتصادية والآداب العامة ومنظومة القيم والأخلاق والعادات والأعراف، وعن هذه الفريضة يتحدث القرآن مبيناً تأصيل مبدأ المشاركة بين الذكر والأنثى على قدم المساواة فيقول ربنا - عز وجل - **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾** التوبة: آية ٧١.

إن صورة الأمة الإسلامية هى الصورة الأكبر للأسرة المسلمة، وقد عبر عنها الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى ومسلم: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** متفق عليه.

مشاركة المرأة فى تأسيس الدولة الإسلامية:

لقد تأسست الدولة الإسلامية على أكتاف الرجال والنساء معاً تحت قيادة نبى آخر الزمان، وكان للمرأة دورها الفاعل فى تحمل تبعات الدعوة الإسلامية والعمل على نشرها فى ربوع الأرض ولقد تحدث القرآن الكريم عن البيعة الخاصة التى اختص الله بها النساء دون الرجال لتؤكد على الدور الذى يجب أن تؤديه المرأة دعوياً، قال تعالى: **﴿ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا**

يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ سورة الممتحنة: آية ١٢.

وبهذه البيعة المباركة فتح الرسول ﷺ والقائد لأمته أمام النساء أبواب وآفاق المشاركة فى العمل العام كى تؤدى رسالتها فى الحياة بين تعليم وتعلم وتربية ومشاركة فى جميع أنشطة الحياة وما يتناسب مع إمكاناتها ومهارتها ولا يتصادم مع الفطرة أو ثوابت الدين.

لقد بدأ الإسلام فى طور شريعته الخالدة والخاتمة بالوحى فى غار حراء وكان لأم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ دور لم ينس فى مساعدة الرسول لتحمل تبعات الوحى ونشر الدعوة.

نقلت كتب السيرة بأن الرسول ﷺ حين رجع من غار حراء وقد أعياه شدة الوحى فحدث خديجة قائلا: **«زملونى... زملونى حتى ذهب عنه الروع وأخبرها الخبر فقال لخديجة: لقد خشيت على نفسى، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا - إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق»** فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١.

لقد بدأت الأمة والجماعة المؤمنة بامرأة هى السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - وفى ذلك يقول الرسول ﷺ مبيناً وموضحاً الدور الذى قامت به خديجة - رضى الله عنها - فى تأسيس الدعوة ونهضتها فعن عائشة رضى الله عنها قالت: **«كان النبى ﷺ إذا ذكرت خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت: فغرت يوما فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله - عز وجل - خيرا منها قال: ما أبدلنى الله - عز وجل - خيرا منها - قد آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله - عز وجل - ولدها إذ حرمنى أولاد الناس»** رواه الإمام أحمد.

ولقد بذلت السيدة خديجة جهداً يفوق جهد الرجال فى دعم الرسول ﷺ ودعوته نفسياً وبدنياً ومالياً واجتماعياً حتى واتتها المنية وجاءها اليقين، وقد سمى هذا العام الذى ماتت فيه عام الحزن.. نعم عام الحزن لأن الدعوة الإسلامية فقدت شريكاً مهماً وفاعلاً فى نصرتها.

● وفى ظل المشاركة الصادقة لأم المؤمنين بدأت الدائرة النسائية تتسع فآمنت رقية بنت الرسول ﷺ وجمع كثير من النساء.

مشاركة المرأة فى العبادة:

أما بالنسبة للتكاليف الشرعية فإن للمرأة من العبادة ما للرجل باعتباره صنوه وشريكه قال تعالى: **﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّهُ حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾** سورة النحل: آية ٩٦.

وإذا كانت مشاركات النساء مع الرجال فى أداء كل مناسك الحج والعمرة، فقد ظلت سنة مرعية منذ فجر الإسلام وحتى اليوم، فإن سنة الإسلام فى مشاركة المرأة للرجال فى الأنشطة والعبادات التى تؤدى بالمسجد كانت مرعية ومتبعة فى صدر الإسلام وسنة عملية مارستها المرأة وطبقت فيها وبها حديث رسول الله ﷺ فى صحيح مسلم **«لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد»**.

ولقد استوت فى ذلك فى الصلوات النهارية، وصلوات الليل، وذلك امتثالاً لحديث رسول الله الذى رواه البخارى ومسلم: **«إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن»** وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كما فى الصحيحين **«كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله صلاة الفجر متلفحات بمروطهن»** الثياب غير المخيطة «ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لايعرفهن أحد من الغلس (ظلمة آخر الليل)، ولم يكن المسجد فى ذلك التاريخ مجرد مكان لأداء الصلوات، وإنما كان ديواناً لكثير من الأنشطة التى تشارك فيها النساء الرجال.. ولقد

مارست النساء فى مسجد النبوة الاعتكاف **«روت عائشة - رضى الله عنها - فيما رواه البخارى أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده».**

وغير الصلاة.. والاعتكاف كانت المرأة تزور المعتكف من أهلها بالمسجد، وتحضر مجالس العلم وتلبى الدعوة للاجتماعات العامة وتحضر الاحتفالات التى تقام بالمسجد ومجالس القضاء، بل وكان المسجد «ناديا» يرى فيه راغب الزواج من يخطبها إلى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بالدين والدنيا وفى الاحتفالات بالأعياد كانت المرأة ومنهن الصبايا اللاتى لم يبلغن الحلم يشاركن الرجال فى هذه الاحتفالات وحتى الحيض كن يشاركن فى الاحتفال دون أن يشاركن فى صلاة العيد - وكذلك ربات الخدور، وفى هذه المشاركات التى أمر بها الرسول ﷺ تروى أم عطية فيما رواه البخارى فتقول: «أمرنا نبينا أن يخرج العواتق (من بلغت الحلم استحقت التزويج) وذوات الخدور، والحيض وليشهدن الخير وجماعة المسلمين ودعوة المؤمنين، ويعتزل الحيض المصلى» وعنها كذلك فيما رواه البخارى وكنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها بل وكان الرسول ﷺ يدعو من لديها فضل ثياب أن تعيره لمن لا ثياب لديها كى تشارك فى الاحتفال العام بالعيد.

ولقد سألت أم عطية رسول الله ﷺ فيما جاء بالصحيحين يا رسول الله أعلى إحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب لتخرج؟ فقال: لتلبس صاحبتها من جلبابها.

مشاركة المرأة فى ميادين الجهاد:

لا ينكر أحد أهوال الحرب لما فيها من لقاء السيوف وتطاير الأعناق - ومع هذا كان للمرأة دورها البارز والمحورى فى ميدان الجهاد والدفاع عن بيضة الوطن مثل الرجال سواء بسواء.

فلم يقتصر الأمر عند مشاركة المرأة فى تحمل تبعات الدعوة فقط، بل امتد إلى التضحية بالنفس والمال والأهل والولد فى سبيل نشر الدعوة.

فرأينا المرأة المسلمة فى فجر التاريخ تجود بنفسها فى سبيل الدعوة كما فعلت «سمية بنت خبلط» «أم عمار بن ياسر» لتكون فى طليعة الشهداء، وبذلك لا يقتصر فضل الشهداء على الرجال وحدهم بل شمل الذكر والأنثى معاً.

قال تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون* فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون* يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾** سورة آل عمران: الآيات ١٦٩ - ١٧١.

وعندما انتقلت القيادة الدينية إلى المدينة وتأسست دولة الإسلام شاركت المرأة فى بناء هذه الدولة وانتظمت فى سلك الجيش لترد اعتداء الظالمين وتثبت أقدام المسلمين لأن الله أذن لها بالجهاد مثل الرجل لما وقع على المسلمين الأول عامة من ظلم بين وواضح وذلك بطردهم من أرضهم وديارهم وأموالهم بغير حق، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾** سورة الحج: الآيتان ٣٩، ٤٠.

ولقد بايعت المرأة الرسول ﷺ على الحرب يوم الحديبية تحت الشجرة ونزل القرآن الكريم يبارك هذا العمل الطيب الشجاع للذكر والأنثى قال تعالى: **﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾** سورة الفتح: آية ١٨.

ويقول: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما**﴾ سورة الفتح: آية ١٠.

وعن الربيع بنت معوذ قالت: «**كنا نغزو مع النبى ﷺ فنسقى القوم، ونخدمهم، ونداوى الجرحى، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة**» رواه البخارى.

وهذه أم عمارة بنت كعب الأنصارية تبايع بيعة الرضوان، وتقاتل قتال الأبطال فى غزوة أحد عندما انهزم المسلمون ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا العدد القليل الذى يعد على الأصابع فقد قاتلت أم عمارة ببسالة نادرة وصمدت فى وجه العدو ومعها زوجها وولداها.. لقد وقفت تدافع عن رسول الله ﷺ وتحميه ضد هجمات المشركين البربرية وافتدته بنفسها عندما هجم ابن قميئة يريد طعنه فتلقت الطعنة فى كتفها، ومن فرط شجاعتها وصمودها كان الرسول يطلب من بعض الفارين أن يتركوا لها دروعهم وأسلحتهم.

ولقد أثنى عليها الرسول ﷺ خيراً حين نظر إليها والدم ينزف منها ولا تبالى قائلاً: «من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ما التفت يميناً ولا شمالا يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دونى. لمقام نسيبة بنت كعب يوم أحد خير من مقام فلان وفلان من الرجال» الطبقات الكبرى لابن سعد.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم «الغميضاء بنت ملحان» وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما أى «الخلاخل». تنقلان القرب على متونهما (ظهورهما) فتفرغانه فى أفواه القوم ثم يرجعان فيملآنها ثم يجيئان فيفرغانه فى أفواه القوم» رواه البخارى ومسلم.

المشاركة بالرأى:

● كفل الإسلام للمرأة حقها فى إبداء الرأى والجهر به ولقد ظهر ذلك جلياً منذ بدء الدعوة فكانت المرأة تذهب بشخصها إلى رسول الله ﷺ - قائد الأمة - لتسأله عن كل ما يهم المرأة وتطالبه برفع الظلم إن وقع عليها دون مواربة أو خوف وقد شجعها على هذا الصنيع رسول الله ﷺ وباركته السماء.

● وفى ذهاب خولة بنت ثعلبة إلى رسول الله ﷺ ومجادلته فى قضية الظهار ونصرة السماء لها ووقوفها بجانبها خير دليل على ذلك.

● قال تعالى: ﴿**قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**﴾ سورة المجادلة: اية ١.

● عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «الحمد لله وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبى ﷺ تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله - عز وجل -: ﴿**قد سمع الله قول التى....**﴾ الآيات.. رواه البخارى والنسائى.

● وفى رواية عنها أنها قالت: «تبارك الذى أوعى سمعه كل شئ إنى لأسمع كلام (خولة بنت ثعلبة) ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول: يا رسول الله: أكل مالى وأفنى شبابى ونثرت له بطنى حتى كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى، اللهم إنى أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات ﴿**قد سمع الله قول التى.....**﴾ الآيات.

● وزوجها «أوس بن الصامت» رواه بن أبى حاتم من حديث عائشة - رضى الله عنها-.

المشاركة السياسية:

وكان للمرأة المشاركة المؤثرة فى السلم والحرب على السواء وفى النواحى السياسية.

● ومن أبرز المواقف السياسية ما قامت به أم المؤمنين «أم سلمة» - رضى الله عنها - فقد أنقذت بحكمتها ومشورتها وذكائها وحنكتها الأمة المؤمنة من أزمة سياسية يوم

الحديبية، فعن المسور بن مخرمة ومروان فيما يرويه البخارى قالا: قال رسول الله ﷺ لأصحابه بعد عقده لصلح الحديبية: «قوموا فانحروا ثم احلقوا قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال الرسول ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحد منهم حتى فعل ذلك، فقاموا وجعل بعضهم يحلق بعضاً».

● فشورى أم المؤمنين الحكيمة فى هذه الأزمة السياسية أنقذت الجماعة المؤمنة من أزمة خطيرة عندما وهم كثير من قادة هذه الجماعة أن صلح الحديبية مجحف بالإسلام وأنهم قدموا فيه من التنازلات ما أعطاهم الدنية فى دينهم، ولقد كانت هذه الحكمة من أم سلمة زوج رسول الله مؤهلاً لمشاركتها فى الشورى العامة وأيضاً ثمرة من ثمرات هذه المشاركات، وكم كانت حريصة على المسارعة إلى المشاركة فى الاجتماعات العامة...

ولقد روت فقالت كما جاء فى صحيح مسلم (كان يوماً والجارية تمشطنى، فسمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «أيها الناس (فقلت للجارية استأخرى عنى، فقالت إنما دعا الرجال ولم يدع النساء، فقلت.. إنى من الناس) فهى عضو فاعل ومتفاعل فى الجماعة فتسرع إلى المشاركة فى اجتماعاتها حتى لتؤجل استكمال زينتها حتى لا يفوتها تلبية النداء.

ولقد بلغت المشاركة النسائية ذروتها حين شاركت ثمانى عشرة امرأة مع ثلاثة وثمانين رجلاً فى الهجرة إلى الحبشة وهذا يدل على جلد المرأة وصبرها وتضحيتها، فقد تخطت الصعاب وعانقت الأمواج وفارقت الأهل والأحباب فى تلك الهجرة.

ولقد شاركت المرأة فى العزل والحصار الاقتصادى والاجتماعى اللذين فرضهما معسكر الشرك والبغى على المؤمنين ومن جاورهم فى شعب بنى هاشم ثلاث سنوات، تحملت المرأة فيها ما تحمله الرجل وأكثر بحكم مسئوليتها كزوجة ومربية.

كما لعبت المرأة دور رئيسياً فى المشاركة السياسية منذ بدء الإسلام، وذلك من خلال بيعة العقبة الثانية، فمن بين الخمسة والسبعين الذين عقدوا مع رسول الله ﷺ عقد تأسيس هذه الدولة امرأتان هما: «أم عمارة» بنت كعب الأنصارية، «أم منيع» أسماء بنت عمر بن عدى الأنصارية.

وإذا كان حدث الهجرة من مكة إلى المدينة يمثل بداية التحول العظيم للدعوة الإسلامية وبناء الدولة الفتية الشامخة التى نشرت العدل والسلام والأمن والأمان فى ربوع الأرض، ومنذ تلك اللحظة الحاسمة فى تاريخ الدعوة أصبحت القلة المستضعفة أمة قوية لها شأنها وكيانها.

فقد شاركت المرأة فى هذا الحدث الخطير والعمل العام حدث الهجرة عندما ائتمنت أسماء بنت أبى بكر وأختها عائشة على سر الهجرة الذى توقف على حفظه مستقبل الإسلام وأمته بالرغم من الضغوط التى لاقتهما من جحافل الشرك وأعداء الإسلام، وفى مشاركة أسماء فى التخطيط الجيد والتنفيذ الدقيق لهذا الحدث حتى تم بنجاح منقطع النظير.

إن هذه الحقائق والوقائع إنما تمثل تجسيدا حقيقياً لمشاركة المرأة فى كل الأمور الحياتية والتعبدية للمجتمع المسلم ليظل على هذه السنة الحميدة، سنة التعاون بين النوعين والاختلاط والمشاركة فى العمل العام وفق الضوابط الشرعية التى تعلى قيمة التعاون وتحافظ على الكيان الإنسانى وفى هذا أكبر رد على أعداء القيم وخفافيش الظلام الذين اتهموا الإسلام بانتقاص حق المرأة وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾** الكهف: آية ٥.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل

الحضارة والعلوم

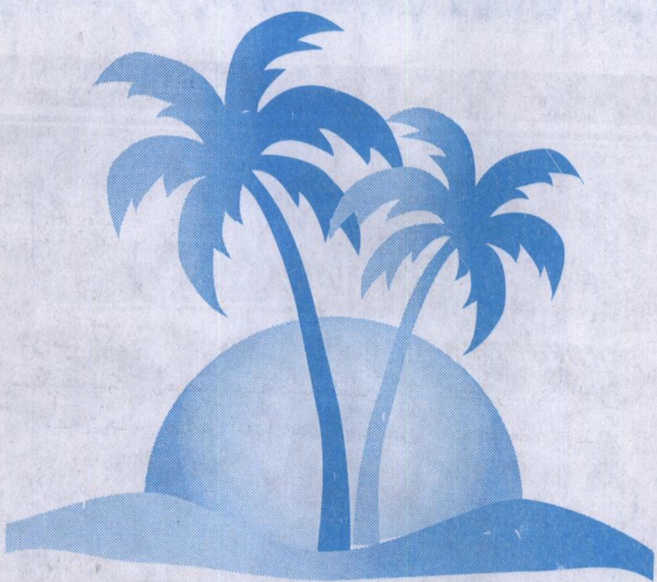

- مكة المكرمة.. عاصمة الثقافة الإسلامية (٢)
- الإسلام والفنون الجميلة (٥)
- وقفات مع عالم الحشرات
- ثقافة الوحدة والمسئولية المتبادلة
- الأوقاف والصيدلة
- «الإنسان الحكيم» تأصيل إسلامى لاسم علمى حديث

مكة المكرمة.. عاصمة الثقافة الإسلامية (٢)

أ.د. محمد السيد على بلاسى

صورة للكعبة المشرفة وقد أخذت سنة ١٣٧١هـ أي قبل ٥٠ سنة تقريبا

لقد توقفنا مليا حين أعلنت مكة المكرمة عاصمة ثقافية للعالم الإسلامى نتأمل ونناقش ونتناظر.

أهى مكة الرمز التى أسس فيها إبراهيم بيت الله العتيق؟ أم مكة الفعل؟ أم مكة الإجراء؟!

فمكة الرمز لا تحتاج إلى تسميتها عاصمة ثقافية لعام من الأعوام؛ فهى القلب فى وجدان وقلب كل مسلم.. ولكن.. ألا يحتاج «الرمز» إلى فعل يمارس على أرض الواقع؟

وإن كان الاختيار هو لإحياء الحماس فى أن تكون مكة المكرمة بالفعل هى العاصمة الثقافية للعالم الإسلامى بما ينبثق منها من نشاط فكرى ثقافى فاعل يجد الرمز فى حيوية ومعاصرة واقتدار، فما السبيل إلى ذلك(١).

فقد وجدت مكة المكرمة لتكون مركز إشعاع دينيا ومعرفيا على مدى الأزمان والقرون، فتعد مكة المكرمة المركز العلمى ممثلا فى نشاط علمائها لم يتخلف عن أداء رسالته العلمية الحضارية عبر التاريخ الإسلامى منذ أصبحت دار إسلام، وإن تفاوتت درجات نشاطه قوة وضعفا حسبما تنعم به من استقرار وأمن وازدهار ورخاء فى المعيشة(٢).

يقرر هذه الحقيقة الحافظ الذهبى إذ يقول: (مكة): كان العلم بها يسيرا فى زمن الصحابة، ثم كثر فى أواخر عصر الصحابة، وكذلك فى أيام التابعين كمجاهد، وعطاء بن أبى رباح، وسعيد بن جبير، وابن أبى مليكة، وزمن أصحابهم كعبدالله بن أبى نجيح، وابن كثير المقرىء، وحنظلة ابن أبى سفيان، وابن جريج ونحوهم..

وفى زمن الرشيد: كمسلم بن خالد الزنجى، والفضيل بن عياض، وابن عيينة، ثم أبى عبدالرحمن المقرىء، والأزرقى، والحميدى،

وسعيد بن منصور.

ثم فى أثناء المائة الثالثة تناقص علم الحرمين، وكثر بعدهما»(٣).

وإن كانت حركة التعليم الدينى فى (أم القرى) لم تتوقف، أو تضعف فى أى عهد من العهود وبرغم كل الظروف والفتن، وإنما ظلت مستمرة مضيئة من القرن الهجرى الأول إلى اليوم؛ وهذا من فضل الله - ولاشك - وحدبه ورعايته للبلد الآمن(٤).

ويوضح هذا علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر، معللا بقوله: «ولقد كانت مكة؛ - ولاتزال - نقطة التقاء، ومركز تجمع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية، ولهذا كانت من أقوى مراكز نشر الثقافة بين تلك الأقطار الإسلامية فى شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها فى مختلف العصور الماضية، ومع انصراف العلماء وغيرهم عن الجزيرة العربية بعد الهجرة بما يزيد على نصف قرن من الزمان. أى منذ انتقال مركز الخلافة منها، وبانتقال الخلافة والسلطان الذين تتيسر سبل الحياة، وتحصل الطمأنينة والهدوء فى كنفيهما. مع ذلك الانصراف فإن مكة المكرمة لها مكانة دينية فى نفس كل مسلم تجعلها دائما - ما بقى المسلمون - مطمح أنظارهم، فهى - فضلا عن كونها تضم مشاعر الحج - وفيها بيت الله المعظم الذى فرض الله حجه على كل مسلم بالغ قادر هى ملتقى المسلمين من مختلف أقطارهم، وهى بحكم دينهم الحنيف - لا يمكن أن ينصرفوا عنها؛ ولهذا فقد أصبحت منذ جاء الإسلام مركزا للثقافة الإسلامية العربية، يجتمع فيها فى كل عام مالا يجتمع فى أية مدينة أخرى من مدن الإسلام!

كان العلماء فى العصور الأولى يقصدونها من مختلف أقطار العالم الإسلامى؛ ليؤدوا ركنا من أركان دينهم، أداؤه فرض، وليضيفوا إلى ذلك أمورا من أهمها: التزود بزاد العلم والمعرفة، فالعالم يفد إليها من أقصى المشرق أو المغرب فيلتقى بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده فيحصل بهذا الالتقاء تقارب وتفاهم، واستزادة علم، وامتداد لروافد المعرفة، وانتشار للأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية»(٥).

وعلى أية حال؛ فلم تعدم مكة المكرمة فى عصر من العصور الإسلامية العلماء والفقهاء النابهين والنابغين سواء من أبنائها أو الوافدين إليها من أبناء العالم الإسلامى.

تبرز هذه الحقيقة التاريخية فى انتساب بعض أبناء الأمم والشعوب الإسلامية إليها بسبب إقامتهم فيها فترة من الزمن تعلما وتعليما؛ فأصبحت لهم ألقاب متنوعة يعرفون بها، وعناوين يتميزون شرفا بها، مثل: إمام الحرمين، جار الله، المكى.. وهى شواهد صادقة للدور العلمى للبلد الحرام فى المجالين الفكرى والعلمى للأفراد بخاصة وللأمة الإسلامية بعامة..(٦).

فى الوقت الذى أنجزت فى الرحاب الطاهرة للمسجد الحرام المبارك الكثير من المؤلفات العلمية القيمة التى كتب الله لها الخلود والذيوع والانتشار فى الأقطار

كانت مكة المكرمة نقطة التقاء ومركز تجمع المسلمين ولاتزال من أقوى مراكز نشر الثقافة بين الأقطار الإسلامية

كثيرة وعديدة تناولت كل العصور والأزمان؛ ولإظهار عينة من ذلك نذكر كتابين من نتاج القرن التاسع يقومان دليلا على ثراء مكة الثقافى ووفرة ما رزقته من أبناء مثقفين وعلماء.

أول الكتابين تأليفا لتقى الدين الفاسى المكى (ت ٨٣٢هـ) ، عنوانه: «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين»، (مطبوع فى مجلدات ثمانية) انصب فيه أغلب اهتمام المؤلف على تراجم علماء مكة مرتبين على حروف الهجاء مسبوقين بالمحمدين والأحمدين، فكانت أعدادهم تصل إلى الآلاف.

وثانى الكتابين ألف بعد الأول بخمسين سنة، إنه كتاب «الدرالكمين بذيل العقد الثمين الذى وضعه النجم عمر بن التقى ابن فهد (ت ٨٨٥هـ) فأكمل فيه ما نقص أو أهمل فى العقد من تراجم المكيين، وذيل عليه بتراجم من ظهروا بعد تأليف العقد فأورد فيه آلافا أخرى من تراجم المكيين.

ويعد الكتابان عنصرين لأول معلمة تاريخية جامعة لأخبار المكيين والمكيات من علماء وفقهاء وأهل ثقافة وأدب. فما بالنا لو أضفنا لهؤلاء المترجمين من أهل مكة من جاء بعد القرن التاسع إلى قرننا الخامس عشر!(٩)

هذا؛ وفى ظل الحكومة السعودية الرشيدة، يمثل القرن الرابع عشر

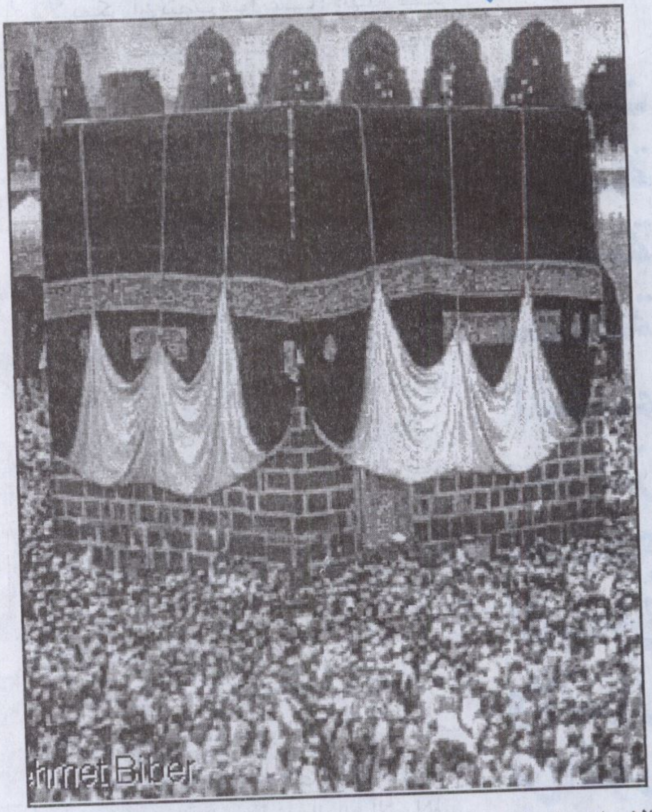

الإسلامية، ومن بينها - على سبيل المثال -: (صحيح البخارى)؛ إذ يقول الإمام محمد بن إسماعيل البخارى: «صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام»(٧).

أيضا تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل): للإمام جار الله الزمخشرى؛ حيث شرع فى تأليفه وأتمه بين ظهرانى الحرم، وبين يدى البيت الحرام، حتى وقع التأويل حيث وجد التنزيل(٨).

وتتجلى لنا قيمة العاصمة المقدسة بما تشارك به فى النمو الفكرى الإسلامى وتقدمه من علماء ضمن الزاد البشرى المثقف للأمة.

فلقد قدمت مكة للثقافة الإسلامية أساطين من العلماء وأعلاما من المثقفين ومشاهير من المفكرين والمنتجين فى العديد من المجالات. وتستبين لنا أهمية هذا الزاد البشرى من العلماء إذا ما طالعنا كتب التراجم والطبقات الخاصة بالمكيين وهى

الهجرى فترة زمنية خصبة بالنسبة لمكة المكرمة؛ حيث ساد البلاد الأمن والرخاء، وأصبح هذا القرن متميزا بارزا بين القرون المتأخرة التى هبت فيها ريح الفتن فعصفت بالأمن والاستقرار؛ فمن ثم عمت البلد نهضة علمية قوية شاملة، وعاد لمكة المكرمة مكانتها كمركز علمى ينبض بكل معانى النهوض والنشاط الفكرى؛ بما هيأه المولى - جل وعلا - من علماء متخصصين من أبنائها وبما أمدها به من العلماء الوافدين إليها من كافة الأقطار الإسلامية.

فى الوقت الذى كان لمكة المكرمة وبالأحرى لفقهائها وعلمائها فضل كبير وأثر بارز على النهضة العلمية فى كثير من البلاد الإسلامية؛ حيث فتحت لأبناء البلاد الإسلامية أبوابها، واستقبلتهم ساحاتها العلمية فى كافة مؤسساتها، لم يكن ليحد من إقامتهم بها أنظمة أو قوانين، وإن هو إلا اقتناعهم الشخصى، وشعور الواحد منهم بأنه قد تزود بالقدر الكافى من العلوم الشرعية وتلقيها على أيدى علمائها الأجلاء، ليعود إلى وطنه لينشر الإسلام ويفقه أبناء جلدته/(١٠) **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾** التوبة: آية ١٢٢.

من هنا؛ ترسخ الطابع العلمى لمكة المكرمة، فأصبحت عاصمة ثقافية لأسباب وجيهة وواضحة فإنه إلى مكة يحج الناس ويأتونها من كل صوب، ويقدمون عليها من كل بلد ومن كل قطر ومصر. ففيها يلتقى الحجيج من عامة أو من مثقفين علماء؛ فيأتى كل منهم بزاده العلمى وقدرته الثقافية وتجاربه الحضارية وتطورات مجتمعه وتغيراته؛ فيكون لقاؤهم فى مؤتمرهم السنوى مباركا ومفيدا؛ لأنه يقدم عملية إعلامية واسعة النطاق تبلغ المعلومة من السند إلى الأندلس ومن السودان إلى تركيا، وقل من كل بلد إسلامى إلى كل بلد إسلامى.

يقدم الوافدون إلى مكة فيهدون إليها شذرات من ثقافاتهم وعلومهم وتهديهم مكة - بدورها - علما واسعا ومعارف نافعة ويجدها الناس قد هيأت لهم جماعات من العلماء وجحافل المثقفين يستجيبون لتطلعاتهم ويجيبون عن أسئلة الحجيج وتوقفاتهم وينشرون معارفهم التى وصلوا إليها ببحثهم ونظرهم كما ينقلون لهم ما بلغهم من فقه وثقافات الأقطار الأخرى؛ أو لذا كان علماء مكة صلة الوصل ونقطة الالتقاء بين علماء المسلمين على اختلاف بلادهم وأمصارهم(١١).

وهكذا؛ كان بلد الله الأمين، مكة المكرمة، يمثل مركز الإشعاع العلمى فى أرض الله، ومصادر العطاء الروحى والنفسى، ومعالم انضباط الذات وصدق السلوك، والتزام المنهج فى كل شئون الحياة ومظاهرها.

ويعد بيت الله الحرام، فى مكة المكرمة، فى طليعة المعاهد والمواطن على الإطلاق منذ فجر الحياة؛ حيث كان أكثرها عطاء وأبعدها عمقا فى إلهام البشرية وتوجيهها، وتحويل مسارها نحو التوحيد والإيمان، والعرفان الحق بالله، وما يصدر عنه فى

قدمت مكة للثقافة الإسلامية أعلاما من المفكرين فى العديد من المجالات تناولت كل العصور والأزمان مما جعلها مركزا للإشعاع العلمى فى أرض الله

نطاق الحق والخير والفضيلة: من أصالة المنهج، وسواء القصد، وسمو الوسيلة، ونبالة الغاية؛ فكان منذ عرفت الدنيا الحياة والأحياء والبشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: الجزيرة الوادعة وسط المحيط، والمنارة الهادية التى تلقى بأضوائها فى كل اتجاه!(١٢).

مناهل الدراسة

أولا: أهم المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم:

١ - أثر الحج فى الحياة الثقافية والاجتماعية عبر العصور: د. محمد الحبيب الهيلة، (ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى - وزارة الحج، سنة ١٤٢٤هـ.

٢ - أخبار مكة: للأزرقى، ط. المطبعة الماجدية بمكة، د. ت.

٣ - أسماء مكة والمدينة فى اللسان العربى: للدكتور/ محمد السيد على بلاسى، الطبعة الأولى - دار الولاء للتراث، سنة ٢٠٠٣م.

٤ - أساس البلاغة: للإمام جار الله الزمخشرى، ط. دار صادر ببيروت، سنة ١٩٧٩م.

٥ - أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعى: حمد الجاسر، الطبعة الأولى - دار الرفاعى للنشر والتوزيع فى الرياض، سنة ١٤٠٢هـ.

٦ - الأمصار ذوات الآثار: للحافظ الذهبى (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان). الطبعة الأولى - دار البشائر الإسلامية ببيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

٧ - تأريخ مكة: أحمد السباعى، الطبعة السابعة - نادى مكة الثقافى الأدبى، سنة ١٤١٤هـ.

٨ - التهذيب: للأزهرى، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

٩ - تأريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى، ط. دار العلم للملايين ببيروت، د. ت.

١٠ - تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد على، ط. المجمع العلمى العراقى ببغداد، د. ت.

١١ - التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام: عبدالقدوس الأنصارى، الطبعة الأولى - مطابع الروضة، الناشر: نادى مكة الثقافية الأدبى، سنة ١٤٠٣هـ.

١٢ - الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة: للإمام جلال الدين السيوطى، تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزت، الطبعة الأولى - دار الأمين، سنة ١٤١٤هـ.

١٣ - الحرم الشريف.. الجامع والجامعة: د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، ط. نادى مكة الثقافى الأدبى، سنة ١٤١٧هـ.

١٤ - صحيح البخارى: تحقيق محمود نواوى (بالاشتراك)، الطبعة الأولى - مكتبة النهضة الحديثة فى مكة المكرمة، سنة ١٣٧٦هـ.

١٥ - عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ: للسمين الحلبى، تحقيق الدكتور عبدالسلام أحمد التونجى الحلبى، الطبعة الأولى - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فى ليبيا، سنة ١٩٩٥م.

١٦ - القاموس المحيط: للفيروزآبادى، تحقيق مكتب التراث فى مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٧هـ.

١٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل: للإمام جار الله الزمخشرى، الطبعة الأولى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى، سنة ١٩٤٨م.

١٨ - لسان العرب: لابن منظور، تحقيق عبدالله على الكبير ومحمد

أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى، ط. دار المعارف. د. ت.

١٩ ـ مختصر كتاب العين: للخطيب الإسكافى، تحقيق د. هادى حسن حمودى، الطبعة الأولى ـ وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان، سنة ١٤١٩هـ.

٢٠ ـ المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر: محمد سعيد العامودى والسيد أحمد على الكاظمى، الطبعة الثانية ـ دار الشروق فى جدة، سنة ١٤٠٦هـ.

٢١ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموى، ط. دار صادر ببيروت، سنة ١٩٥٧م.

٢٢ ـ معانى القرآن وإعرابه: لأبى إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبى، الطبعة الأولى ـ عالم الكتب ببيروت، سنة ١٤٠٨هـ.

٢٣ ـ مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ﷺ: د. أحمد إبراهيم الشريف، ط. دار الفكر العربى، د.ت.

٢٤ ـ مكة المكرمة فى الثقافة المغربية: د. أحمد الريسونى، (ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى ـ وزارة الحج، سنة ١٤٢٤هـ.

ثانيا: المخطوطات:

٢٥ ـ الاشتقاق عند الزجاج.. مع عمل معجم اشتقاقى لغوى من كتبه المتاحة: الدكتور/ محمد السيد على بلاسى، (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر، سنة ١٩٩٣م).

ثالثا: الدوريات:

٢٦ ـ مجلة: «المنهل»: (مجلة شهرية تصدر عن «دار المنهل» فى المملكة العربية السعودية، العدد ٤٧٥، الربيعان ١٤١٠هـ).

الهوامش:

١ ـ من كلمة لمعالى الأستاذ إياد بن أمين مدنى ـ وزير الحج السعودى ـ فى افتتاح ندوة الحج السنوية الكبرى لعام ١٤٢٣هـ فى قاعة التضامن الإسلامى بمكة المكرمة.

٢ ـ الحرم الشريف: الجامع والجامعة: د. عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، ص٦، ٩، ط. نادى مكة الثقافى الأدبى، سنة ١٤١٧هـ.

٣ ـ الأمصار ذوات الآثار: للحافظ الذهبى (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان)، ص١٥٩، الطبعة الأولى ـ دار البشائر الإسلامية ببيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

٤ ـ المختصر من كتاب نشر النور والزهر فى تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر: محمد سعيد العامودى والسيد أحمد على الكاظمى، ص١٠، الطبعة الثانية ـ دار الشروق فى جدة، سنة ١٤٠٦هـ.

٥ ـ أشهر رحلات الحج، ملخص رحلتى ابن عبدالسلام الدرعى: حمد الجاسر، ص١١، الطبعة الأولى ـ دار الرفاعى للنشر والتوزيع بالرياض سنة ١٤٠٢هـ.

٦ ـ الحرم الشريف.. الجامع والجامعة: ص٦، ٧.

٧ ـ ينظر؛ صحيح البخارى: تحقيق محمود نواوى (بالاشتراك)، ٩٦/١، الطبعة الأولى ـ مكتبة النهضة الحديثة، سنة ١٣٧٦هـ.

٨ ـ يراجع؛ الكشاف عن حقائق التنزيل: للإمام جار الله الزمخشرى، ص٣٧٠، الطبعة الأولى ـ مصطفى البابى الحلبى، سنة ١٩٤٨م.

٩ ـ أثر الحج فى الحياة الثقافية والاجتماعية عبر العصور: د. محمد الحبيب الهيلة، ص٤٦٥، ٤٦٦، (ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، الطبعة الأولى ـ وزارة الحج سنة ١٤٢٤هـ.

١٠ ـ الحرم الشريف.. الجامع والجامعة: ص٩، ١٥ ـ بتصرف يسير ـ.

١١ ـ أثر الحج فى الحياة الثقافية والاجتماعية عبر العصور: د. محمد الحبيب الهيلة، ص٤٦٤، ٤٦٥.

١٢ ـ حرمة الحرمين الشريفين: ص١٤.

الإسلام والفنون الجميلة (٥)

أ. د. محمد عمارة

تناولنا فى الحلقة السابقة منهج الإسلام وموقفه من جماليات السماع واليوم نعرض لمنهج الإسلام مع فنون التشكيل رسما ونحتا وتصويرا وهل هو فى خصام حقيقى معها؟ نقول إن هذا الحسبان، هو الآخر، ليس أكثر من وهم من الأوهام.. وسبيلنا إلى إزالة هذا الوهم، ونفى هذا الخصام، هو النظر فى المصادر النقية والجوهرية لهذا المنهج - القرآن والسنة - ثم الاستئناس بآراء واجتهادات بعض الفقهاء - القدماء والمحدثين - فى هذا الموضوع.. وذلك وصولا إلى جلاء الموقف الحقيقى للمنهج الإسلامى من فنون الرسم والنحت والتصوير..

فى القرآن الكريم:

وبادئ ذى بدء.. فإن القرآن الكريم لم يتخذ من التصوير للأحياء موقفا معاديا بإطلاق وتعميم.. بل لقد أناط الأمر بالمقاصد والغايات والنتائج والثمرات.. فإذا كانت الصور والتماثيل وسائل للشرك بالله، وسبلا ينحرف البعض بتعظيمها عن عقيدة التوحيد، كان الرفض لها والتحريم لصنعها هو موقف القرآن.. أما إذا كانت لمجرد الزينة والتجمل والجمال، ولإبراز براعة الإنسان وقدرته، ولتجميل الحياة، وتنمية الحس الجمالى عند الإنسان، وكذلك إذا كانت لتخليد القيم والمعانى والمآثر الطيبة والجميلة.. إلخ.. إلخ.. فإنها عندئذ تصبح من الطيبات المباحة، بل والمقصودة المرغوبة، باعتبارها من نعم الله على الإنسان!

ولقد عرض القرآن الكريم للحديث عن «التماثيل» - صراحة وبالنص - فى مواطن ثلاث.. وجاء حديثه عنها فى أحد هذه المواطن حديث الرافض المحرم.. وفى الثانى حديث العادّ لها من نعم الله على الإنسان. وفى الثالثة حديث العادّ لها معجزة لنبى من أنبياء الله!..

ففى سورة «الأنبياء» وبصدد الحديث عن قوم إبراهيم عليه السلام، أولئك الذين اتخذوا التماثيل أصناما عبدوها من دون الله، جاء حديث القرآن معاديا لهذه التماثيل، ومن ثم - بالتبعية - لصناعتها عندما تستهدف هذا الشرك بالله: **﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين* إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون! قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين* قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين* قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾** الآيات ٥١ - ٥٦.

ولم يقف الموقف القرآنى من هذه «التماثيل» عند حد التسفيه بالقول والحجة والمنطق، بل لقد أراد الله لنبيه إبراهيم أن يحطم هذه «التماثيل» ويمحو وجود هذه الأصنام.. فاستمر سياق القرآن يتحدث عن قول إبراهيم عليه السلام لقومه: **﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين* فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾** الأنبياء: الآيتان ٥٧، ٥٨.

وما صنعه إبراهيم مع «التماثيل» المعبودة، هو ما صنعه خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، عندما طهر شبه الجزيرة العربية من كل أثر لها، وأذن فى الناس، يومئذ وهو يحطمها، قائلا: **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾** الإسراء: آية ٨١.

أما الموطن الثانى الذى عرض فيه القرآن - باللفظ - للحديث عن التماثيل، فكان فى معرض تعداد نعم الله - سبحانه - على نبيه سليمان عليه السلام، فلقد ذكر القرآن «التماثيل» وصنعها وصانعيها باعتبارها من نعم الله

على نبيه سليمان عليه السلام!.. فهو قد سخر له الريح.. وأتاح له عينا تفيض بالنحاس المذاب (القِطْر) ـ .. وسخر له الجن تصنع له بعضا من زينة الحياة الدنيا وجمالها: بيوتا عالية. (محاريب) وحفرا كبيرة ـ (جفان) ـ .. وقدورا راسيات.. وأيضا: «تماثيل» من زجاج ونحاس ورخام، تصور الأحياء، بل وتصور الأنبياء والعلماء! ـ كما يقول المفسرون ـ !..(١) **﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير* يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور﴾** سبأ: الآيتان ٤٨، ٤٩.

«فالتماثيل»، هنا ـ وعند انتقاء مظنة عبادتها ـ هى من نعم الله على الإنسان، وعاملها وصانعها إنما يعملها (بإذن ربه).. وعلى الذين أنعم الله عليهم بهذه النعمة مقابلتها بالشكر لله ـ وأحد مظاهره: اكتشاف ما فيها من جمال! ـ..

أما الموطن الثالث، الذى ورد فيه حديث القرآن عن تماثيل الأحياء، فذلك الذى جاء فيه الحديث عن معجزات نبى الله عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ: **﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل* ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾** آل عمران: الآيتان ٤٨، ٤٩.

.. **﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى..﴾** المائدة: آية ١١٠.

فهى، هنا، وحيث لا مظنة للشرك، ولا خطر على التوحيد: آية من آيات الله، ونعمة من نعمه على عيسى عليه السلام.

إذن.. فموقف القرآن الكريم من التصوير والتماثيل، للأحياء، ليس واحدا، وليس عاما، وليس مطلقا.. فحيثما تكون سبيلا للشرك بالله ـ شركا جليا أو خفيا ـ فهى حرام، والواجب تحطيمها.. أما عندما تنتفى مظنة عبادتها وتعظيمها والشرك بواسطتها، فهى عندئذ، من نعم الله، التى يجب على الإنسان أن يقصد إليها، وأن يتخذ منها سبيلا لترقية حسه وتجميل حياته، وتزكية القيم الطيبة وتخليدها.

هذا عن موقف القرآن الكريم من فنون التشكيل..

***

بل إننا إذا نظرنا فى البلاغ القرآنى، وأمعنا النظر فى أساليبه فى التعبير عن المعانى التى يريد الله إبلاغها إلى العالمين، فسنجد فى هذه الأساليب السبل والوسائل والأدوات التى يعتمدها القرآن لتنمية الحاسة الجمالية لدى الناظر فى هذا القرآن الكريم.

إن بلاغة القرآن هى بعض من

إعجازه.. وهذه الحقيقة لا يمكن إدراكها ووعيها، ومن ثم الإيمان بها إلا من قوم قد ارتقت بهم الحاسة الفنية إلى حيث يدركون مافى هذا الكتاب من أسرار الإعجاز وفنون البيان.. فالإيمان بالإعجاز القرآنى مرهون بازدهار الحاسة الفنية لدى المسلم، وبتحول هذه الحاسة إلى قسمة ملحوظة فى الحضارة الإسلامية، ومن ثم فإن البداهة قاضية بأن يكون القرآن داعيا يزكى تنمية الحاسة الفنية لدى المسلمين!..

وإذا انتقلنا، فى هذه القضية، من مجال التعميم إلى ميدان الدراسة الواقعية رأينا كيف امتلأت سور القرآن الكريم بما نسميه فى الدراسات الأدبية والفنية بـ«التعبير بالصور»، أى رسم الصور الحسية كى تعبر بها آياته عن المقولات والمعانى والأفكار. فنحن، فى القرآن، أمام «لوحات» تعبر بالصور المرئية والمحسوسة عن المعانى والأفكار والمعقولات.. أى أمام «التمثيل» و«التصوير»!..

فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الذين كفروا، فأحبط الكفر أعمالهم، وأضاع الثمار المرجوة من مثلها، نجده «يمثل» هذه «الفكرة» فيعرضها فى «صور» محسوسة، و«يرسمها» فى لوحات فنية تراها العين عندما ينطق بكلماتها اللسان!.. فأعمال هؤلاء الكفار: رماد هبت عليه الريح العاصفة، فلم تبق منه لأصحابه كثيرا ولا قليلا **﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد﴾** إبراهيم: آية ١٨.

ولوحة فنية أخرى يصور فيها القرآن الكريم هؤلاء الكافرين الذين جعلهم تنكبهم عن الحق ودعوته وأهله وهديه بمثابة الصم البكم المعطلة ملكاتهم العقلية، أما مايهذون به فليس إلا النعيق!.. **﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾** البقرة: آية ١٧١.

أما اليهود الذين حولوا كتابهم، التوراة، إلى «شكل» غاب عن ساحتهم ما به من «مضمون»، فإنهم كمثل الحمار، يحمل الكتب الثقيلة الكبيرة دون أن يدرى من مضمونها شيئا، أو ينتفع بقليل من هذا المضمون!.. **﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا والله لا يهدى القوم الظالمين﴾** الجمعة: آية ٥.

أما ذلك البائس الذى آتاه الله الآيات، فانسلخ منها بدلا من أن يلتزمها ويهتدى بها، فإن الغواية قد أصابته ببؤس جعل منه مثل الكلب اللاهث فى كل الحالات.. **﴿واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين* ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾** الأعراف: الآيتان ١٧٥، ١٧٦.

أما هؤلاء الذين تركوا الاستنصار والاستعانة بالله وأسبابه وطرقه، وركنوا إلى غيره، وهما منهم أن لدى هذا الغير نصرا يستعيضون به عن نصر القادر الحكيم، فإن ما يعتمدون عليه لا يعدو، فى قوته «قوة» بيت العنكبوت!.. **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾** العنكبوت: آية ٤١.

● وطلاب الحياة الدنيا.. أولئك الذين يقفون منها عند حدود اللعب واللهو والزينة والتفاخر بما لا يستقر ولا يثبت ولا يدوم.. يرسم القرآن الكريم لهم ولما اختاروه ووقفوا عنده لوحات تجسد لهم الضياع الذى اختاروا والبؤس الذى ينتظرهم انتظار المصير!.. فهذا النبات الذى جادت به الصحراء بعد أن زارها المطر، سرعان ما تصيبه الصفرة، ثم يصبح حطاما!.. **﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة**

من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ الحديد: آية ٢٠.. ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ الكهف: آية ٤٥.. ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يونس: آية ٢٤.

نعم.. كذلك يفصل الله الآيات. وكذلك يصور القرآن الأفكار فيحيل المعقولات إلى صور محسوسة تعرضها آياته الكريمة فى لوحات!

● أما أولئك الذين يفسدون ثمرات إنفاقهم الأموال بالرياء والسمعة والتفاخر، عندما يجعلونها المقاصد والغايات من وراء الإنفاق، فإن إنفاقهم هذا تراب وغبار غطى سفح جبل صخرى أملس، فالناظر إليه يحسبه ترابا، لكن وابل المطر سرعان ما يعرى الزيف ويكشف الصلد ويذهب بثمرات الإنفاق الذى لم يقصد به وجه الله!.. ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ البقرة: آية ٢٦٤، أما إذا كان الإنفاق فى سبيل الخير ومصالح الأمة وابتغاء مرضاة الله، كما هو الواجب، وكما هو شأن المؤمنين، فإن ثمراته تبقى، بل وتزدهر وتتضاعف.. ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ البقرة: آية ٢٦٥.

لوحتان تجسدان الأفكار والمعانى والمعقولات بالصور المرئية والمحسوسة، تعرضهما الآيتان المتتابعتان: فالتراب الذى يعلو الصخر الأملس سرعان ما يذهب به المطر.. بينما يسبب هذا المطر النماء للحديقة التى تعلو الربوة فتؤتى أكلها ضعفين، فشتان ما بين الربوتين المتقابلتين، عندما ينزل المطر عليهما، فتتحول إحداهما إلى صخرة جرداء، بينما تصبح الثانية جنة غناء!..

● والكلمة.. الفكرة.. كثيرا ما تتحول فى آيات القرآن الكريم، بالتمثيل، إلى صورة محسوسة، ينمى إبداعها الحاسة الفنية للمتدبرين المفكرين!.. ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء* تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

وفى مقابل هذه الشجرة، ذات الأصل الثابت الراسخ، والفروع السامقة فى السماء، والتى تعطى طيب العطاء فى كل الأحايين.. فى مقابلها وعلى الضد منها، صورة الكلمة الخبيثة!.. ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ إبراهيم: آية ٢٦.

هكذا.. وعلى هذا النحو تتناثر فى القرآن الكريم تلك «الصور» التى تجسد الأفكار وترسم المعقولات وتحول المعانى إلى لوحات فنية تقرأ باللسان، وترى بالبصيرة، وترتسم فى المخيلة.. وتكاد أن تلمسها الحواس التى تستشعر جمال إعجاز القرآن الكريم.

وهكذا.. تتحالف هذه السبل من التعبير الجمالى والتربية الجمالية، مع صريح موقف القرآن من التماثيل، كنشاط جمالى، على بيان الموقف الحقيقى للقرآن الكريم من فنون التشكيل الجمالى - رسما ونحتا وتصويرا -.. وهو الموقف الذى يرى فيها نعمة من نعم الله وآية من آياته؛ إذا أمن الناس الشرك والتعظيم لغير الله.

الهامش:

١ - القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ٤ ص٢٧١.

وقفات مع عالم الحشرات

أ. د/ حسنى حمدان الدسوقى

أمم أمثالكم:

عالم تتجلى فيه دقة الصنعة وعجائب القدرة، دقيق فى خلقه، بديع فى سلوكه، إياك أن تنظر إليه متأففاً، فرب العزة فى علاه لا يستحى أن يضرب به المثل بأحد أممه. ها قد عرفت الآن أى عالم نحن بصدد الحديث عنه.. إنه عالم الحشرات، وعلى وجه الخصوص عالم النمل وعالم النحل.. نعم يحق أن يقال لكل منهما عالم لما يحويه من عجائب.. ولا تتعجب فقد علمنا القرآن الكريم أن نقف متأملين أمام كل خلق الله حيث نتعلم من القرآن قبل أن يخبرنا العلم الحديث عن تقسيم الكائنات حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾. (الأنعام: ٣٨).

وكلمة الأمة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى نحو من خمسين موضعا تشير إلى الأمة الواحدة، وهى أمة الإسلام التى تذعن لربها الذى يلزمها بلزام التقوى، حيث يقول الحق جل وعلا: **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾** (الأنبياء: ٩٢) ويقول سبحانه وتعالى أيضا: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** (المؤمنون: ٥٢).

وأمم البشر يتعاقب بعضها بعد بعض مصداقا لقوله تعالى: **﴿كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم..﴾** (الرعد: ٣٠). وكانت الأمم فى الأصل أمة واحدة **﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾** (البقرة: ٢١٣). ولكل أمة أجل، وأمة اليهود قطعت فى الأرض أمما، والأمم من الجن والإنس، وخير الأمم هى الأمة الوسط، وهى أمة الأسلام، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾**

دقة تكوين مستعمرة النمل وتنظيمها يعكس برمجة معدة سلفا ويعتبر بمثابة وحيٍ من السماء

(البقرة: ١٤٣) وقوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف**﴾ (آل عمران: ١١٠). وكما أن لكل أمة أجل، فلكل أمة رسولها، ولكل أمة منسكاً، ومن كل أمة شهيد. ومن العرض السريع للآيات التى وردت فيها كلمة أمة فى القرآن الكريم، ولعل الصواب يجانبنى إذا رأيت أن أرجى آية فى هذا المقام هى الآية التى تصدرت بها الحديث. ﴿**وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾. والشىء الذى يستحق التدبر حقا هو لفظ (**أمثالكم**) فما معنى المماثلة فى الآية. فى ذلك قال المفسرون كلاما جميلا، فقال مجاهد أصناف لهن أسماء تعرف بها كما تعرفون. وقال سفيان بن عيينة: أى ما من صنف من الدواب والطير إلا فى الناس شبه منه، فمنهم من يعدو كالأسد، ومن يشره كالخنزير، ومنهم من يعوى كالكلب، ومنهم من يزهو كالطاووس، وقال الزجاج: أمثالكم فى الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص، وقيل هى أمثال لنا فى التسبيح والدلالة.

ترى هل يضيف العلم الحديث شيئا يضاف إلى مفهوم المماثلة؟ هذا ما سوف نشير إليه لاحقا.

ولكى تتم الفائدة نشير إلى ختام الآية فى قوله تعالى ﴿**ثم إلى ربهم يحشرون**﴾ أى للجزاء وقد ورد فى خبر أبى هريرة فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**» تلك **كانت الوقفة الأولى كمقدمة للحديث عن عالم الحشرات.**

البعوضة فى القرآن

والعاقل لا يحقر من خلق الله شيئا حتى ولو كان الشىء حشرة فإذا كان رب العزة تبارك وتعالى لا يستحى أن يضرب مثلا بعوضة **وتلك الوقفة الثانية**. وقفة تدبر وتعلم، حيث يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿**إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين**﴾ (البقرة: ٢٦) ولنا وقفة مع شيئين فى الآية الكريمة السابقة: مع كلمة (**بعوضة**) ومع (**فما فوقها**). وسنبدأ بالثانية بعد أن نشير إلى تفسير قوله تعالى: ﴿**فما فوقها**﴾. قال الكسائى وأبو عبيدة وغيرهما معنى (فما فوقها) - والله - أعلم - ما دونها، أى **أنها فوقها فى الصغر**. وقال قتادة وابن جرير: **المعنى فى الكبر**، وحتى تكتمل الفائدة ننقل ما ذكره ابن كثير فى تفسيره، حيث ذكر: وقوله تعالى فيه قولان: **أحدهما: فما دونها فى الصغر والحقارة.**، وهذا قول أكثر المحققين، والثانى: **فما فوقها لما هو أكبر منها** لأنه ليس شيئا أحقر ولا أصغر من البعوضة وهذا قول قتادة ابن دعامة واختيار ابن جرير.

رحم الله قتادة وابن جرير فلو كانا يعلمان موضع البعوضة فى التقسيم الحالى لمملكة الحيوان كما نعلم اليوم لقالا إن هناك ما هو تحت البعوضة فى التقسيم.

وماذا دون (أقل) من البعوضة من

حيث رتبة التقسيم ودرجة تخصص الأعضاء؟

دونها كائنات مملكة وحيدة عديمة النواة (Kingdom Monera) التى تضم كائنات تتراوح أعمارها من ٣٨٠٠ مليون سنة حتى الآن، وقد بدأ خلقها قطعا قبل خلق البعوضة، وتضم البكتيريا والسيانوبكتريا (الطحالب الخضراء المزرقة) وغيرها. **دونها** مع بعض السمو على ما سبق كائنات مملكة طلائع الأوليات (Kingdom Protista) التى تضم الكائنات وحيدة الخلية ذات النواة عديمة الأنسجة، والطحالب الخضراء المصفرة والطحالب البنية المذهبة والمشطورات والكوكوليث والسوطيات والأوليات والهدبيات وغيرها. ودونها أيضا كائنات مملكة الفطر (Kingdom Fungai) فإذا ما تتبعنا تقسيم المملكة الحيوانية التى تنتمى إليها البعوضة نجد الكائنات التى دون البعوضة تنتمى إلى قرابة عشرين قبيلة، منها كائنات الأسفنج والمرجان والديدان المفلطحة والحزازيات والمسرجيات والديدان الحلقية ثم تأتى قبيلة المفصليات التى تنتمى إليها الحشرات التى منها البعوضة.

فماذا فوق البعوضة فى الرقى فى تقسيم كائنات المملكة الحيوانية؟

فوقها ست قبائل منها الرخويات (المحار والقواقع والرأسقدميات)، وبعض الديدان، وشوكيات الجلد مثل قنافد البحر ونجوم البحر وغيرها من الكائنات الحية والبائدة، وكائنات قبيلة النصف حبليات وأخير الحبليات التى منها الفقاريات التى تضم كائنات راقية مثل الأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات التى ينتمى إليها الإنسان.

نخلص مما سبق ذكره إلى أن موضوع البعوضة فى تقسيم الكائنات ليس متدنيا، وصدق الله فى اللفظ المعجز **(فما فوقها)** الذى يحتمل ما دون البعض فى الصغر والدقة أى أقل منها وما فوقها فى الكبر. لفظة معجزة وردت فى كتاب الله قبل أن يصنف العلماء الكائنات بما يزيد عن ألف عام. وصدق الله حيث يقول **﴿فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم﴾** تأمل لفظ (يعلمون) فى الآية.

أما الوقفة الثانية والمتعلقة بكلمة بعوضة بصيغة التأنيث تجعلنا نرجع إلى تقرير اللجنة العلمية لهيئة الإعجاز العلمى بجدة وفيه نجد «أن البعوضة حشرة ضئيلة من ثنائيات الأجنحة، لا يتغذى ذكرها إلا على رحيق الأزهار فحسب، وليس له أى دور نهائيا فى اللسعات المعهودة، ولكن الأنثى فمها مصمم لثقب جلد الإنسان والحيوان ذات الدم الحار... وتفرز الأنثى على الجرح سوائل من غدتها اللعابية تؤدى إلى الاحتقان وتمنع تجلط الدم فتجعله ينساب بسهولة إلى فمها، ويوجد من البعوض أنواع يتراوح عددها م بين ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ نوع وتبلغ خفقات الأجنحة حوالى ٦٠٠ خفقة فى الثانية، ويقل معدل الخفقان فى الأنثى قليلا عن الذكر. ويمكن معرفة الأنواع المختلفة من طنينها. وعند إصدار ذبذبات صناعية تحاكى الذبذبات الصادرة عن الإناث ينجذب إليها الذكور وتموت صعقا كما فى مصائد البعوض الصناعية.

إذاً أنثى البعوضة هى التى تلسع، وهى التى تنقل المرض، ولذا ضرب الله مثلا بالبعوضة بصيغة الأنثى.

النمل فى القرآن الكريم:

ورد الحديث عن النمل فى آيتين من آى القرآن الكريم، وسميت سورة كاملة باسم سورة النمل، وفيها ذكر النمل حيث يقول الحق تبارك وتعالى **﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾** (النمل: ١٨). وفى تفسير الآية قيل أن سليمان عليه السلام مر بمن معه من الجيش على واد النمل

فخافت النملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم سليمان ذلك وألهم الشكر على نعمة تعليمه منطق الطير والحيوان.

والآية القرآنية تذكر أن للنمل مساكن وأن له لغة للتخاطب علمها سليمان. **فماذا يقول العلم عن مساكن النمل؟** يثبت العلم أن الطراز الأفقى هو السائد فى عش النمل وأن المسكن به تعاريج ودهاليز لا تنتهى لدرجة أن ماك كوك العالم بخبايا النمل يقول عن الدهاليز أنه لو دخلها أحد ما استطاع أن يخرج منها حيا. ويحتوى عش النمل على عدد من الطوابق قد يصل إلى عشرين طابقا فى الجزء الأعلى. وعلى عدد من الطوابق تحت سطح الأرض، ولكل طابق غرضه الخاص الذى تحدده درجة الحرارة. فالجزء الأكثر دفئا فى العش مخصص لتربية النمل.

يقول عالم النمل موريس مترلنك يبنى النمل أعشاشه بحيث تشكل جميع الأعشاش مستعمرة واحدة تغطى مساحة ما بين ١٠٠٥٠ ياردة مربعة أو أكثر، وقد يبلغ عدد أعشاش المستعمرة أحيانا مائتى عش، يحتوى كل منها على عدد من النمل يتراوح من ٥ - ١٥ ألف نملة، وتشغل منطقة مستديرة قطرها مائتا ياردة أو أكثر.

وتبلغ مساحة مدينة النمل ما يعادل مساحة خمسين فدانا كما يذكر العالم ماك كوك، وتضم ألفا وستمائة عش يبلغ ارتفاع الواحد منها قرابة ثلاثة أقدام عند القمة ومحيط يبلغ ١٢ قدما عند القاع. وبمقارنة حجمها (بمقاييس النمل) استنتج ماك كوك أن حجم المدينة يبلغ ٨٤ مرة مثل حجم الهرم الأكبر. ويشهد النظام المعمارى فى أعشاش النمل تنوعاً بقدر تنوع أجسام النمل وعاداته، حتى أنه يمكن القول بتعدد هندسة أعشاش النمل بقدر تعدد أنواعه.

هذا عن النمل بصفة عامة فماذا عن الأرضة أو النمل الأبيض؟

نشير هنا إلى الآية الثانية التى ذكر فيها النمل فى قوله تعالى: **﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين﴾** (سبأ: ١٤).

والآية تتحدث عن نبأ موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له فى الأعمال الشاقة، وقد مكث سليمان متكئا على عصاه وهى منسأته مدة طويلة نحوا من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهى الأرضة، ضعفت وسقط على الأرض ميتا، وقد مات قبل السقوط.

بعض أسرار النمل الأبيض:

يذكر الدكتور/خالد الغامدى أن أكثر من ألفى نوع من حشرات النمل الأبيض فى مختلف أنحاء الأرض، حيث يستوطن ٩٠٪ منها المناطق الاستوائية. وتقسم إلى مجموعتين: مجموعة يعيش أفرادها فوق سطح الأرض وتصيب الأخشاب الرطبة والجافة، ومجموعة تعيش داخل التربة.

وتتربع الملكة على عرش المستعمرة، ومعها الملك الذى يقوم بتلقيح الملكة ومتناسلين إضافيين للقيام بوظيفة الملكة عند الضعف أو العجز، وجنود أقوياء وشغالات. وعند فقس البيض تخرج الشغالات من البيض الملقح، ويفقس البيض غير الملقح عن الجنود، وينتج البيض متناسلين إضافيين.

الكمبيوتر يحاكى ذكاء النمل:

إنه لمن الدهشة أن يتعلم من النمل كيف يحل أعتى المشاكل فى عالم البرمجيات. فقد اقتدى العلماء بالنمل وغيره من الحشرات الاجتماعية، وابتكر علماء الحاسوب وسائط برمجية تسهم فى حل مشكلات معقدة كتغيير حركة سير المعلومات فى شبكات الاتصال عن بعد المزدحمة. والجملة السابقة

ليست من وحى الخيال، ولكنها بحث ورد فى مجلة العلوم الأمريكية (Scientific American) التى ترجمتها مؤسسة الكويت للتقدم العلمى فى المجلد ١٧ - العدد الخامس - مايو ٢٠٠١م، حيث ذكر أنه مع دقة التنظيم فى مستعمرات الحشرات التى تتميز بسلوك اجتماعى إلا أن تنظيم المستعمرة ذاتى يعكس برمجة معدة سلفا أو بمثابة وحى يوحى. فمن يحكم ويصدر الأوامر ويستشف المستقبل ويرسم الخطط ويحافظ على التوازن؟ إن شفرة العمل مقدرة فى كل أفراد أسراب النمل أو النحل.

إن فلسفة ذكاء السرب في عالم النمل والنحل تنقض الأسطورة الشعبية القديمة التى مازالت مؤثرة فى الناس حتى يومنا هذا والقائلة بأن الكثافة السكانية المرتفعة تؤدى حتما إلى انتشار العنف، قد يكون هذا الاستنتاج صحيحا بالنسبة إلى القوارض، ولكن البشر والرئيسيات الأخرى والحشرات الاجتماعية يتميزون بسلوكيات خاصة تساعدهم على أن يظلوا اجتماعيين عندما يضيق بهم المكان، إن هذا السلوك يتجلى فى أسمي مرتبة فى ذكاء أسراب الحشرات (Swarm Smarts).

فماذا قال علماء الدين الإسلامى عن ذكاء النمل؟

لا اختلاف عند العلماء. كما يقول القرطبى أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول.

وقد قال الشافعى (يرحمه الله): الحمام أعقل الطير. وقال ابن عطية : النمل حيوان فطن، قوى شمام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين لئلا ينبت ويشق الكزبرة عدة قطع والحبوب التى لا يستطيع النمل فلقها فإنه يعمد إلى نشرها فى الشمس بصفة دورية ومنتظمة حتى لا يصيبها البلل أو الرطوبة فتنبت.. ويثبت العلم الحديث بعد تشريح النملة أن لها مخا عجيبا يتكون من فصين رئيسيين ومن مراكز عصبية وخلايا حسية.

ولكى نفهم كيف استفاد العلماء من سلوك النمل فى حل أعتى مشاكل البرمجة يلزم أن نشير إلى أحد المفردات المهمة فى لغة النمل، ألا وهى مادة الفيرمون الملكة تفرز تلك المادة الكيميائية فتستقبلها مجموعة متخصصة من الشغالات التى توزعها بدورها على أفراد المستعمرة فى إشعار عن الاعلان عن سطوة الملكة وهيمنتها على العش أو الخلية وبسط الأمن والأمان، هذا بجانب أنها مسئولة عن وضع البيض. وينتج الجنود الحراس على السرب نوعا آخر من المواد الفيرمونية تسمى بفيرمون الإنذار المبكر (Alarm Phermone) يستجيب له أفراد جنود المستعمرة وذلك للدفاع عن المستعمرة فى حالات الخطر وللشغالات أيضا القدرة على انتاج نوع من الفيرمون يسمى الفيرمون التتابع (Trial Phermone) يساعد فى الوصول إلى المصدر الغذائي ونقله إلى المستعمرة.

والفيرمون الأخير الذى يستخدم فى عملية الامتيار (البحث وجمع الميرة .. أى الطعام) قد قادت علماء الحاسوب فى حل مشاكل البرمجيات. فقد أجرى العلماء تجربة بينوا فيها أن قوافل النمل تنجم عن مادة كيميائية يطلق عليها كما بينا من قبل فيرمون تفرزها نملات معينة فتجذب نملات أخرى. وقد أثبت دينوبورك وهو رائد فى دراسة سلوك الامتيار لدى النمل أن قيام نملة بترك أثر فيرمونى يستطيع النمل الآخر اتباعه، إنما يمثل استراتيجية سليمة لاكتشاف أقصر الطرق بين مساكن النمل ومصدر الغذاء. إذاً ما على النمل الباحث والجامع إلا أن يسلك الطريق الذى حددته النملة المكتشفة والذى علمته بمادة الفيرمون التى جاء النمل من ورائها سالكا نفس الدرب الذى هو فى نفس الوقت أقصر طريق بين مسكن النمل ومصدر الطعام. حقا إنه طريق قصير معطر بالفيرمون تسير فيه النملة ذللا .. مستكينة إلى ربها ذللا بوحى إلهى عجيب.

وفى تجربة بورك على النملة الأرجنتينية التى تسمى (لينثيما هيوميل) (Linepithema humile) بأن صنع قنطرة ذات فرعين أحدهما له ضعف طول الآخر لاستخدامها معبرا بين مسكن النمل ومصدر الغذاء. و قد وجد دينوبورك أنه فى غضون دقائق كان نمل المستعمرة يختار، فى معظم الحالات الفرع الأقصر وقد تحقق الباحث من أن النمل يترك آثارا من الفيرمون وتتبعها فى بحثها عن الغذاء . ولكن ماذا يحدث لو كان هناك طريق واحد طويل بين المسكن ومصدر الطعام، بالطبع ليس أمام النمل إلا أن تسلكه والعجيب أنه لو فتح طريقا أقصر فإن النمل لا يسلكه بل يسلك الطريق الذى وشم بالفيرمون إذن فاللغة التى يتخاطب بها النمل فى بحثه عن الطعام هى لغة الفيرمون، وحينما تتعدد الطرق يسلك النمل فى أغلب الحالات طرقا قصيرة مستقيمة فمن علم النمل ببديهية الخط المستقيم الذى هو أقصر طريق بين مصدرين.

وقد استفاد الإنسان اقتداء بالنمل فى أسلوب بحثه وجمعه للطعام ومن ذكاء السرب فى الحشرات الاجتماعية واستحدث العلماء سيلا من التطبيقات بأن ابتكر علماء الحاسوب وسائط برمجية تسهم فى حل مشكلات معقدة نذكر منها ما هو آت:

١ ـ تغيير حركة سير المعلومات فى شبكات الاتصال عن بعد المزدحمة عن طريق محاكاة النمل الطبيعى بنمل صنعى ومسارات تشبه الفيرمون فتنقل مسارات المعلومات عند ازدحام الخطوط إلى مسارات أخرى.

٢ ـ وجد الباحثون طريقة مستوحاة من النمل لتقليل الزمن الذى يستغرقه إنجاز مقدار معين من العمل فى مصنع كبير بنيوليفر بانجلترا وكان على هذه المنظومة أن تخطط بشكل فعال للجمع بين صهاريج تخزين متنوعة وخلاطات كيميائية وخطوط تغليف وغيرها من التجهيزات.

٣ ـ إعداد قوائم حسابات الزبائن.

٤ ـ تصنيف البيانات المالية واستبعاد غير المفيد منها اقتداء بسلوك النمل فى التخلص من النفايات وموتاه.

٥ ـ حل مشكلة الازدحام فى شبكات الهاتف عن طريق تحويل مسار الاتصالات الهاتفية فى الحال إلى مناطق أقل ازدحاما فى الشبكات.

٦ ـ فتح الممرات القصيرة أولا عند حدوث تكدس مرورى فى الميادين العامة فيحول المرور إلى الطرق والممرات الأقصر لحل اختناقات المرور.

٧ ـ اكتشاف طريقة أكثر فعالية لجدولة الوظائف فى مصنع عن طريق بحث الطريقة المرنة التى يوزع بها نحل العسل المهام فيما بين افراد المستعمرة.

٨ ـ رفع الأشياء الثقيلة عن طريق ما يسمى الإنسان الآلى (الانسالى) اقتداء بطريقة النمل عند حمل أجزاء الطعام الذى لا تقدر على حملها نملة واحدة حيث يتحول تلقائيا البرنامج الذاتى لكل نملة إلى برنامج تعاونى للقيام بالمهمة جماعيا.

وقد كان التشابه مذهلا بين أسلوب حمل الثقل فى تلك الحالة والأوامر التى يتحرك بها الإنسالى أو الريبوت.

٩ ـ برمجة آلات الطلاء فى مصانع السيارات حيث تفتح مقصورة طلاء اللون الأحمر مثلا حينما يزداد الطلب على مقصورات اللون الأبيض لتخفيف الضغط على خطوط اللون الأبيض.

أيها الانسان العاقل العالم لا تستحى من البعوضة ولاتستنكف أن تتعلم من النملة أو النحل فقد أودع فيها الخالق العظيم سرا ووحيا يجعلها مذللة فى نفسها ومهدية إلى طرقها فهى مذللة وطرقها مذللة. وفى النحل أيضا ولغته إعجاز علمى قرآنى عجيب سيأتى الحديث عنه فى موضعه.

ثقافة الوحدة والمسئولية المتبادلة

د. أحمد عبدالرحيم السايح

الإسلام الحنيف جاء ليربط المسلمين جميعاً برباط هو أوثق الروابط. وهو رباط الوحدة التى تزول معها جميع الفوارق.

ولقد كانت دعوة الرسول الأعظم محمد - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله - دعوة إلى الوحدة مهما تختلف أجناس الناس وألوانهم.

وأوائل من أجابوا الدعوة تتلاقى فيهم عناصر مختلفة.

روى أن أول من أظهر الإسلام: رسول الله، وخديجة، وأبو بكر، وبلال، وعمار، وسمية أم عمار، والمقداد بن الأسود.

يقول رسول الله ﷺ: «أنا سابق العرب إلى الجنة، وصهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة».

فالمجتمع الإسلامى فى سيرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه وآله - كان يكون وحدة مؤتلفة متنوعة.

ومؤمنو مكة على اختلاف قبائلهم ما عرف الناس لهم اسما فى السيرة النبوية، سوى اسم المهاجرين، ومؤمنو المدينة على اختلاف قبائلهم ما عرف الناس لهم اسما غير الأنصار.

والإسلام لم يكتف بإطلاق اسم المهاجرين على المؤمنين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة، ولم يكتف أيضا بإطلاق اسم الانصار على قبائل الأوس والخزرج. مع أن إطلاق اسم الأنصار والمهاجرين كان كافيا لإعطاء العمق الإسلامى الدال على الوحدة.

سيرة الرسول الكريم ﷺ كانت ومازالت مَعلماً من معالم الكمال فى الأرض

لم يكتف الإسلام بهذا، وإنما عمل على كل ما من شأنه أن يدعم مسيرة الوحدة ويأخذ بهم إلى التقدم والفلاح.

ولذا نجد رسول الله ﷺ يبدأ فى البناء الأخوى الكامل ليقيم وحدة المسلمين على أساس أصيل.

لقد بلغ المسلمون الأوائل درجة عليا، ومكانة عظمى فى حبهم لبعضهم، ووعيهم للمسئولية الإيمانية حتى كانوا يؤثرون إخوانهم على أنفسهم قال تعالى: **﴿والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** (سورة الحشر: آية ٩)

ولا يخفى: أن قوة الإيمان بالله والتصديق برسول الله ﷺ تجعل النفس الإنسانية تشرق بصفات الخير.

لقد صنع الإيمان وهذا التصديق جماعة اصطبغ سلوكهم بالشمائل الجليلة، فكانوا يؤثرون إخوانهم بأموالهم وديارهم على أنفسهم ويقدمون حاجة إخوانهم على حاجتهم، حبا لهم ورغبة فى أخوتهم.

هذه الأخوة ربطت بين المسلمين، ووحدت صفوفهم، وجعلتهم أمة واحدة، لها شأنها واعتبارها.

وإن الباحث فى وحدة المسلمين يجد أن الاسلام أقام هذه الوحدة على ثقافة ثابتة، ودعائم قوية.

وأهم هذه الثقافة.

أولا الوعى بوحدة الأصل الإنسانى:

حيث إن الناس جميعا على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم، وتباعد أقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأصل واحد. فأبوهم آدم وأمهم حواء.

ولطالما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة، وبينها فى أساليب شتى، وآيات متعددة لكى يضعها المسلمون دائما فى اعتبارهم، ويرعوها حق رعايتها ليكون لهم هذا الوعى علامة مضيئة فى طريق الوحدة البناءة الفاعلة.

وسيرة الرسول - صلوات الله وسلامة عليه وعلى آله - أكدت هذه الحقيقة . فقد روى عن النبى ﷺ: أنه خطب بمنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: **«أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وأن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى. ألا هل بلغت ؟ قالوا: نعم قال: فليبلغ الشاهد الغائب».**

ثانيا: الوعى بوحدة العقيدة:

ومما هو واضح أن سيرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله - أكدت على وحدة العقيدة التى جاء بها الإسلام. فعقيدة المسلمين واحدة لا تختلف باختلاف جنس من الأجناس، أو لون من الألوان.

فهى عقيدة واحدة عند كل المسلمين . تقوم على الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وبكل ما فى القرآن، وأن الإسلام هو الإسلام، والقرآن هو القرآن.

ووحدة العقيدة حددت بين المسلمين ما مضى من قرابة الدم القائمة بينهم، وإذا كانت أبوة آدم - عليه السلام - أبوة مادية تجمع بين الأمة الإسلامية وتوحد بينها فى الأصل، فإن العقيدة التى جاء بها الرسول ﷺ هى أبوة روحية ترجع إليها فروع المؤمنين.

والحق أن المؤمن حينما يستشعر جلال هذا الأصل الروحى الذى يجمعه وإخوانه المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى جانب الأصل المادى الذى يرجعه معهم إلى أبوة واحدة، فإنه حينئذ يشعر أنه يحيا بإخوانه، ويحيا لهم كأنه غصن من أغصان شجرة عظيمة يحيا بحياتها.

مازالت الأمة الإسلامية تملك رصيداً ضخماً يمكن استثماره لتحقيق الأخوة الإسلامية

القرآن الكريم دستور الخالق فى إصلاح حال الخلق ينظم الحياة ويعالج النفوس ويقوم اعوجاج المجتمع

ثالثا: الوعى بوحدة مصدر التشريع:

ووحدة مصدر التشريع أصل أصيل فى وحدة المسلمين. وذلك أن مصدر التشريع واحد لدى المسلمين وهو القرآن الكريم. كتاب الله الذى أنزله ليكون دستور الخالق فى إصلاح حال الخلق، ينظم الحياة، ويعالج النفوس، ويقوم اعوجاج المجتمع.

رابعا: الوعى بمفهوم العبادات:

والوعى بمفهوم العبادات يشير إلى أن أصول الوحدة الإسلامية لا تقف عند وحدة الأصل الإنسانى ووحدة العقيدة، ووحدة مصدر التشريع، بل إن مفهوم العبادات الهادفة أصل أصيل من أصول الوحدة الإسلامية.

ومما يحسن أن نشير إليه، أن العبادات لها ثمراتها الطيبة التى تعود على المسلم قطعا، ولها حكمها الكثيرة والتى منها وحدة الأمة والوعى بمسئولياتها.

خامسا: الوعى بقيمة المبادئ والأخلاق:

والواقع أن الأخلاق السامية والمبادئ القويمة التى جاءت فى سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - تعمل على وحدة المسلمين وتنمية مشاعر المسئولية بينهم.

والوحدة الاسلامية تتكون من عناصر أصيلة:

أولها: وحدة الشعور بالأخوة العامة التى يشعر بها المسلم بأنه أخ للمسلم

وثانيها: وحدة الثقافة. حيث تجمع المسلمين ثقافة دينية واجتماعية واحدة. لتحمى الشعور بالأخوة.

وثالثها: التعاون التام بين المسلمين فى الحرب والسلم.

ومن منطق الوحدة الإسلامية كانت الأمة الإسلامية - ومازالت - تملك رصيدا ضخما يمكن استثماره لتحقيق الأخوة العملية.

ولا شك أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية سمة من سمات المجتمع الإسلامى الأصيل الذى يخطو إلى مجد مشرق لينير الطريق ويضع العلامات المضيئة للسائرين.

وبجانب ما للأمة الإسلامية من مبادئ وأصول وقواعد وتعاليم تعمل على وحدة المجتمعات، فإن هذه المجتمعات لها منطقة جغرافية لها ما لها.

وتلك أمور تجعل المجتمعات الإسلامية قوة مرهوبة الجانب مخطوبة الود يتهيب العدو بأسها، ويخشى سلطانها.

وإذا كانت الدول الواعية تعمل على وحدة شعوبها، فإن الدول الإسلامية أولى الناس بالوحدة وتحمل المسئولية لأنها تمتلك سيرة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وآله. التى كانت ومازالت سيرته معلما من معالم الكمال فى الأرض.

الأوقاف والصيدلة

د./ أحمد عوف محمد عبدالرحمن

الصيدلة علم يبحث فى معرفة العقاقير الطبية المفردة بأنواعها وأجناسها، وما يختار منها، والذى يسحق،وما يذاب وما يطبخ من العقاقير، وطريقة خلط المركبات الدوائية ومعرفة مقدارها وأوزانها التى تلائم علاج كل نوع من الأمراض،ومدى قوة الدواء وتأثيره فى حفظ صحة الإنسان إذا كانت موجودة ،وعلاج المريض ورد صحته إليه إذا كانت مفقودة،ودفع الوباء الضار ووقايته من العوارض التى تضر بالصحة،ومساعدة الجسم للتغلب على ما أصابه(١).

ولهذا أصاب علم الصيدلة على يد العرب تطوراً عظيماً نتيجة لتطور المعرفة الطبية من جهة، وزيادة المعرفة بالأدوية والعقاقير من جهة أخرى. وهكذا ظهرت مؤشرات على فضل مهنة الصيدلة عن مهنة الطب ،سواء من خلال التوسع فى المعرفة الصيدلانية،وعدم تمكن الطبيب بعد التوسع فى المعرفة الطبية من جانب آخر،وانتشار البيمارستانات(٢)التى زادت من آفاق الممارسة الطبية و مسئولياتها وتنوع الفروع الطبية وتخصصاتها، إضافة لافتتاح الصيدليات الكبيرة فيها والتى كانت مستقلة عن قاعات المرضى، وتحت إشراف متخصصين بالمعرفة بالأدوية والعقاقير(٣).

يُعد الوقف أحد أهم العناصر الأساسية للنمو الحضارى والتطور الاجتماعى للأمة الإسلامية

وليس أدل على ذلك مما جاء فى الموسوعة البريطانية، الطبعة الحادية عشرة بالجزء الثامن عشر: «والحق أن كثيراً من أسماء الأدوية وكثيراً من مركباتها المعروفة حتى يومنا هذا ـ بل المبنى العام للصيدلة الحديثة، فيما عدا التعديلات الكيماوية الحديثة ـ بدأه العرب...» وجاء فى دائرة المعارف البريطانية، قسم الطب: «.. العرب أول من أنشأ أقدم حوانيت العطارة ،وفى زمانهم ظهرت لأول مرة الصيدليات الخاصة»(٤).

وما كان للحياة العلمية فى تاريخ الحضارة الإسلامية أن تبلغ ما بلغت من العبقرية والعطاء لولا «الوقف» الذى كان وراء نهضة هذه الحياة وتنميتها،وما حققته فى تاريخ البشرية من إبداعات قادت إلى الحضارة المعاصرة.

ولا يخفى أن الوقف يمثل أحد أهم العناصر الأساسية للنمو الحضارى والتطور الاجتماعى للأمة الإسلامية،ويعكس التجربة التاريخية التى عاشتها الأمة عبر أجيال ممتدة ،مما أسهم فى ربط حاضر الأمة بماضيها، وحافظ على التمسك بعرى أصالتها.

وكذلك فى مجال الوقف على تعليم الطب والصيدلة، نجد أن الأطباء فى دار شفاء الربع الرشيدى(٥)، وكما هو مدون فى حجة الوقف يتناوبون فى الدوام؛ليبقى المستشفى مفتوحاً طوال اليوم مع وجود طالب فى الطب وصيدلى بشكل مناوبة. وكان على كل طبيب أن يعلِّم طالبين: أحدهما فى الطب والآخر فى الصيدلة. إضافة إلى ذلك كتب رشيد الدين إلى ابنه سعد الدين يقول: «خمسون طبيباً حاذقاً استقدمناهم من أفضل بلاد الهند ومصر والصين والشام وباقى البلدان، وأمرناهم بالتردد المتناوب فى دار الشفاء، ووضعنا أمام كل طبيب عشرة من المتعلمين والطلبة المتفوقين؛ ليعلموهم هذا العلم الشريف....». على أن هناك أوقافاً خاصة

للإنفاق على تأليف الكتب فى الطب والصيدلة، وبذلك استطاع العلماء أن يكتبوا أو يكملوا كتباً فى العلوم الطبية ،وكانت تلك الكتب مصادر المعرفة فى الطب والصيدلة لعدة قرون فى أوروبا(٦).

ومن أهم مآثر المسلمين فى هذا الميدان، إدخالهم نظام مراقبة الأدوية، ذلك النظام الذى أخذته عنهم أوروبا. وكان مراقب الأدوية، يسمى «محتسباً(٧)»، ولا تزال كلمة «محتسب» العربية تستعمل فى اللغة الأسبانية بنطقها العربى حتى يومنا هذا(٨).

يقول العلامة الفرنسى «جوستاف لوبون..»: «إننا مهما قلَّبنا أوجه النظر لا نستطيع أن نذكر قبل القرن الخامس عشر الميلادى عالماً أوروبياً ابتكر شيئاً غير استنساخ كتب العرب(٩).

ولقد بلغت البيمارستانات درجة عالية من التقدم والتطور، فكان لكل بيمارستان عدد من الأطباء موزعين على الأقسام المختلفة وهناك رئيس للأطباء. أما صيدلية البيمارستان فكان يديرها(١٠):

أ ـ الصيادلة:

الذين يقومون بتحضير وإعداد الأدوية للمرضى فى البيمارستان من طباخى الشراب وصانعى المعاجين والأكحال والأشربة والمسهلات المفردة والمركبة(١١).

ب ـ مهتار الشرابخاناه (رئيس الصيدلة فى البيمارستان):

وهو المسئول عن الصيدلة وبقية الصيادلة فى البيمارستان. متسلم لحواصلها وله مكانة عالية.

ج ـ شراب دار (أو الشرابدار):

وهم بقية الصيادلة فى البيمارستان الذين يقومون بتحضير وإعداد وتفريق الدواء حسب وصفات الأطباء.

وقد ذكر ابن جبير فى رحلته ما شاهده فى البيمارستانات من تقسيم للعمل فى الأقسام المختلفة،ومنها الصيدلية التى كان يديرها صيدلانى يعاونه مساعدون(١٢).

وفى وثيقة وقف السلطان قلاوون على بيمارستانه يوضح لنا الواقف بعض الأنظمة التى كان معمولاً بها، والتى تعتبر من أسس الرعاية الصحية الحديثة، من ذلك ما يشترطه من ضرورة تحضير الأدوية فى أوانها وتخزينها لحين الحاجة إليها ،على أن يصرف لكل مريض ما يحتاج إليه فقط دون زيادة أو نقصان ،فقد كان للبيمارستان خزانة خاصة كاملة للشراب. فجاء فى هذه الوثيقة: «ويصرف الناظر فى هذا الوقف ثمن سكر يصنعه أشربة مختلفة الأنواع،ومعاجين،وثمن ما يحتاج إليه لأجل ذلك من الفواكه و الخماير،رسم الأشربة، وثمن ما يحتاج إليه من أصناف الأدوية والمعاجين والعقاقير والمراهم والأكحال والشيافات(١٣) والذرورات والأدهان والسفوفات والدرياقات(١٤) والأقراص، وغير ذلك، يصنع كل صنف فى وقته وأوانه، ويدخره تحت يده فى أوعية معدة له، فإذا فرغ استعمل مثله من ريع هذا الوقف، ولا يصرف من ذلك لأحد شيئاً إلا بقدر حاجته إليه، ولا يزيده عليها، وذلك بحسب الزمان، وما تدعو الحاجة إليه بحسب الفصول وأوقات الاستعمال، ويقدم فى ذلك الأحوج فالأحوج من المرضى والمحتاجين، والضعفاء والمنقطعين، والفقراء والمساكين..(١٥)»

ومن الوظائف التى رتبها الواقف بالبيمارستان، ما يماثل وظيفة الصيدلى والممرض فى العصر الحديث، فقد رتَّب رجلين اشترط فيهما الأمانة والديانة، يتولى أحدهما حفظ الأدوية والعقاقير، ويكون مسئولاً عن صرف الأدوية حسب أوامر الأطباء، فيسلمها للرجل الثانى لتوزيعها على المرضى، وعليه أن يتأكد من أن كل مريض تناول الدواء الموصوف له. فنصت الوثيقة على أن: «..يصرف الناظر فى هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والأمانة، يكون أحدهما خازناً لمخزن حاصل التفرقة يتولى تفرقة الأشربة والأكحال والأعشاب والمعاجين والأدهان والشيافات المأذون له فى صرف ذلك من

المباشرين، ويكون الآخر أميناً، يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقداح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين، من الرجال والنساء، المقيمين بهذا البيمارستان، ويفرق عليهم ذلك، ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك،ويباشر المطبخ بهذا البيمارستان، وما يطبخ به للمرضى من فراور ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك، ويجعل لكل مريض ما طبخ له، فى كل يوم، فى زبدية منفردة له من غير مشاركة مع مريض آخر، ويغطيها، ويوصلها إلى المريض، إلى أن يتكامل إطعامهم..(١٦).

ولم يقتصر أثر الأوقاف فى توفير الأدوية على صيدلية البيمارستان والمترددين عليه، بل شمل ذلك أيضاً المرضى الفقراء فى بيوتهم وتوصيل الأدوية إليهم، فقد نص السلطان قلاوون فى كتاب وقفه على أن تمتد الرعاية الصحية إلى الفقراء فى بيوتهم، فيصرف لهم ما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة والأغذية أيضاً، بشرط عدم التضييق على الموجودين بالبيمارستان، وبهذا الخصوص تنص وثيقة وقف البيمارستان على أن: «.. من كان مريضاً فى بيته، وهو فقير، كان للناظر أن يصرف إليه ما يحتاج إليه من حاصل هذا البيمارستان من الأشربة والأدوية والمعاجين وغيرها، مع عدم التضييق فى الصرف على من هو مقيم به..»(١٧).

كذلك أوجب نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى فى وثيقة وقف البيمارستان النورى على الناظر فى أمور البيمارستان: «.. أن يتفقد الكبير والصغير، ويسأله عن التدبير، ويجهد فى حفظ الأرواح من المهلكات... ويشاهد بنفسه ما يعمل من الأشربة واللعوقات والمعاجين والمراهم والأكحال، وليخف من يوم لابيع فيه ولا خلال، وإن وُجد خلل فيما فوض إليه أمرُه فويل فى الدنيا والأخرى له(١٨)».

وكان على الطبيب ـ أثناء معالجة المرضى فى دار الشفاء فى الربع الرشيدى ـ أن يجلس أمام باب الصيدلية أو كما يسميها رشيد الدين نفسه «الشبكة» ويكتب الدواء بعد معاينة المرضى على نسخة ورقية ويحولها إلى مسئول الصيدلية «الخازن» ويتولى الأخير والصيدلى إعطاء الدواء للمريض. والجميل فى الربع الرشيدى أنه لم يكن يأخذ أجر الطبابة من المقيمين والمسافرين وحتى باقى المرضى، فالعلاج كان بالمجان تماماً. بينما كان إعداد الأدوية يتم بتكاليف باهظة ذلك أنها كانت تجمع من أقصى نقاط العالم حيث كان يتم جمعها فى مخزن كبير وخاص.

ولقد ورد عن صيدلية دار الشفاء فى الربع الرشيدى فى المكاتبات الرشيدية وحجة الوقف،فقد أشارت حجة الوقف إلى المئات من الحاويات الكبيرة التى يحفظ كل منها حاجة عدة سنوات من الأدوية، وقد كتب أسماء الأدوية على الحاويات التى وضعت فى مخازن خاصة إلى جانب دار الشفاء، وتوجد فى المكاتبات الرشيدية عدة رسائل حيث يطلب رشيد الدين من أبنائه وعماله فى مختلف المناطق توفير وإرسال الأدوية الخاصة. على سبيل المثال: توجد رسالة بعث بها ـ وهى بمثابة تكليف بمهمة رسمية ـ إلى شخص يدعى «علاء الدين هندو» يطلب منه أن يرسل أشخاصاً إلى مختلف المناطق داخل وخارج البلاد ليجمعوا أدوية معينة(١٩).

ولقد انعكس اهتمام الواقفين بالرعاية الصحية على تلك الوصايا التى كانت تصدر عند تقليد أحد الأطباء رئيساً أو مقدماً للأطباء، فإذا كان طبيباً طبائعياً (أى: طبيب الأمراض الباطنية) يذكر فى وصيته: «.. وليتجنب الدواء ما أمكنه المعالجة بالغذاء.. وإذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه من المنافاة، وإن قلَّت، وتحيل لإصلاحه بوصف مصلح مع الاحتراز فى وصف المقادير والكميات، والكيفيات فى الاستعمال، والأوقات وما يتقدم

ذلك الدواء أو يتأخر عنه، ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء»(٢٠).

هذا، ويعتبر مجال الخدمات الصحية من المجالات القليلة التى ظلت تجتذب بعض الواقفين فى العصر الحديث؛ نظراً لعوامل متعددة ومتشعبة أدت إلى إضعاف الميل الاجتماعى نحو إنشاء أوقاف جديدة، بل وفى حجب نظام الأوقاف وتقاليده المؤسسية الخاصة به عن مجاله الاجتماعى الفسيح.

مع هذا، لا زالت مشاعر الخير حية فى نفوس أبناء الأمة الإسلامية، ولا زال الإيمان بأن صلاح الأمة فى حاضرها لن يكون إلا بما صلحت به فى ماضيها قوياً فى نفوس الدعاة وقادة الإصلاح، مما يبشر بمستقبل مشرق يعيد للوقف تاريخه الزاهر.

الهوامش:

١ ـ الطنطاوى، محمود السعيد: أضواء على تاريخ الطب، سلسلة «دراسات فى الإسلام»، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، العدد«١٨٣»، السنة «١٦» ،جمادى الآخرة١٣٩٦هـ/يونيو ١٩٧٦م، ص١٤٣.

٢ ـ البيمارستان: هى لفظة فارسية،تتكون من كلمتين: «بيمار» وتعنى المريض، وكلمة «ستان» تعنى المكان أو الدار أو الموضع، فيكون معنى البيمارستان هو: دار المرضى،انظر: المرجع السابق ص ١٦٢.

٣ ـ الهونى ،فرج محمد: تأريخ الطب، الدار الجماهيرية، بنغازى، ط/ ١٩٦٨م، ص٢٣٩.

٤ ـ المرجع السابق، ص١٤٩. وانظر: الموسوعة البريطانية. ص٤٦ من ج/١٨.

٥ ـ قسم من أقسام مركز الربع الرشيدى العلمى التربوى الوقفى،الذى أوقفه رشيد الدين فضل الله الهمدانى، الطبيب والمؤرخ والوزير الإسلامى المعروف.

٦ ـ ساعاتي،يحيى محمود: الوقف وبنية المكتبة العربية: استبطان للموروث الثقافى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،ط١/ ١٩٨٨م، ص١٠٦ وما بعدها.

٧ ـ «الحسبة» بكسر الحاء لغة الأجر واسم من الاحتساب بمعنى طلب الأجر والاختبار والإنكار والظن والاعتداد والاكتفاء. والحسبة اصطلاحاً عرفها أحمد مصطفى المراغى: «مشارفة السوق والنظر فى مكاييله وموازينه، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشترى من مأكول ومصنوع..» أ.هـ. انظر: عطية جميل عبد المجيد: تنظيم صنعة الطب خلال عصور الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض،ط/١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٦٥ ـ ٢٦٨.

٨ ـ مظهر جلال: علوم المسلمين... المرجع الأسبق، ص٤٢.

٩ ـ الطنطاوى، محمود السعيد: أضواء على تاريخ الطب، مرجع سابق، ص١٧١.

١٠ ـ عطية ،جميل عبد المجيد: تنظيم صنعة الطب،.. مرجع سابق، ص٥٤٤.

١١ ـ المرجع السابق،نفس الصفحة. وانظر: وقفية الأمير عبد الرحمن كتخدا، السطر «٧»، «٧٢».

١٢ ـ جهاد، تحسين أحمد: الموجز فى تأريخ الصيدلة، مرجع سابق، ص١٦٥.

١٣ ـ الشيافات: جمع شياف، وهى عبارة عن دواء مسحوق يستعمل للعيون كما أنها أيضاً الدواء الذى يعمل منه قمعاً أو تلبيسة.محمد محمد أمين، المرجع السابق، هامش ص١٦٣.

١٤ ـ الترياقات أو الدرياقات: جمع ترياق أو درياق، وهو دواء مركب لعلاج السموم، انظر هامش ص ١٦٤، المرجع السابق.

١٥ ـ أمين، محمد محمد: الأوقاف والحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ص١٦٤.

١٦ ـ المرجع السابق، ص١٦٦.

١٧ ـ الدسوقى، محمد: الوقف ودوره فى تنمية المجتمع الإسلامى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، العدد «٦٥» من سلسلة قضايا إسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، القسم الثانى، ص٤١.

١٨ ـ مجلة «أوقاف»: العدد «٦»، السنة «٣»، مرجع سابق، محمد مطيع الحافظ: البيمارستان النورى بحلب ووقفيته، ص١٧٢.

١٩ ـ مجلة «أوقاف»: العدد «١»، السنة «١»، مرجع سابق، ص٧٤

٢٠ ـ غانم، إبراهيم البيومى: الأوقاف والسياسة فى مصر، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٩٩.

«الإنسان الحكيم»
تأصيل إسلامى لاسم علمى حديث

أ. د/ محمد فتحى فرج بيومى

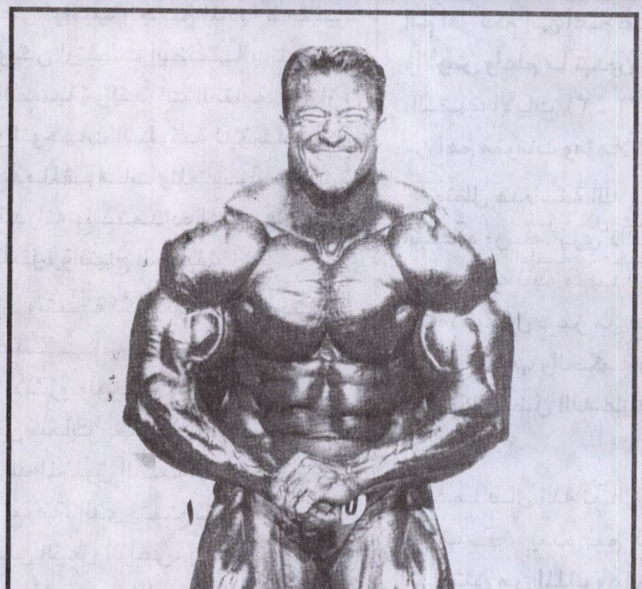

خلق الله الإنسان على أكمل وأجمل هيئة، وأقسم الله تعالى على وصفه له بذلك فى قوله، جل وعلا: ﴿والتين والزيتون* وطور سينين* وهذا البلد الأمين* لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ «التين: ٤.١»، حتى أن «علماء الأحياء» كانوا إلى عهد قريب، ولا يزالون، يخصونه من بين الكائنات جميعها بانتصاب القامة، حتى أنهم وضعوا له، فى وقت من الأوقات، الاسم العلمى: «الإنسان منتصب القامة» إلا أن بعض العلماء، قد اكتشفوا، من خلال الحفريات، وجود بعض الكائنات الحية، التى كانت تشبه الإنسان، كما كانت تتمتع بدرجة ما من درجات انتصاب القامة، ولذا فقد تجاوز التقدم العلمى هذا الوصف، الذى لم يعد مقصورا على الإنسان، بوصفه متميزا عن بقية الكائنات، بل يمثل أعلى مراتب الكائنات الحية على الأرض، على الإطلاق منذ أن خلقه الله تعالى وإلى الآن.

وفضلا عن ذلك، فقد خصه الله - تعالى- بالعقل والحكمة، والقدرة على الإبانة، والإفصاح، فقال تعالى: **﴿الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان﴾** الرحمن: ٤.١ كما قال الله تعالى فى سورة العلق: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* أقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ ٥.

ولذلك، فحينما نمت معارف «علماء التصنيف»، والغريب أنهم لم يكونوا مسلمين، فقد صححوا وجهة نظرهم، وأطلقوا على الإنسان اسما جديدا، يتماشى مع ما توصلوا إليه من حقائق علمية، حول الإنسان فوصفوه بـ «الإنسان العاقل أو الإنسان

الحكيم «Homo Sapiensa» فقد بلغت أجهزته المختلفة، فى مجملها، دقة كبيرة فى أدائها، وبلغ الجهازان العصبى والغدى، فى أدائيهما، قمة سامقة فى التنسيق والتآزر، بين أعضاء الجسم وأنسجته وخلاياه، ولم تقتصر وظائفهما وهيمنتهما، على تراكيب الجسم المادية فحسب، ولكن ارتبطت أيضا بالنواحى النفسية، والقدرات العقلية، والمنازع والتوجهات السلوكية للإنسان، وكل هذه المقومات والمميزات تخدم قدراته واستعداده للعلم، وإعمال العقل، وانتهاج الحكمة!

ونتيجة لكل ذلك، فقد يختصر علماء «علم الإنسان» أو «الأنثروبولوجيا» توصيف الإنسان، فى كلمات معدودات، فيقولون : إنه ذلك المخلوق الطلعة، أى الطامح إلى المعرفة، الذى يتمتع بالإرادة والقدرة على الفعل الواعى. والواقع، أن الذى هيأه وأهله لذلك، هو الذى خلقه، وأعده لأداء رسالته على الأرض.

وإذا أردنا أن نؤصل لهذه المعلومة العلمية الحديثة، تأصيلا إسلاميا، كما ورد فى القرآن الكريم، فإن الله تعالى قد أخبرنا، منذ أن نزل القرآن الكريم على رسولنا الأمين، بأنه تعالى قد خلق الإنسان من لدن آدم، أبى البشر جميعا، وفيه بذرة العلم ومؤهلاته ودواعيه، حتى أن أقرب وصف بشرى له الآن، هو الاسم العلمى الشائع، فى أحدث الأدبيات العلمية قاطبة: «الإنسان العاقل أو الحكيم» كما ذكرنا آنفا، ليس جديدا على الأذن الإسلامية، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين* قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم* قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ «البقرة: الآيات ٣١ ـ ٣٣. ومعلوم أن العقل من أهم مقومات ومؤهلات العلم والتعلم.

وتظل هذه سنة الله فى خلقه، لا سيما أنبياءه ورسله، نري ذلك واضحا حينما يطمئن الله نبيه محمدا ﷺ ويذكره بفضله عليه، فيقول ـ عز من قائل ـ: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**﴾ النساء: الآية ١١٣.

كما قال الله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام، يعدد نعم الله عليه: ﴿**رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين**﴾ يوسف: ١٠١.

هذا، ويرجع استعداد بنى الإنسان للتعقل والتعلم وانتهاج الحكمة، فى المقام الأول، إلى امتلاك الإنسان- كما خلقه الله تعالى - المخ والجهاز العصبى، على درجة عالية من النمو والكفاءة، أكثر من أى مخلوق آخر، على سطح الأرض.

ومن جهة أخرى، فإن اقتران هذين التركيبين المعقدين (المخ والجهاز العصبى) بأعضاء الحس المختلفة (كالعينين،

يقف العلماء مشدوهين أمام إعجاز الخلية الحسية فهى عالم مثيروجِدُ خطير

جسم الإنسان يتكون من خلايا متعددة الأشكال والأحجام والأنواع والوظائف تكون منظومة ومعجزة الخلق

والأذنين... إلخ)، والجهاز العصبى، والجهاز الغدى، كل ذلك يمنح الإنسان فرصة هائلة، لتدفق وتجميع وتخزين المعلومات، من بيئته الداخلية(عالمه الخاص) ومن بيئته الخارجية (العالم الأكبر)، وذلك لاستثمار هذه المعلومات، بكل وسيلة من الوسائل، لعمل ما لا يحصى من الأشياء، التى من شأنها ترتيب وتنظيم وتحسين، أمور حياته ومعيشته، مع تواتر منظم من التطور والتقدم المطرد حتى وصل الإنسان الآن إلى ما وصل إليه، من منجزات تعد من قبيل المعجزات!.

حقا إن بالإنسان من الألغاز والأسرار، ما قد يماثل ما فى الكون أو يزيد فجسم الإنسان ذاته، يتألف من عدد غفير من الخلايا متعددة الأشكال والأحجام والأنواع والوظائف، غير أنها - فى مجملها - تكون تلك المنظومة المعجزة، التى تمثل الإنسان، بكل ما فيه من خفاء وجلاء، وغموض وصفاء، وبكل ما يعتمل فيه من تفاعلات منسجمه متناغمة، أو متضاربة متناقضة، فعالم الإنسان الداخلى مفعم بالأسرار والأعاجيب، بل إنه فى إعجازه وأسراره وأعاجيبه، لا يقل عن العالم الخارجى بل هو كون صغير (MICROCOSMOS) قائم بذاته، فى مواجهة الكون الخارجى الكبير (MAC-ROCOSMOS)، يضارعه ويناظره فى إعجازه وبهائه، ولا يقل عنه غرابة وأسرارا وتعقيداوتنظيما، ولله در الشاعر القديم، الذى وصفه فأحسن الوصف بقوله:

دواؤك فيك وما تشعر

ودواؤك منك ولا تبصر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

ونحن حينما نفكر فى ظاهرة الحياة ذاتها، فإننا نقف إزاء لغز محير، يقف أمامه علماء الحياة عاجزين حتى عن تعريفها، ولذلك فإنهم يقرون بذلك، بل ويختصرون الطريق على أنفسهم وعلينا، فيتعرضون - فقط - للتعريف بمظاهر الحياة، من إحساس، وتغذية، وحركة، وتنفس، وتناسل، إلى غير ذلك من مظاهر الحياة المختلفة. بل ولكى يسهلون مهمة دراسة الإنسان، من الناحية الجسمانية فقط، من حيث تركيبه ووظائفه، فإنهم يلجأون إلى تقسيم الجسم بأجهزته المختلفة، كالجهاز العصبى، والجهاز الغدى، والجهاز الدورى، والجهاز الهيكلى، إلى آخر ذلك من أجهزة وتراكيب، بل ويذهبون إلى أبعد من ذلك، فيقسمون الأجهزة إلى أعضائها (كالمخ والقلب والرئتين)، والأعضاء إلى أنسجتها (كالأنسجة العضلية، والأنسجة العصبية، والأنسجة الضامة، إلى غير ذلك من أنواع الأنسجة)، ثم يعمدون إلى تقسيم الأنسجة إلى خلاياها المختلفة، ثم يقفون فى نهاية النفق، مشدوهين أما إعجاز وألغاز الخلية الحية ذاتها، فهى الأخرى بحق عالم مثير وجدٌ خطير.

قراءة فى كتاب

حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك

تأليف الأستاذ الدكتور

محمود حمدى زقزوق

عرض وتقديم

أ. د / أمان محمد عبد المؤمن قحيف

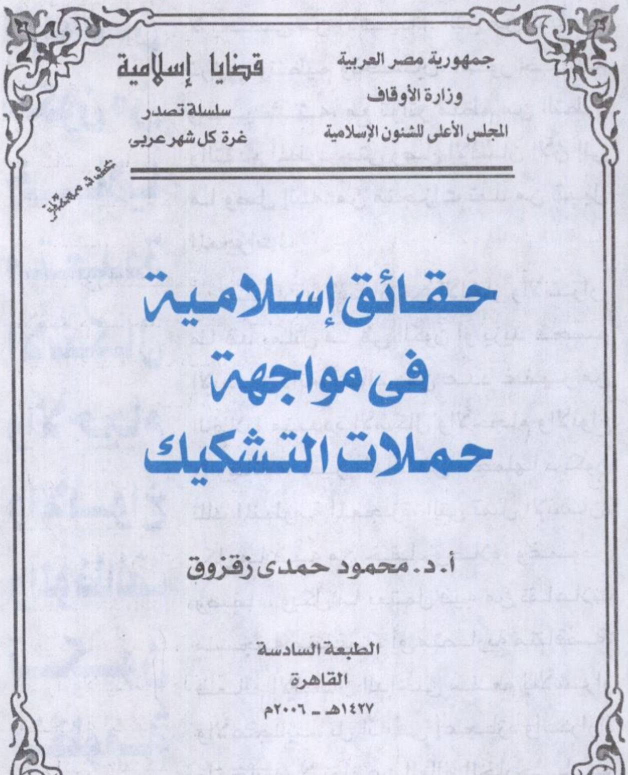
جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

قضايا إسلامية

سلسلة تصدر

غرة كل شهر عربى

حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك

أ. د. محمود حمدى زقزوق

الطبعة السادسة

القاهرة

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

العدد (١٣٣)

لقد طبع الكتاب الذى بين أيدينا ست طبعات فى خلال عامين تقريباً، الأمر الذى يعكس اهتمام القارئ العربى المسلم بالموضوعات التى يعالجها هذا الكتاب، ويؤكد من جهة أخرى نجاح المؤلف فى معالجة قضاياه بصورة تتسم بالعمق والجاذبية، مما جعل الكتاب محل اهتمام القارئ وعنايته. ولقد جاء هذا الكتاب فى مقدمة وسبعة فصول ويقع فى ١٦٥ صفحة من الحجم المتوسط ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية...

ولقد صدرت الطبعة الأخيرة التى بين أيدينا فى ربيع الأول ١٤٢٧ هجرية الموافق مارس ٢٠٠٦م **وعنوان الفصل الأول «القرآن الكريم»** وفيه توقف الدكتور زقزوق فى معظم الشبهات التى يرددها خصوم الإسلام عن القرآن الكريم وعمل على تفنيدها وإظهار بطلانها مستخدما المنطق والبرهان العقلى والنقلى فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية النبيلة.. وكشف النقاب عن أنه قد اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديماً وحديثاً إلى محاولة

زعزعة الاعتقاد فى صحة القرآن وفى صحة مصدره مثلما بذل الوثنيون من أهل مكة جهدهم فى مقاومة الحقيقة المتمثلة فى أن القرآن وحى من عند الله. فزعموا أنه **﴿إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾** (الفرقان: ٤)، وأنه **﴿أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا﴾** (الفرقان: ٥)، وأن محمداً ﷺ **﴿.... يعلمه بشر...﴾** (النحل: ١٠٣) أو أن القرآن قول ساحر أو كاهن. كانوا يهدفون من وراء ذلك كله إلى إبطال القول بأنه وحى السماء إلى محمد ﷺ لهداية البشر. وقد ذكر المؤلف أن المستشرقين المتحاملين على الإسلام قد حذوا حذو مشركى مكة. وبذلوا محاولات مستميتة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله وإنما هو من تأليف محمد ﷺ ورددوا الاعتراضات التى قال بها الوثنيون قديما رغم دحض القرآن الكريم لها، ولتفنيد هذا الادعاء ذكر الدكتور محمود حمدى زقزوق أن من الثابت تاريخياً أن محمدا ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب. ولذلك عين عدداً من أصحابه لكتابة ما ينزل عليه من وحى قرآنى. ولو كان يستطيع القراءة والكتابة لما كان فى حاجة إلى الاستعانة بأحد لكتابة آيات القرآن.

ويرد الدكتور زقزوق على من يدعى أن النبى قد استعان بالإنجيل والتوراة فى صياغة القرآن الكريم بقوله: القرآن الكريم يتفق مع كل الديانات السماوية السابقة فى الإيمان بإله واحد خالق للكون وأن مرد الجميع إليه. ويرجع هذا الاتفاق إلى أن مصدر هذه الديانات جميعاً واحد وهو الله تعالى.

ورغم ذلك فقد عارض القرآن الكريم كثيراً من المعتقدات الأخرى السائدة لدى أصحاب الديانتين اليهودية والمسيحية. فكيف يقال إذن أن محمداً استعان بمصادر مسيحية ويهودية؟ ألم يكن من الأولى - إذا صح ذلك - ألا يكون هناك أى اختلاف. أو على الأقل يكون اختلافا هامشيا وليس متصلا بمعتقدات أساسية؟

وإذا أردنا أن نعطى بعض الأمثلة على اختلاف القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل فلنذكر، على سبيل المثال، أن القرآن الكريم اشتمل على أخبار لم يكن يعرفها أهل الكتاب. فقد ذكر القرآن الكريم - مثلا - قصة زكريا وقصة ولادة مريم وكفالة زكريا لها. وأورد الكثير عن مريم وخصص لها سورة بكاملها فى القرآن الكريم مما ليس له نظير فى العهد الجديد. فمن أين استقى الرسول هذه المعلومات؟... ونذكر أيضا أنه جاء فى سفر الخروج أن ابنة فرعون هى التى تبنت موسى فى حين قرر القرآن أن امرأة فرعون هى التى تبنته. وفى هذا السفر أيضا نسبة صنع العجل الذى عبده بنو اسرائيل إلى هارون فى حين نسب القرآن ذلك إلى السامرى وذكر إنكار هارون ذلك عليهم.

ويضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم قد اشتمل على الكثير من التشريعات والتعاليم التى لا وجود لها فى كتب الديانات السابقة، فضلا عن إحاطته بتفصيلات لأخبار الأمم السابقة، واشتماله على أمور غيبية تحققت بالفعل كما أخبر بها القرآن الكريم، مثل مصير الصراع بين الروم والفرس، ومثل ما أشار إليه القرآن من حقائق علمية كمراحل تطور الجنين، وحقائق أخرى حول الأرض

حذا المستشرقون حذو مشركى مكة وبذلوا محاولات يائسة للتدليل على أن القرآن ليس وحيًا من عند الله

لعب تسامح المسلمين دورا حاسما فى انتشار الإسلام بما يدحض الزعم القائل بانتشاره بالسيف

والشمس والكواكب والرياح والأمطار.. وغيرها وهذه كلها أمور لم تذكرها الكتب السماوية السابقة على الإسلام. فكيف يقال إذن أن النبى استعان بالأديان السابقة فى تصنيف القرآن؟! إن كل الشواهد تؤكد أن القرآن وحى إلهى وأن مصدره لا يمكن أن يكون مصدراً بشريا.

ونظراً لكثرة حديث خصوم الإسلام حول مسألة تعدد زوجات النبى ﷺ **فقد جعل المؤلف عنوان الفصل الثانى** «النبى صلى الله عليه وسلم» ليفند أباطيلهم فى هذا السياق، فأشار إلى أن النبى تزوج السيدة خديجة وعمره خمس وعشرون عاما، أما خديجة - رضى الله عنها - فقد كانت سنها تقترب من الأربعين وكانت قد تزوجت قبله مرتين، وظلت له زوجة وحيدة إلى أن ماتت بعد أن أمضى معها حوالى ثمانية وعشرين عاما. وظل وفيا لذكراها طوال حياته لدرجة سببت الغيرة فى نفوس بعض زوجاته فيما بعد.. وبعد أن تخطى الخمسين من عمره تزوج سودة بنت زمعة أرملة أحد صحابته، ولم يعرف عنها أنها كانت ذات مكان أو ثروة أو مكانة ولكنه تزوجها من باب الرعاية لأسر صحابته الذين تحملوا التعذيب والتشريد فى سبيل الدعوة. أما زواجه فيما بعد من عائشة وحفصة فلم يكن إلا تأكيدا للرابطة القوية بينه وبين صاحبيه أبى بكر وعمر.. أما السيدة أم سلمة فقد مات زوجها متأثراً بجراحه فى غزوة أحد وكانت مسنة، ولما أراد النبى الزواج منها اعتذرت له نظراً لكبر سنها ولكنه طيب خاطرها وتزوجها لهدف إنسانى.. أما السيدة رملة بنت أبى سفيان فكانت قد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فتنصر زوجها وتركها دون عائل، فأرسل النبى إلى النجاشى يطلبها إنقاذا لها من غربتها، وإنقاذا لها من أهلها فى مكة إذا عادت إليهم بعد أن كانت قد هجرتهم فى سبيل دينها. وأملا فى أن يكون الزواج منها سببا فى استمالة والدها - صاحب النفوذ فى مكة آنذاك - إلى الدخول فى الإسلام... أما السيدة جويرية بنت الحارث فقد كانت من بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق، وكان أبوها سيد قومه فأكرمها النبى ﷺ بالزواج منها وأعتقها وطلب من المسلمين أن يعتقوا سباياهم ففعلوا... والسيدة صفية «اليهودية» بنت سيد بنى قريظة تزوجها النبى بعد أن أعطى لها حرية الاختيار بين أن يردها إلى أهلها أو يعتقها ويتزوجها فاختارت البقاء عنده على العودة إلى أهلها.. أما زواجه من السيدة زينب بنت جحش - وقد كانت ابنة عمته - فقد كان لسبب تشريعى، وإذ كانت زينب زوجة لزيد بن حارثة الذى كان النبى ﷺ قد تبناه ثم طلقت من زيد. وكانت عادة العرب تقضى بأن زوجة الابن بالتبنى لا تحل من بعده لأبيه الذى تبناه، فتزوجها النبى ﷺ ليلغى بذلك هذا المنع الذى لا مبرر له، وقد أشار القرآن إلى ذلك فى قوله: **﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾** (الأحزاب: ٣٧).

وفى الفصل الثالث تناول المؤلف فرية انتشار الإسلام بالسيف، فوضح أن قاعدة الإسلام فى الحرية الدينية تنطلق من قوله تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** (البقرة: ٢٥٦). وأشار أيضا

إلى أن الإسلام ربط مسألة الإيمان بمشيئة الإنسان وإرادته، قال تعالى: ﴿**فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ (الكهف: ٢٩). وقد لفت القرآن الكريم نظر النبى ﷺ إلى هذه الحقيقة، وبين له أن عليه التبليغ فقط وأنه لا سلطان له على تحويل الناس إلى الإسلام: ﴿**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ (يونس: ٩٩)، ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾ (الغاشية: ٢٢)، ﴿**فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ**﴾ (الشورى: ٤٨).

وقد حدد القرآن الكريم المنهج الذى يتحتم على المسلمين أتباعه فى الدعوة إلى الإسلام وذلك فى قوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن**﴾ (النحل: ١٢٥)... وقد وردت فى القرآن الكريم آيات تزيد على مائة وعشرين آية تفيد كلها أن نشر الإسلام أساسه الإقناع الهادىء... من ثم لم يحدث أن أجبر المسلمون يهودياً أو مسيحياً على اعتناق الإسلام. ومن هنا سجل النبى ﷺ فى أول دستور للمدينة بعد الهجرة أن اليهود أمة مع المسلمين يشكلون جميعاً المجتمع الجديد فى المدينة، واعترف لهم بحقهم فى البقاء على دينهم. ولقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس من المسيحيين الأمان على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم... ويستأنس المؤلف فى هذا السياق برأى المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه فى كتابها «الله ليس كذلك»، حيث رفضت هونكه فرية انتشار الإسلام بالسيف

وقالت: لقد لعب التسامح العربى دوراً حاسما فى انتشار الإسلام، وذلك على العكس تماما من الزعم القائل بأنه قد انتشر بالنار والسيف.. وقد أصبح هذا الزعم من الأغاليط الجامدة ضد الإسلام... ومن المعروف أن جيوش المسلمين لم تذهب إلى جنوب آسيا أو غرب أفريقيا، وقد انتشر الإسلام هناك عن طريق التجار والمتصوفة المسلمين بعد أن رأى الناس عملياً سلوكهم وأخلاقهم وحسن معاملاتهم فانجذبوا إليهم وأقبلوا على الإسلام من تلقاء أنفسهم.

واقتضى الأمر هنا توضيح المفهوم الحقيقى للجهاد فى الإسلام - للرد على فرية انتشار الإسلام بالسيف - فأكد الدكتور زقزوق أنه قد شاع فى اللغات الأجنبية مصطلح «الجهاد» للإشارة إلى ما يسمى بالحرب المقدسة. وبين أن الإسلام لا يعرف مصطلح الحرب المقدسة. إذ هناك فقط حرب مشروعة وحرب غير مشروعة، وقد أسىء فهم مصطلح الجهاد فى أغلب الأحيان. فالجهاد معناه بذل الجهد. ومن هنا فهو ينقسم إلى قسمين أحدهما جهاد النفس، وثانيهما الجهاد بمعنى الحرب المشروعة. ومن المعروف فى الإسلام أن النوع الأول يطلق عليه «الجهاد الأكبر» الذى ينصب على محاربة الإنسان لنوازعه الشريرة، والتغلب على أهوائه، وتصفية نفسه من كل الصفات الذميمة، وتطهيرها من الحقد والحسد والكراهية للآخرين ، وبذلك يكون أهلا للقرب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أما النوع الثانى من الجهاد فيطلق عليه «الجهاد الأصغر» بمعنى الحرب المشروعة.. فالحرب المشروعة فى الإسلام أو «الجهاد الأصغر» هى حرب دفاعية هدفها رد العدوان فقط.

وآيات القرآن الكريم واضحة فى هذا الشأن. فقد أذن الله للمسلمين بقتال أعدائهم الذين اعتدوا عليهم فى قوله تعالى: ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا**﴾ (الحج: ٣٦)، ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ (البقرة: ١٩٠).. وهذا يبين لنا أنه على الرغم من أن الإذن بالقتال جاء للدفاع عن النفس فإن القرآن الكريم يحذر من مجاوزة الحد فى ذلك إلى الاعتداء. فالله لا يحب المعتدين. قال تعالى: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ (البقرة: ١٩٤).

وكراهية الإسلام للقتال وإراقة الدماء يعد موقفا مبدئيا. فالاستثناء إذن هو القتال لرد العدوان ﴿**كتب عليكم القتال وهو كره لكم**﴾ (البقرة: ٢١٦)..

وإذا كان «الجهاد» يعنى الحرب الدفاعية فإن ذلك لا يقتصر على القتال. فقد يكون الجهاد بالمال أو بالنفس أو بالفكر أو بأى وسيلة أخرى تساعد على رد العدوان فى كل أشكاله وصوره. والهدف هو حماية المجتمع الإسلامى والدفاع عنه وعن عقيدته التى يؤمن بها، وهذا حق مشروع لكل أمة من الأمم وتؤكده المواثيق الدولية فى العصر الحديث... وإذا وجد المسلمون لدى عدوهم رغبة فى السلم ووقف العدوان فالإسلام يأمرهم أن يردوا على ذلك بالإيجاب: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾** (الأنفال: ٦١).

وحول ما يلصق بالإسلام من تهم التعصب والإرهاب يقول الدكتور زقزوق: يدعو الإسلام الناس جميعاً إلى التآلف والتعارف رغم الاختلافات التى بينهم: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** (الحجرات: ١٣). كما يدعو الإسلام المسلمين فى صراحة ووضوح إلى التعايش السلمى مع غير المسلمين كما جاء فى القرآن الكريم: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** (الممتحنة: ٨).

وفى الفصل الرابع انتقل المؤلف إلى الحديث عن «الإسلام وقضايا الإنسان» وتناول موقف الإسلام من العقل الإنسانى فوضح أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى أعلى من شأن العقل، ورفع من مكانته، فالعقل هو مناط التكليف والمسئولية، وبه يعرف الإنسان خالقه ويدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق. والقرآن فى خطابه للإنسان يخاطب عقله، ويحثه على النظر فى الكون، والتأمل فيه، ودراسته من أجل خير البشرية وعمارة الأرض ماديا ومعنويا. وليس فى الإسلام شىء يناقض العقل أو يصادم التفكير السليم أو يتعارض مع حقائق العلم.. ولقد طلب الإسلام من الإنسان ضرورة استخدام عقله، وعاب على الذين يعطلون قواهم الإدراكية وعلى رأسها العقل من أداء وظائفها. ولذلك يعتبر القرآن هؤلاء أناساً قد تخلوا عن إنسانيتهم فيقول الله عز وجل: **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾** (الأعراف: ١٧٩)... ويلفت الإسلام نظر الإنسان إلى أن الله قد سخر له هذا الكون كله وأن واجبه أن يستخدم عقله فى توظيف كل شىء من أجل خير الإنسان وعمارة الأرض **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** (هود: ٦١). **﴿وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** (الجاثية: ١٣)... وإذا كانت النصوص الدينية ملزمة للإنسان فيما يتصل بالأصول والتشريعات الدينية فإن أمامه الكون كله يصول فيه ويجول دون حجر على عقل أو مصادرة لفكر، سيما إذا كان التفكير من أجل مصالح العباد. فكل ما ينفع الناس - فى حدود ما لا يتعارض مع النصوص الشرعية - يشجع الإسلام عليه.

من ثم فمساحة حرية الفكر والبحث العلمى فى الإسلام مساحة واسعة ومكفولة للإنسان. وكل ما فى الأمر أنه لا يجوز لأحد أن يمس حرمة المقدسات الدينية. وكل دين له مقدسات يعتز بها. فمحاولة العبث بهذه المقدسات وعلى رأسها النصوص الدينية المقطوع بصحتها - كالوحى القرآنى والسنة الصحيحة - بهدف تغييرها أو تبديلها بالحذف أو الإضافة أو السخرية منها محاولات مرفوضة، بل وآثمة، وتعد عدوانا على النظام العام فى المجتمع بالإضافة إلى كونها إثما دينيا. أما ما عدا ذلك من مجالات أخرى فإن فى الكون بأرضه وسمائه وما بينهما مجال لاحد له أمام العقل الإنسانى للبحث والاجتهاد والاختراع والابتكار، والإبداع فى كل صوره وأشكاله.

وعن موقف الإسلام من الديموقراطية وحقوق الإنسان يقول الدكتور زقزوق: تبنى حقوق الإنسان فى الإسلام على مبدأين أساسيين هما: مبدأ المساواة بين كل بنى البشر، ويؤسس الإسلام مبدأ المساواة على قاعدتين راسختين هما: وحدة الأصل البشرى، وشمول الكرامة الإنسانية لكل

البشر. أما وحدة الأصل البشرى فإن الإسلام عبر عنها بأن الله تعالى خلق الناس جميعاً من نفس واحدة، فالجميع أخوة فى أسرة إنسانية كبيرة لا مجال فيها لامتيازات طبقية. والاختلافات بين البشر لا تمس جوهر الإنسان الذى هو واحد لدى كل البشر. ومن هنا فهذه الاختلافات ينبغى - كما يشير القرآن الكريم - أن تكون دافعاً إلى التعارف والتآلف والتعاون بين الناس وليس منطلقا للنزاع والشقاق: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** (الحجرات: ١٣).

أما القاعدة الأخرى للمساواة فهى شمول الكرامة الإنسانية لكل البشر، وقد نص القرآن الكريم على ذلك بقوله: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾** (الإسراء: ٧٠). فالإنسان بهذا التكريم جعله الله خليفة فى الأرض، وأسجد له ملائكته، وجعله سيدا فى هذا الكون، وسخر له ما فى السماوات وما فى الأرض. فالإنسان بذلك له مكانته ومكانه المفضل بين المخلوقات جميعاً. وقد منح الله هذه الكرامة لكل الناس بلا استثناء لتكون سياجاً من الحصانة والحماية لكل فرد من أفراد الإنسان، لا فرق بين غنى وفقير وحاكم ومحكوم. فالجميع أمام الله وأمام القانون وفى الحقوق العامة سواء.

وأما المبدأ الثانى الذى تركز عليه حقوق الإنسان فهو مبدأ الحرية. فقد جعل الله الإنسان كائنا مكلفاً ومسئولا عن عمارة الأرض وبناء الحضارات الإنسانية. وليست هناك مسئولية دون حرية، حتى فى قضية الإيمان والكفر التى جعلها الله مرتبطة بمشيئة الإنسان **﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** (الكهف: ٢٩). وهكذا تشمل الحرية كل الحريات الإنسانية دينية كانت أم سياسية أم فكرية أم مدنية.

ولبيان موقف الإسلام من الفنون يذهب الدكتور زقزوق إلى أن الفن هو حقيقة إبداع جمالى لا يعادى الإسلام. وغاية ما فى الأمر أن الإسلام يجعل الأولوية للمبدأ الأخلاقى على المبدأ الجمالى، بمعنى أنه يجعل الثانى مترتبا على الأول ومرتبطا به، وهذا هو الموقف المبدئى للإسلام إزاء جميع أشكال الفنون. وهناك معيار إسلامى للحكم على أى فن من الفنون يتمثل فى قاعدة تقول حسنه حسن وقبيحه قبيح. ولا يرفض الإسلام الفن إذا كان جميلاً. أما إذا اشتمل على القبح بما يعنيه ذلك من قبح مادى ومعنوى فإن الإسلام يرفضه ولا يوافق عليه. أما إذا كان هدف الفن المتعة الذهنية، وترقيق الشعور وتهذيب الأحاسيس، فلا اعتراض عليه. ولكن إذا خرج عن ذلك وخاطب الغرائز الدنيا فى الإنسان، وخرج عن أن يكون فنا هادفاً فإنه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة، بل يعمل على هدمها، وبذلك يخرج عن أن يكون فنا، بل يصير نوعاً من اللهو المذموم والعبث المرفوض، وهذا أمر لا يقره الإسلام.

وجاء الفصل الخامس - وهو أطول فصول الكتاب حيث يقع فى ٥٦ صفحة من ص٦٩ إلى ص١٢٥ بعنوان «الإسلام وقضايا المرأة» وتناول فيه المؤلف افتراءات خصوم الإسلام حول موقف الدين الحنيف من المرأة، وعن الإدعاء الذى يقول بظلم الإسلام للمرأة فى مسألة الميراث عندما أعطاها نصف حق الرجل فى بعض حالات الميراث، يقول المؤلف: يلزم الإسلام الرجل بالإنفاق على زوجته وأفراد أسرته، وفى الوقت لا يلزم المرأة بأية التزامات مالية لغيرها. فإذا قمنا بعملية حسابية بسيطة سيتضح لنا أن المرأة عندما تأخذ نصف ما يأخذه الرجل من الميراث فإنها تكون فى وضع مالى أفضل من وضع الرجل، ذلك لأن ما يأخذه الرجل يجب عليه شرعاً أن ينفق منه على زوجته وأسرته من البنين والبنات، وعلى أمه وأبيه إذا لم يكن لهما مورد رزق، وعلى أخواته إذا لم يكن لهن عائل. ومعنى هذا أن ما يأخذه الرجل من ميراث يكون فى تناقص مستمر بسبب هذه الالتزامات الكثيرة، أما المرأة فإنها لا تسأل إلا عن نفسها، وهى حرة فى ميراثها حيث تستطيع أن تنميه فى استقلال تام عن الرجل، وليس عليها أية التزامات مالية تجاه الأسرة، وزوجها ملزم بنفقتها حتى وإن كانت ذات ثراء، وهذا يعنى أن ميراثها سيكون فى ازدياد مستمر. ومن ذلك يتضح

أنه ليس هناك ظلم للمرأة على الإطلاق، أو انتقاص شأنها، بل لعل الميزان هنا يميل إلى صالحها.

ويتوقف الدكتور زقزوق ليشير إلى نقطة مهمة فى هذا السياق وهى: أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفا عاماً ولا قاعدة مطردة فى توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث، فالقرآن لم يقل: يوصيكم الله فى المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين، وإنما قال: **﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾** (النساء: من الآية ١١)، وهناك فرق واضح بين التعبيرين.

واستقراء حالات ومسائل الميراث يكشف لنا عن حقيقة مغايرة تماما لما استقر فى الأذهان بشأن ميراث المرأة وما يرتبط بذلك خطأ من الانتقاص من أهليتها، فحالات الميراث بناء على هذا الاستقراء تبين أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف ميراث الرجل، وهناك أكثر من ثلاثين حالة ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه أو ترث هى ولا يرث نظيرها من الرجال.. ومما يبرهن على أن نظام التوريث فى الإسلام قادر على حل مشاكل جميع الأسر أن دار الإفتاء المصرية تشهد بأن كثيراً من الأقباط فى مصر يحتكمون إلى نظام المواريث الإسلامية لما له من أثر كبير فى حسم النزاعات والقضاء على أسباب الخلاف بين المستحقين للميراث.

وفيما يتعلق بشهادة المرأة يقول الدكتور زقزوق: يذهب القائلون بهذه الشبهة إلى الزعم بأن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل. ومصدر هذه الشبهة هو الخلط بين «الشهادة» و«الإشهاد» الذى تتحدث عنه الآية الكريمة: **﴿يأأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه..﴾** إلى قوله: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾** البقرة: آية ٢٨٢، فالشهادة التى يعتمد عليها القضاء معيارها تحقق اطمئنان القاضى لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد ذكرا كان أو أنثى وبصرف النظر عن عدد الشهود.. أما الآية المشار إليها فإنها تتحدث عن أمر آخر غير الشهادة أمام القضاء، إنها تتحدث عن «الإشهاد» الذى يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على دينه، وذلك على سبيل النصح والإرشاد لصاحب الدين، وليس تشريعا موجها إلى القاضى الحاكم فى القضايا والنزاعات، وقد أكد هذا الفهم عدد من العلماء الثقات المجتهدين قديما وحديثا مثل ابن تيمية وابن القيم والإمام محمد عبده والشيخ شلتوت.. وغيرهم عليهم رحمة الله جميعا.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى قضية عمل المرأة فيقول: لقد نظر الكثيرون من علماء الإسلام فى مختلف العصور الإسلامية إلى مسألة عمل المرأة نظرة تقدمية. فقد قال الإمام ابن حزم بجواز أن تتولى المرأة الحكم، وهذا هو أيضا رأى الإمام أبى حنيفة صاحب المذهب الفقهى المشهور، أما الإمام ابن جرير الطبرى فقد أجاز أن تتولى المرأة القضاء فى كل شىء يجوز للرجل أن يقضى فيه دون استثناء. وقد روى أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب قد ولى الشفاء بنت عبدالله المخزومية قضاء الحسبة على سوق المدينة، وهى وظيفة دينية مدنية تتطلب الخبرة والصرامة، ولقد استأنس الدكتور زقزوق فى هذا الموضع برأى الدكتور القرضاوى فى كتابه «فتاوى معاصرة» وأيضا برأى الشيخ محمد الغزالى فى كتابه «مائة سؤال عن الإسلام».

ومعلوم أن الإسلام لم يمنع المرأة من العمل سواء داخل منزلها أم خارجه غير أن ممارستها للعمل مشروطة بشروط معينة، منها: أن تكون طبيعة العمل غير متعارضة مع التشريعات الإسلامية، وأن يكون بموافقة الزوج، وألا يتعارض مع دورها الجوهرى فى تربية أبنائها.

وعن الزعم بأن الحجاب لا يتناسب مع الحياة العصرية يقول الدكتور زقزوق: خلق الله الناس مختلفين فى كثير من الأمور،

وسيظل هذا الاختلاف إلى نهاية الدنيا. وما يصلح لأمة قد لا يصلح لأمة أخرى. فالمرأة الهندية مثلا لها زى خاص بها (السارى) ولا يعيب عليها أحد ذلك حتى فى البلاد الغربية رغم أنه زى قد يكون غير عملى، ولكن تلبسه المرأة العادية فى الهند كما كانت ترتديه رئيسة الوزراء الهندية أنديرا غاندى، ولم يقل أحد أن هذا الزى يعوق المرأة الهندية عن العمل والإنتاج. ولقد كانت المرأة الأوروبية تغطى شعرها حتى بدايات القرن العشرين - فى الأغلب الأعم - وتلبس الملابس الطويلة. ولم يعب عليها أحد ذلك، ولكنها بدأت تطور من زيها إلى أن وصل الأمر الآن إلى الوضع الحالى الذى لم يعد يلتزم بأية قواعد أو معايير، وربما يتغير ذلك بعد فترة بناء على ما تقرره بيوت الأزياء هناك.

أما المسلمة فإن الإسلام يطلب منها الاحتشام فى مظهرها - يباح لها كشف الوجه والكفين - حتى لا تكون مثارا للإغراء وعرضة للمضايقات من جانب الرجل. وليس صحيحا أن الزى الإسلامى يعوق المرأة عن العمل والإنتاج. ففى كل مؤسسات الدول نجد كثيرات من النساء فى أعمار مختلفة يلتزمن بالزى الإسلامى ويمارسن أعمالهن بطريقة عادية مثل زميلاتهن من غير المحجبات، فهذه التهمة قائمة على غير أساس معقول. ولم يقم أحد بإجراء دراسة علمية تثبت هذا الزعم.

إن كل مافى الأمر أن الغربيين يودون أن يروا قيمهم وتقاليدهم تحظى بالسيادة فى كل مكان، وهذا ضد طبيعة الأشياء. فكل أمة لها شخصيتها المتميزة. ومن حق المرأة المسلمة أن تكون لها شخصيتها وسماتها المميزة فى الملبس والسلوك كما للمرأة الهندية والأوروبية هذا الحق أيضا.

وفى مسألة تعدد الزوجات فى الإسلام أوضح الدكتور زقزوق أن الإسلام لم يفرض الزواج بأربع ولم يخترع التعدد، فقد كان هذا واقعا قائما أراد الإسلام أن يعالجه بحكمة ودون إحداث هزة عنيفة فى المجتمع، ويرى أن الأصل فى الإسلام هو الزواج بواحدة، وأن التعدد هو الاستثناء، ولقد أبقى على هذا الاستثناء لمبررات معقولة ولمعالجة حالات خاصة، ومن ذلك على سبيل المثال فى أوقات الحروب حيث يموت الكثيرون من الرجال فى ميادين القتال، وتظل الكثيرات من النساء بلا عائل. فتلك حالة استثنائية لجواز التعدد حماية للنساء من الانحراف أو الوحدة والاحتياج. كما أنه قد تمرض المرأة مرضا مزمنا تعجز فيه عن القيام بواجباتها الزوجية، أو تكون غير قادرة على الإنجاب. فحماية للزوج من الانحراف يباح له الزواج بامرأة أخرى تتساوى مع الزوجة الأولى فى جميع الحقوق. وإذا كان الإسلام قد أبقى على هذا الاستثناء فإنه بذلك يقضى أيضا على خطر التعدد غير المشروع وما يترتب عليه من آثار. وهو التعدد الذى لا يعترض عليه العالم الغربى!!

وفى الفصلين السادس والسابع تناول المؤلف بعض القضايا منها: مسألة حرية الاعتقاد. وأكد أن القاعدة الأساسية هنا هى قول الله تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦، ومنها: مسألة تحريم الإسلام لأكل لحم الخنزير، وهنا أشار الدكتور زقزوق إلى أن الإسلام لم يكن أول الأديان التى حرمت أكل الخنزير، فالديانة اليهودية تحرم أكل لحم الخنزير، ولا يوجد حتى الآن يهودى فى أوروبا وأمريكا يأكل لحم الخنزير إلا فيما ندر. ولم يعب أحد على اليهود ذلك، بل يحترم الغرب العادات الدينية لليهود.. ويقول مستأنسا برأى الدكتور القرضاوى: وعندما جاء السيد المسيح عليه السلام أعلن - كما جاء فى الإنجيل - بأنه لم يأت ليغير الناموس بل ليكمله، أى أنه لم يأت ليغير التشريعات اليهودية. ومن بينها بطبيعة الحال تحريم أكل لحم الخنزير، والأمر المنطقى بناء على ذلك أن يكون الخنزير محرما فى المسيحية أيضا.. ومعلوم أن بعض العلماء يرى أن الإسلام حرم لحم الخنزير لاحتوائه على الدودة الشريطية وبويضاتها المتكلسة.. وإذا كان الطب الحديث يحاول التغلب على هذه الآفة فمن أدرانا أن ليس فى لحم الخنزير عيوبا ومشاكل لم نعرفها بعد؟

من أعلام المصلحين

أحمد أمين.. وحديث النفس!

«اعرفْ نفسكَ بنفسك».. هى مقولةٌ للفيلسوف «سقراط» أطلقها ظنا منه أن نفس المرء قادرةٌ على ذلك.. وماهى - بالقطع - بقادرة، فالمخلوق لا يعرف ذاته إلا بخالقها سبحانه: ﴿ونفس وما سواها..﴾ الشمس: آية ٧، ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم..﴾ فصلت: آية ٥٣.

لمَا عرَفْتُ بِكَ الحقيقةَ أشْرَقَتْ
نَفْسِى وهَامَتْ بالحقِيقَةِ ذَاتِى
وارتاحَ طُوفانُ اليقينِ بخَاطِرِى
كالنورِ فى المصباحِ فى المشكاةِ(١)

أعلم أنه من الممكن أن تجرى - داخل الإنسان - محاورةٌ أو مساءلة!:

● محاورة النفس مع النفس بغية المصارحة والمكاشفة لاستجلاء ما خفى أو خبئ! ﴿وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ البقرة: آية ٢٨٤.

أحمد أمين

كمال عبدالوهاب

● أو مساءلة النفس للنفس بغرض اللوم والزجر لاستصواب ما مال أو زاغ! ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ النازعات: الآيتان ٤٠، ٤١.

ذلك أقصى ما تستطيعه النفس البشرية بلوغه، أو أبعد ما يمكن أن تصل إليه. أما أن تعرف النفس ذاتها بذاتها، فذلك أمرٌ عسير، .. لماذا؟!

■■

لأن النفس إما أن تغلو فى تقدير ذاتها، أو تبرر ما ساء من تصرفها.. وإما أن تغمطها حقها فتهوِّن من شأنها، وتبخسها حقها. ثم إن للنفس أعماقا كأعماق البحار، وغموضا كغموض الليل.. فالوعى واللاوعى، والعقل الباطن والظاهر، والشعور البسيط والمركب.. كل هذا وأمثاله يجعل تحليلها صعب المنال، وفهمها أقرب إلى المحال!

من هنا فإن قول سقراط يعدّ تكليفا شططا وأمرا يجاوز الطاقة!

ومع ذلك، فنحن - الآن - لسنا بصدد حديث النفس «مع»، ولا «إلى»، وإنما «عن».. أى حديث النفس عن النفس!.. بمعنى أن المصلح الكبير الذى نعرض سيرته الذاتية على هذه الصفحات هو الذى تولى - بقلمه - الكتابة عن نفسه!.. وهل فى ذلك من غرابة؟! بالطبع لا .. فهو يملك من ناصية اللغة والبلاغة والثقافة ما أهّله لأن يُصبح من كبار كبار الأدباء والمؤرخين!

يعلق الأديب الكبير على تجربة الكتابة عن نفسه:

«لم أتهيب شيئا من تأليف ما تهيبت من إخراج كتاب عن نفسى، فالعين لا ترى نفسها إلا بمرآة.. والشئ إذا زاد قربه صعبت رؤيته. والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق، أو بمحاولة للتجرد تم توزيعها على شخصيتين: ناظرة ومنظورة، حاكمة ومحكومة،

ومـــا أشق ذلك وأضناه!.. ومع هذا فكيف يكون الإنصاف؟!».

• تُرى من هو.. صاحب حديث النفس؟!(٢)

إنه أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ. اشتهر باسمه «أحمد أمين» وضاعت نسبته إلى «الطباخ». أترك الحديث لصاحبنا (أحمد أمين) ليسترسل بأسلوبه هو، وعن نفسه هو.. قد لا يأتى كلامه مرتبا أو منمقا، إلا أن عرضه العفوى لحياته شائقٌ للغاية وممتع.. يقول أحمد أمين:

«كانت أول مدرسة تعلمت فيها أهم دروسى فى الحياة بيتى، وقد بنى أبى - بعد أن تحسنت حاله - بيتا مستقلا فى الحارة التى يسكنها. طابع البيت كان البساطة والنظافة، فأثاث أكثر الحجر حصير فرشت عليه سجادة. وإذا كانت حجرة نوم رأيت فى ركن من أركانها حشية ولحافا ومخدة، تطوى فى الصباح وتبسط فى المساء، فلم نكن نستخدم الأسرّة..

«كان أبى مولعا بالكتب فى مختلف العلوم، فى الفقه.. والتفسير والحديث واللغة والتاريخ والأدب والنحو والصرف والبلاغة. وقد مكنه عمله مصححا فى المطبعة الأميرية أن يقتنى كثيرا مما طبع فيها، وكانت هذه المكتبة أكبر متعة لى حين استطعت الاستفادة منها.

«فى حجرة فى هذا البيت ولدت، وكانت ولادتى فى الساعة الخامسة صباحا من أول أكتوبر سنة ١٨٨٦م، وكأن هذا التاريخ كان إرهاصا بأنى سأكون مدرسا، فأول أكتوبر - عادة - بدء افتتاح الدراسة. وشاء الله أن أكون كذلك. فكنت مدرسا فى مدرسة ابتدائية، ثم فى مدرسة ثانوية، ثم فى عالية، وكنت مدرسا لبنين وبنات، ومشايخ وأفندية. وكنت رابع ولد وُلد، ولم يكن أبى يحب كثرة الأولاد شعورا منه بالمسئولية، ولما لقى من الحزن العميق فى وفاة أختى..

«وكان بيتنا محكوما بالسلطة الأبوية، فالأب وحده مالك زمام أموره، لا تخرج الأم إلا بإذنه، ولا يغيب الأولاد عن البيت بعد الغروب خوفا من ضربه، ومالية الأسرة كلها فى يده يصرف منها ما يشاء. يشعر شعورا قويا بواجبه نحو تعليم أولاده. يرحمنا ولكنه يخفى رحمته ويظهر قسوته، وتتجلى هذه الرحمة فى المرض يصيب أحدنا!..

«كان بيتنا - على الجملة - جِدًا لا هزل فيه، متحفظا ليس فيه ضحكٌ كثير ولا مرح، وذلك من جَدّ أبى وشدته!.

«يغمر البيت الشعور الدينى، فأبى يؤدى الصلوات لأوقاتها ويكثر من قراءة القرآن صباحا ومساء، ويصحو مع الفجر ليصلى ويبتهل، ويكثر من قراءة التفسير والحديث، ثم هو يربى أولاده تربية دينية فيوقظهم فى الفجر ليصلوا ويراقبهم فى أوقات الصلاة الأخرى ويسائلهم متى صلوا وأين صلوا؟!.. يذكر الموت دائما ويقلل من قيمة الدنيا وزخرفها ويحكى حكايات الصالحين ويحج وتحج أمى معه.

«كانت أمى وأخواتى محجبات، لا يرين الناس ولا يراهن الناس إلا من وراء حجاب.. وهكذا من أمور الانفلات الخطير.. ولو بُعث جَدّى، ورأى ما كان عليه أهل زمنه وما نحن عليه اليوم(٣) لجن جنونه!

«كان هذا البيت أهم مدرسة تكونت فيها عناصر جسمى وخلقى وروحى، إذ انعكست كل خصائص البيت فى طبيعتى وكونت أهم مميزات شخصيتى، فإن رأيت دينا يسكن فى أعماق قلبى، وإيمانا بالله لا تزلزله الفلسفة ولا تُشكك فيه مطالعاتى فى كتب الملحدين، إن رأيت فىّ إفراطا فى جانب الجد أو تفريطا معيبا فى جانب المرح، وإن رأيت صبرا على العمل وجلدا فى تحمل المشقات.. فاعلم أن ذلك كله صدى لتعاليم البيت ومبادئه!

«وكانت المدرسة الثانية هى «حارتنا»، فقد لعبت مع أبنائها وتعلمت منهم مبادئ السلوك، وتبادلت معهم عواطف الحب والكره، والعطف والانتقام والألفاظ الرقيقة وألفاظ السباب. وانطبعت منها فى ذهنى أول صورة للحياة المصرية الصميمة فى سلوكها وأخلاقها وعقائدها وخرافاتها وأوهامها ومآتمها وأفراحها وزواجها وطلاقها إلى غير ذلك.. وكانت «حارتنا» مثالا للأسر فى القرون الوسطى قبل أن تغزوها المدنية بماديتها ومعانيها(٤).

«أما المدرسة الثالثة فكانت الكتّاب. حيث اختار لى أبى أقرب

كتّاب، يكاد يكون على باب حارتى، وهى حجرة متصلة بالمسجد(٥). نذهب إليه صباحا، ونجلس على الحصير متربعين متلاصقين، ويأخذ كل منا لوحة من الصندوق. وكان لسيدنا عريف يساعده فى كتابة الألواح للأطفال، ويقوم مقامه إذا غاب، كما يساعده فى مدّ رِجل الطفل فى الفلقة عند الحاجة، وقد تنقلت فى أربعة كتاتيب على مدار خمس سنوات، حفظت فيها القرآن وتعلمت القراءة والكتابة، وكان لى من حجرة أبى فى البيت يوم الجمعة وفى أوقات الفراغ كتّابٌ آخر، سيدنا فيه هو أبى، أحفظ فيه جديدا وأسمع فيه قديما»!

■

• جهاده(٦)

مكث مدة قصيرة فى الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعى، ودرس بها إلى سنة ١٩٢١م، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية وانتخب عميدا لها سنة ١٩٣٩م، وعين مديرا للإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧م، واستمر فيها إلى آخر حياته. كان من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمى العراقى ببغداد. ومنحته جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨م لقب دكتور فخرى، وهو من أكثر كتّاب مصر تصنيفا وإفاضة.

أكتفى بهذا القدر، وأعود سريعا إلى صاحبنا (أحمد أمين) لنرى ما خطّه يراعه عن نفسه:

«اطلعت فى إحدى الجرائد على إعلان من وزارة المعارف تطلب فيه مدرسين للغة العربية، فتقدمت للامتحان ونجحت، وكان نصيبى مدرسة راتب باشا بالإسكندرية، سافرت وكان عمرى - آنذاك - ١٨ سنة، ورأيت البحر لأول مرة فسحرنى وصرت آنس به، وحببت إلىّ القراءة فى المكان الخالى على شاطئه. هناك قرأت بعض كتب الغزالى فشعرت بنزعة صوفية، وحفظت كثيرا من نهج البلاغة إعجابا بقوة أسلوبه، وقرأت كتاب أشهر مشاهير الإسلام لرفيق بك العظم فتحمست لأبطال الإسلام وأعجبت منه بتحليل شخصياتهم، وفلسفة الحوادث فى أيامهم.

«بعد سنتين فى الإسكندرية، عينت مدرسا بمدرسة والدة عباس باشا الأول فى أكتوبر ١٩٠٦م، وهى المدرسة التى تعلمت فيها صغيرا، والتى كنت أحن إليها دائما فى أيامى فى الأزهر. لم أمكث فى هذه المدرسة إلا سنة واحدة، وفى سنة ١٩٠٧م تقرر فتح مدرسة القضاء الشرعى، وكان الغرض منها تخريج قضاة شرعيين مكان الذين عمت منهم الشكوى(٧)، أعلن عن امتحان القبول، فتقدم أكثر من مائتين، منهم من قضى سنين طويلة فى الأزهر، فكان امتحانا عسيرا رسب فيه كل المتقدمين إلا خمسة، وكنت الثالث، ففرحت فرحا لا يقدر. إذ رسم مستقبلى ووضحت معالمه، وكفيت شر التسكع فى المدارس الأهلية.. كانت الفكرة فى مدرسة القضاء أن يثقف فيها الطالب ثقافة دينية من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وتوحيد، وثقافة لغوية أدبية من نحو وصرف وأدب، وثقافة قانونية عصرية، وثقافة عامة عصرية مثل الجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والحساب والجبر والهندسة.. فكان برنامجها مزيجا من كل ذلك!..

«بدأت الدراسة فى القسم العالى من هذه المدرسة، ومدتها أربع سنوات، وكان فصلنا أربعة عشر طالبا.. نظام المدرسة شاق عنيف، فليس هناك ملاحق، وليس هناك إعادة سنة، فمن رسب فى هذا الامتحان الثلاثى حرم من مكافأته (١,٥ جنيه شهريا). وبعد امتحان صعب للغاية نجحت وكان ترتيبى السادس وعينت مدرسا فى مدرسة القضاء بعد شهرين من تخرجى. وقد اشتقت فى هذه الفترة إلى أن أعرف لغة أجنبية وكنت أسمع من أساتذتى أن من اقتصر على اللغة العربية يرى الدنيا بعين واحدة، فإذا عرف لغة أخرى رأى الدنيا بعينين!..

«وفى هذه المدة اتصلت بحزب الأمة الذى تكوّن بجانب الحزب الوطنى وحزب «الإصلاح على المبادئ الدستورية»، وعلى الأصح اتصلت بجريدته المسماة «بالجريدة» التى كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفى

السيد، وكانت حجرته فى الجريدة منتدى لجمهرة من الشبان المثقفين، ومن حين لآخر كانت تلقى فى فناء الدار محاضرات سياسية يدور حولها الجدل!

«استمررت مدرسا فى مدرسة القضاء سنتين، وكانت هناك مشكلة هى أنى لم أنجح فى الكشف الطبى لقصر النظر، فعينت «ظهورات»، أى ليس لى الحق فى المعاش عند بلوغى السن، وليست لى ضمانات فى بقائى بالوظيفة ففكرت أن أعين قاضيا لمدة قصيرة[8]، فإذا عينت قاضيا كنت مثبتا، فإذا انتقلت إلى مدرسة القضاء نقلت مثبتا. ولكن ظهرت مشكلة أخرى، وهى أن مدير المحاكم الشرعية أبى إلا أن يعيننى قاضيا فى الواحات الخارجة، وهى بلد بعيد يشق انتقالى إليها على أبى وأمى اللذين أصبحا لا يجدان عزاء من فقد أخوىّ إلا بقائى بينهما، فحاولت تغيير المكان إلى آخر قريب فلم أستطع، فتوكلت على الله وقبلت الوظيفة واستعددت للسفر إلى الواحات!.. وقد قضيت فيها ثلاثة أشهر.. عجبت - فى هذه الفترة - للإسلام واللغة العربية وقوتهما وانتشارهما، فليس فى الواحات إلا مسلم، وليس فيها إلا من يتكلم العربية وحدها!

«وبعد ثلاثة أشهر جاءنى كتاب من محكمة أسيوط الشرعية، يخبرنى بنقلى من القضاء إلى مدرس بمدرسة القضاء، فعدت إليها كما كنت، ودرّست كما كنت أدرّس أهم دروسى، دروس الأخلاق، وبجانبها فقه أو تاريخ أو منطق. وأحسست ثانية حاجتى الشديدة إلى تعلم لغة أجنبية، فتعلمت الإنجليزية - بعد عناء - وأتقنتها بفضل سيدة إنجليزية كان لها عظيم الأثر فى عقلى ووجدانى، وتدعى «مس پور»، تجيد الإنجليزية والفرنسية والألمانية».

يُكمل أحمد أمين حديثه الطويل الشائق، فيشير إلى مرحلة مهمة فى تاريخ وطنه وتاريخه الشخصى، فيقول: «جاءت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وكانت أحداثها وقودا لإلهاب الشعور الوطنى، فخلع الخديو عباس وأعلنت بريطانيا الحماية على مصر، فحزّ ذلك فى نفوسنا، وولى الأمير حسين كامل سلطانا على مصر، فأثّرت فى شعورنا الطريقة التى عين بها[9]. وكانت مدرسة القضاء تغلى من هذه الأحداث، وزاد غليانها أيام تكوّن الوفد وعلى رأسه سعد باشا زغلول، إذ كانت المدرسة تعدّ عملا من أعماله الجليلة، لذا وجب تأييده ما استطاعت. ولما اشتعلت نيران الثورة كنت من المتصلين بعبدالرحمن فهمى سكرتير الوفد، فاختارنى للإشراف على عملين: الأول - إلقاء الخطب السياسية فى المساجد عقب صلاة الجمعة، والثانى - كتابة المنشورات التى تحوى أهم الأحداث. وكدت أدخل السجن بسبب ذلك كما سجن غيرى من زملائى!

«على أى حال انغمست فى السياسة واشتركت فى المظاهرات، خاصة التى ترمى إلى التقريب بين الأقباط والمسلمين، وكنت أتلمس المظاهرة، فأركب عربة وأنا بعمامتى أصطحب فيها قسيسا بملابسه الكهنوتية، ونحمل علما فيه الصليب والهلال!..

«ظللت فى القضاء أربع سنين، سنة فى قويسنا، وسنة فى طوخ، وسنتين فى محكمة الأزبكية، ومع ذلك فلم أستمرئ القضاء ولم أسعد به، كل ما أراه أُسرٌ قد خربت، أما الأسر السعيدة فلا آراها!

«دق جرس التليفون بمنزلى فى مصر الجديدة، وأنا قاضٍ بمحكمة الأزبكية سنة ١٩٢٦م، وإذا المتكلم صديقى الدكتور طه حسين يطلب إلىّ مقابلته، وذهبت فإذا هو يعرض علىّ أن أكون مدرسا بكلية الآداب، فقبلت لنفورى من القضاء وحبى للتدريس، ومضيت إلى الكلية حيث قصر الزعفران الآن. هاأنذا أطلق كتب الفقه، وأعود إلى كتب اللغة والأدب والنحو!

«ثم جاء المشروع الواسع الذى قام به ثلاثتنا (الدكتور طه حسين والأستاذ عبدالحميد العبادى، وأنا)، خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث فى العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام، فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية، والأستاذ العبادى بالحياة التاريخية، وأختص أنا بالحياة العقلية»[10].

قالوا عنه[11]:

● من ألّف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام أبقى على الأيام من أن يدركه الموت!

(طه حسين)

● إن سلسلة فجر الإسلام وضحاه وظهره من أقوم وأروع ما وضع عن الحياة العقلية والفكرية للإسلام!

(عبدالرزاق السنهورى)

● اقرأ كتابه فجر الإسلام وصنويه الضحى والظهر تلمح خلف مظاهر البحث والدرس لوامع الروح الأصيلة التى تميط الغبار عن معالم الفكر العربى وتريك الضوء من مصابيحه!

(محمود تيمور)

● إن السلسلة الرائعة من تاريخ الأدب العربى التى تبدأ بفجر الإسلام وتنتقل إلى ضحى الإسلام فإلى ظهر الإسلام، كنوز من المعرفة كتبت بأسهل لسان، ونقلت من أصح مصادر واشتملت على أدق الآراء العلمية.

(الأمير مصطفى الشهابى)

● مؤلفاته(١٢)

- «فيض الخاطر - ط» ستة أجزاء (وهو عبارة عن مقالاته المنشورة فى المجلات والصحف). ومن تآليفه المطبوعة:

- «فجر الإسلام». - «ضحى الإسلام». - «ظهر الإسلام». - «يوم الإسلام». - «النقد الأدبى» جزآن.

- «زعماء الإصلاح فى العصر الحديث». - «إلى ولدى». - «حياتى». - «قاموس العادات». - «الصعلكة والفتوة فى الإسلام». - «مبادئ الفلسفة» (مترجم). - «الأخلاق». - «قصة الفلسفة اليونانية». - «قصة الفلسفة الحديثة».

● رحيله(١٣)

انتقل إلى جوار ربه سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ودفن فى القاهرة. (رحمه الله رحمة واسعة).

وبعد.. هذا بعض كلام «الرجل» عن نفسه، تركته يتحدث، وأتركه يختم: «عندما وضعت هذا الكتاب (حياتى) لم أذكر فيه كل الحق، ولكنى لم أذكر فيه أيضا إلا الحق، لأنه إذا كنا لا نستسيغ عرى كل الجسم، فكيف نستسيغ عرى كل النفس؟!».. ثم يضيف: «إن حديث الإنسان عن نفسه - عادة - ثقيل بغيض، لأن حب الإنسان نفسه كثيرا ما يدعوه أن يشوب حديثه بالمديح ولو عن طريق التواضع. وفى هذا المديح دلالة على التعالى من القائل، ومدعاة للنفور من القارئ، ولذلك لا يستساغ الحديث عن النفس إلا بضروب من اللباقة.. واللياقة»!

الهوامش:

١ - الشاعر الإسلامى محمد التهامى، من قصيدة بعنوان: صلاة.

٢ - أحمد أمين، حياتى، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، (بتصرف).

٣ - عندما ذكر أحمد أمين عبارة «وما نحن عليه اليوم»، كان ذلك فى أخريات عام ١٩٥٣م. ولا أدرى ما الذى يمكن أن يقوله جده الآن، ونحن فى عام ٢٠٠٧م، أى بعد ٥٤ عاما؟!!

٤ - ولد أحمد أمين عقب الاحتلال الإنجليزى بنحو أربع سنوات، أى قبل أن يبث الفرنج مدنيتهم فى الشعب.

٥ - مسجد الرماح بالمنشية.

٦ - المصدر رقم ١. (بتصرف).

٧ - عُهد إلى الشيخ محمدعبده بالتفتيش على المحاكم الشرعية وفحص عيوبها، فقام بذلك خير قيام، واقترح وجوه الإصلاح، وعلى أثر ذلك فكرت نظارة الحقانية فى إنشاء مدرسة، واحتضن فكرتها سعد باشا زغلول، إذ كان ناظرا للمعارف.

٨ - كان القاضى يعين بمرسوم، ولا يحتاج من يعين بمرسوم إلى كشف طبى.

٩ - كان التعيين يأتى من قِبل سلطان الآستانة. أما هذه المرة فقد جاء من مندوب الوكالة الإنجليزية.

١٠ - كانت هذه بالتحديد نقطة انطلاق أحمد أمين فى كتاباته المتخصصة (الإسلاميات)، فقد ألّف «فجر الإسلام» ١٩٢٨م، ثم تتابعت السلسلة فكتب «ضحى الإسلام»، وبعدها «ظهر الإسلام»، و«يوم الإسلام».

١١ - انظر المصدر رقم (١).

١٢، ١٣ - خير الدين الزركلى، الأعلام، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٩٢م، ص١٠١.

الدعوة والدعاة

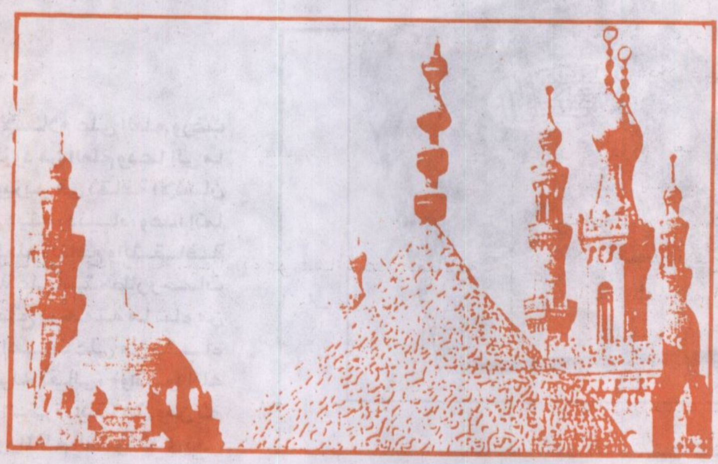

- الإســلام والعلــم
- الدعـاء معراج الأولياء فى الشدة والرخاء
- مـحـمـد ﷺ المثل الكامل
- العنوسة.. أسبابها ووسائل القضاء عليها

الإسلام والعلم

فضيلة الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

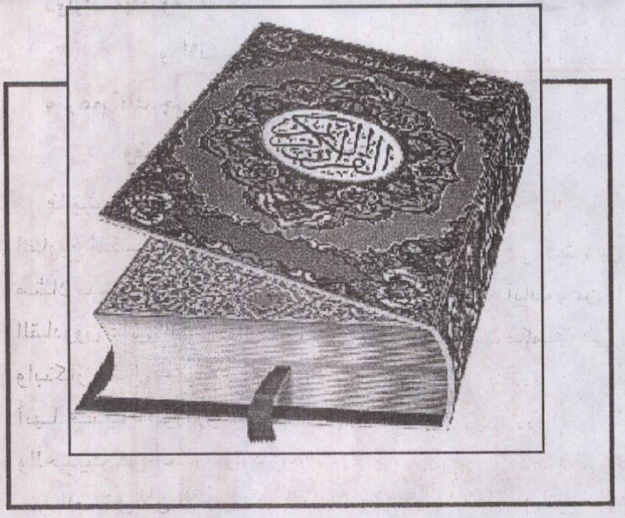

لقد حث الإسلام على العلم ورغب فى التعلم والتزود من العلم ودعا إلى ما يوسع المدارك ويزيد فى ثقافة الإنسان وينفعه فى دينه ودنياه، وهذا إنما ينطبق على العلم النافع والثقافة المفيدة المبنية على استمطار رحمات الله فإن الله يفتح برحمته ما شاء من الأفكار والإبداعات على من يشاء تحقيقا لقوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ البقرة: آية ٢٨٢، ومن ثم تبدو أهمية دور المعلم القدوة الذى يعى رسالته فى الحياة باعتباره وريثا للأنبياء فى التبليغ والهداية والتعليم وبث روح المسئولية فى الناس والاعتماد على النفس والقدرة على الإقناع والحوار... إلخ

لقد اعتبر الإسلام طلب العلم فريضة، واعتمد حسن توظيفه وسيلة لبناء الحضارة المثلى لأن الإسلام يريد من أتباعه نضجا فى التفكير والانتقال من الاهتمام بالكم إلى الاهتمام بالكيف أيضا فلا يكفى نشر المدارس والمستشفيات مثلا وإنما من حيث العمل على (التميز والإتقان) ففى الحديث الشريف «لا حكيم إلا ذو تجربة» رواه ابن ماجة.

لذا حثنا الإسلام على الاستثمار فى تنمية الإنسان وقدراته بالقدرة على التميز والجودة والإتقان فالإنسان هو الذى كرمه الله واصطفاه لصناعة الحضارة **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** الإسراء: آية ٧٠، وهو نفسه الذى أسجد الله له ملائكته سجود تعظيم وتقدير لا سجود عبادة **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس..﴾** البقرة: آية ٣٤، وهو الذى علمه الأسماء كلها **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين..﴾** البقرة: آية ٣١، وهو الذى اختار طريقه بإرادته **﴿وهديناه النجدين﴾** البلد: آية ١٠، **﴿ولكل وجهة هو موليها﴾** البقرة: آية ١٤٥، فالإنسان أولا وأخيرا من حيث هو قيمة فى حد ذاته ذات تكريم من رب العباد وهو ثروة ذات معين لا ينضب لأنه هو العمود الفقرى فى تقدم الأمم والشعوب، فالإنسان سيد فى الكون وليس سيدا للكون والكون مسخر له

بأمر الله لا بأمر الإنسان ذاته ولا وفق أهوائه التى كثيرا ما جمحت إلى الفساد ولله در الشاعر القديم الذى وصف الإنسان فأحسن الوصف فقال:

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك ولا تبصر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

فالبشر هم صناع التقدم منذ بدء التاريخ المكتوب وحتى الآن، فاليابان مثلا سلاحها هو بشرها الأكفاء القادرون على التفكير العلمى المنظم وابتكار حلول لمشكلات اليابان مع أنها فقيرة فى ثروتها الطبيعية والحديث عن العلم مرتبط بالحديث عن العقل لأن الأصل فى العلم هو إعمال العقل واستخدام المعارف الحاصلة منه بداهة أو بجولان الفكر فحصا ومقارنة واستنتاجا، ولهذا قال الإمام الغزالى: العلم ثمرة العقل وقال الراغب الأصفهانى: العقل يقال للقوة المهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الإنسان بتلك القوة «علم» ولهذا قال أمير المؤمنين على - كرم الله وجهه - العقل عقلان: عقل مطبوع وعقل مسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يكن المطبوع.

فالعقل المطبوع أداة قابلة لإدراك الحقائق والعقل المسموع ملكة مكتسبة تمكن الإنسان من الاستنتاج والمقارنة، فالعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين كما قال الإمام الغزالى فى كتاب العلم: «فالعقل معدن الحكمة ومقتبس الآراء ومستنبط الفهم ومعقل العلم، ولقد جاء بالقرآن الكريم تسع وأربعون آية تحض على العقل والتعقل وست عشرة آية تتحدث عن «اللب» بمعنى عقل الإنسان وآيتان تتحدثان عن «النهى» بمعنى العقل وعن «الفكر والتفكر» فى ثمانية عشر موضعا.

وعن «الفقه والتفقه» بمعنى العقل والتعقل فى عشرين موضعا وعن «التدبر» فى أربع آيات وعن «الاعتبار» فى سبع آيات وعن «الحكمة» فى تسع عشرة آية، وعن «القلب» بمعنى العقل أو أداة له فى اثنين وثلاثين موضعا وأكثر من ثمانمائة آية تتحدث عن العلم والتعلم وأكد العلماء أن تصريح المعقول لا يتناقض مع صحيح المنقول والمسلم مسئول مسئولية كاملة عن استخدام عقله أو تعطيله، قال تعالى: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** الإسراء: آية ٣٦، ومن المقاصد الدينية الحفاظ على العقل فلا ينبغى للمسلم تعطيل عقله عن التفكير والاستسلام لما يمليه عليه غيره من أفكار جاهزة يروج لها من يسمون أنفسهم بالمبدعين والتقدميين ولا يدرك بشاعة هذه الأفكار المضللة إلا فى الآخرة **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير* فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾** الملك: الآيتان ١٠، ١١، لأن الإبداع الصحيح ذو أبعاد إنسانية: أخلاقية واجتماعية ونفسية وتربوية، فليس الإبداع

اعتبر الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وضرورة توظيفه لبناء الحضارة المثلى

لا ينبغى للمسلم أن يعطل عقله ويستسلم لما يملى عليه من أفكار جاهزة يروج لها من يسمون أنفسهم بالمبدعين والتقدميين

محصورا فى الخيال إذ لا فائدة لخيال لا يتحول إلى فكرة عملية وإنتاج ولا يكون فى التفلت يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد «التفكير فريضة إسلامية» كما اعتبر الفيلسوف الكبير ابن رشد النظر العقلى فى الموجودات واجبا شرعيا فيجب التأمل وعدم الركون إلى الألفة فى التعامل مع هذا الكون وما فيه، وقد صدق من قال:

تأمل فى سطور الكائنات فإنها

من الملأ الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت سطورها

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

لقد حث الإسلام على الاستزادة فى طلب العلم ودعا إلى التفتح على منافذ المعرفة والأخذ بها فى شتى صورها وأيا كان مصدرها فلا ينكر طلب العلم على المخالفين فى الدين ومصداق ذلك قوله ﷺ: **«الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»**، والعلم فى الإسلام لا يقتصر على العلوم الدينية فقط بل إنه يشتمل كل علم يدفع الجهل سواء تعلق بالأمور الدينية أو الشئون الدنيوية، فالآيات التى تحث على طلب العلم وارتياد آفاقه كثيرة فى القرآن الكريم وكذا نجد ذلك فى السنة الشريفة وفى فعل الصحابة وغيرهم، فلقد أمر الله رسوله بالقراءة فى أول سورة من القرآن الكريم: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ ٥، فكانت هذه الآيات البينات بداية فجر جديد فجر التوحيد والمساواة والعلم والنور فقد أمرت بالقراءة والعلم والتعلم بالقلم لأن ذلك سبيل الرقى والتقدم، وفى قوله تعالى: **﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾** إغراء بالسعى وراء كل علم ومعرفة وفى قوله تعالى: **﴿ن والقلم وما يسطرون﴾** القلم: آية ١ إشادة بقيمة العلم من خلال القسم العظيم من الله تعالى بالقلم والكتابة وهما من وسائل تدوين العلم لحفظه ونشره بين الناس كما أن فى هذا القسم تنبيه على ما أنعم به الله على الإنسان من خصيصة الكتابة والقراءة يقول ابن كثير: «وفى ذلك تمجيد لشأن الكاتبين ورفع من قدر أهل العلم ففى القلم البيان كما فى اللسان وبه قوام العلوم والمعارف والرسول ﷺ ما بعث إلا لأجل تعليم الناس فهو القائل: **«إنما بعثت معلما»** وقد أكد القرآن الكريم ذلك فقال: **﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾** البقرة: آية ١٥١، وعن أبى عاتكة عن أنس ما نصه: **«اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»**، ولكنهم قالوا: «العلم يهتف بالعمل فإما أجاب وإلا ارتحل» فقد روى أن الشيخ محيى الدين بن العربى رأى جنازة الفيلسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه فسأل عنه فقيل إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه فقال:

هذا الإمام وهذه أعماله

يا ليت شعرى هل أتت آماله

لقد قرر الإسلام المساواة فى طلب العلم فهو حق لكافة الناس دون تفريق وتمييز فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، قال: اجتمعن يوم كذا أو كذا فاجتمعن فأتاهن رسول الله فعلمهن مما علمه الله»، كما جاء أيضا فى صحيح مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: **نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين»**، ولقد بين القرآن الكريم أن دعوة الإسلام لا يفهمها إلا من أوتى علما فقال: **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به﴾** الحج: آية ٥٤، وفى سنن الترمذى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خرج فى طلب العلم كان فى سبيل الله حتى يرجع»**، لكل هذا وغيره مما لا يتسع المقام لذكره نجد القرآن الكريم يحرض على النظر والتفكير فى ملكوت الله والتفكر فى قيمه وكشف أسرار الله فى الأرض والسماء وقيم التعامل مع الحيوان والنبات والجماد بالدراسة الواعية لتثبيت العقيدة الصحيحة بمعرفة الخالق هذا من ناحية وللاستفادة بما يتوصل إليه العلم باطراد من حقائق الطبيعة المسخرة لصالح الإنسانية من ناحية أخرى، لذا فالقرآن يهتم فى كثير من سياقاته باستحثاث الإنسان للاستزادة من المعرفة والاستنارة بنتاج الفكر والاهتداء باستقامة الحق واطراد قوانين الوجود فى حدود المجالات المتاحة والخبرات المكتسبة، ولهذا قرر علماؤنا المحققون أن القرآن لم يأت ليعلمنا أسرار الوجود والخلق وإنما أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهى للإنسان فى كل عصر ومع كل تقدم للعلم والمعرفة البشرية، فالعلم يستمد صحته وبيانه إذا اتفق مع آيات القرآن الكريم على أن الإشارات العلمية فى القرآن قد وردت وسائط لا غايات فى حد ذاتها لأن الخطاب موجه بصفة خاصة إلى مجالات تصويب المعتقد وإصلاح التفكير وتهذيب الأخلاق.. إلخ. جاء فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به معلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به**، فهذ الحديث يبين أن الناس ثلاثة أقسام: القسم الأول يصل إليهم الهدى والعلم فتحفظه قلوبهم ويعملون به ويعلمونه الناس وهو ما شبهه الحديث بالأرض الخصبة الطيبة وهؤلاء الأعظمون

يحث الإسلام على الاستزادة فى طلب العلم ويدعو إلى التفتح على منافذ المعرفة والأخذ بها فى شتى صورها

رغم مافى حضارة الغرب من نفع للبشرية إلا أنه وضعها فى صندوق يمكن تدميره بالضغط على ذر صغير

عند الله قدرا فهم خلفاء الله فى أرضه ودعاته إلى دينه، والقسم الثانى: لهم قلوب حافظة ولكن حرموا من القلوب الواعية ومن العلم الراسخ فلا يستطيعون استنباط المعانى الصحيحة والأحكام المفيدة ولا يعملون فى الطاعة وإنما يحملون العلم خامات وكمواد أولية فى الصناعة فيأتى إليها من يطلبها ويحتاج إليها للانتفاع بها وهذا النوع هو المشبه بالأرض المجدبة التى لا تنبت لكن تمسك الماء فلا يسرع إليها النضوب. أما القسم الثالث والأخير: فهم الجهال الذين لا يحفظون العلم ولا يستفيدون منه ولا يساعدون غيرهم على الاستفادة منه وهم المشبهون بالأرض السبخة عديمة الفائدة.

لقد وعى المسلمون الدروس وفهموا ما يعنيه الإسلام من حث المسلمين على العلم والتعلم حيث إن العقيدة الإسلامية تعتبر أساسا لانطلاقة المسلمين العلمية فقد كان لأوامر الله وتعاليم الرسول ﷺ حث متواصل للمسلمين على وجوب طلب العلم وكان عصر الخلفاء الراشدين والأمويين عصر نموّ وترابط وفتوحات. أما العصر العباسى فقد كان عصر الحضارة الإسلامية إذ حرص خلفاؤه على دفع عجلة العلم إلى الأمام وكان الخليفة هارون الرشيد يقبل الجزية كتبا وكان المأمون يزن كل مايترجم ذهبا إيمانا منهم بأن الثقافة هى روح هذه الأمة وترجمان فكرها ومورد ينهل منه المبدعون والعلماء للمشاركة فى نهضة الأمة الإسلامية وحضارتها، وشملت عنايتهم دور العلم والمعرفة كبيت الحكمة فى بغداد ودار الحكمة فى القاهرة، ودار العلم فى الموصل، والجامع الكبير فى صنعاء حتى أصبحت تلك المراكز العلمية بمثابة جامعات يفد عليها طلاب العلم من شتى أنحاء العالم وأخذ علماء المسلمين من الحضارات السابقة مثل الهندية والفارسية واليونانية ما يخدم دينهم والإنسانية وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب**﴾ الزمر: آية ١٨، وكذلك بأمره ﷺ لكاتبه زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية لتكون أداة للتخاطب مع اليهود حتى يأمن شرهم ومع حلول القرن الرابع الهجرى توضحت العلوم وتجاوز انتشارها حدود البلاد الإسلامية حتى أصبح للمسلمين ميراث حضارى هائل يتمثل فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ وما جادت به قرائح الأفذاذ من علماء المسلمين فى مختلف المجالات فبرز ابن سينا والرازى فى الطب، والبيرونى فى الفلك، والإدريسى فى الجغرافيا، وابن الهيثم فى البصريات، وجابر بن حيان فى الكيمياء، إلى غير ذلك من العلوم سواء كانت فلسفية أو دينية واكتسبوا علوما أخرى من عدة مصادر فأتقنوها وأضافوا إليها وعملوا على نشرها فى مختلف أنحاء العالم وظلت حركتهم الفكرية والعلمية متسمة بالازدهار والتفوق طيلة خمسة قرون اعتبارا من القرن الثانى الهجرى إلى القرن السابع الهجرى وكان لهذا الرقى العلمى والحضارى

الأثر الكبير فى النهضة الأوروبية الحديثة ولكن شتان بين حضارة وحضارة، ففى حضارة الإسلام لا يوجد قيد يطلب العلم سوى شرط واحد هو أن يكون العلم نافعا خادما للبشرية مسخرا لخدمة الإنسان ورفعته وتكريم شأنه. والغرب مع مافى حضارته من نفع للبشرية غير أنه وضع البشرية فى صندوق صغير يمكن تدميره بالضغط على ذر صغير وهذا ظاهر فى ابتكار أدوات التدمير والتخريب لهدم العالم بالقنابل وأسلحة الدمار الشامل، وهذا ظاهر أيضا فى قضايا الساعة، فانتشار الأمراض الفتاكة وأسبابها هو الخروج عن دائرة التوجيه الإسلامى فى البحوث والدراسات والخروج عن دائرة الفطرة التى فطرها الله - سبحانه وتعالى - حيث لا مانع لديهم من ضمير أو تشريع يحول بينهم وبين ما يفعلون ويدبرون والواقع المر الذى يعيشه العالم شاهد وشهيد على ذلك فيوم أن كانت الحضارة الإسلامية وكان المسلمون بيدهم زمام الأمور قادوا البشرية إلى الأمن والسلم وسجل لهم ذلك فى سجل الخلود صفحات مشرقة بالجلال والعظمة ولاتزال أوروبا تستمد منها وتنهل من معينها وتقرأ فيها النبل والسمو والشرف والإيثار ويوم ملك غيرنا سخر الحياة كلها للشيطان فانحلت الأخلاق وتصارعت القوى الباغية وبات العالم مهددا بالذرة والصاروخ مفتقرا إلى من ينقذه فالعالم يريد خدمات جديدة لا قنابل جديدة ألسنا نعيش فى عالم سفيه ينفق على التسليح أكثر مما يكفى لإطعام أطفال الكواكب الأخرى مع أطفال الأرض؟ فما أجدر المسلمين اليوم من أن يعيدوا مجدهم بالأخذ بأسباب العلم النافع والتكنولوجيا الحديثة حيث إن النضال من أجل العلم هو شرط ازدهار حرية الإنسان وتقدمه وهذا التلازم بين العنصرين الحرية والعلم هو ما يجمع بين معانى التغيير، وعلى الأمة الإسلامية وهى فى طريق نهضتها أن تراجع تاريخها وحضارتها وعليها أن تعى بأن الجهل وخصوصا بالدين هو آفة كل مصائبها وأن التعليم والتنمية وجهان لعملة واحدة محورها الإنسان باعتباره وسيلة التنمية وغايتها معا ولن تحدث التنمية بدون نظام كفء للتعليم والتدريب، فالنظام التعليمى السليم فى المجتمع يدفع إلى معدلات عالية من النمو الاقتصادى فنحن فى عالم أصبح فيه الإنسان والمعرفة والمعلومات أهم عناصر التنمية وعلى العالم الإسلامى أن يأخذ بها ويرفع إرادة التغيير داخله حتى لا يُسلّم مصيره لغيره فيغير نفسه بدلا من أن يغيره الآخرون فيلتفت المسلمون إلى إعداد أنفسهم بأن يفعلوا كما فعل غيرهم يجندوا قدراتهم وهى كثيرة وطاقاتهم وهى متوافرة ولعل ما يحدث للأمة الإسلامية وما تواجهه من تحديات يبعث فيها روحا جديدة يدفعها إلى العلم والإنتاج وهما السبيل الناجع فى العلاج وإن كانت القضية كبيرة تحتاج إلى عمق فى التناول وهدوء فى العلاج. والله نسأل أن نرتفع مما نحن فيه إلى ما يريده الله لنا، فإن الله لا يتغير من أجلنا ولكن يجب أن نتغير من أجل الله **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** الرعد: آية ١١. وصدق أمير الشعراء شوقى:

وإذا فاتك التفات إلى الماضى

فقد غاب عنك وجه التأسّى

نحن فى حاجة لتكثيف عملنا فى القضاء على الأمية ومحاربة الخرافة والوقوف الحاسم إلى جانب الحرية المنضبطة فى التفكير والتعبير، فهناك موانع ينبغى إزالتها لأنها تمنع أصحاب الكفاءات العلمية وتمنع الأمة من الاستفادة بهم وبعقولهم مما يدفع بعضهم إلى الاحباط والهروب إلى مكان آخر تحكمه المنافسة العلمية والبقاء فيه للأكثر كفاءة.

والله المستعان..

الدعاء معراج الأولياء فى الشدة والرخاء

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى

قال تعالى: ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ البقرة: آية ١٨٦، ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ غافر: آية ٦٠. الدعاء لغة معناه النداء تقول دعوت فلانا أى ناديته وطلبت اقباله، والدعاء شرعا معناه الابتهال إلى الله تعالى بالسؤال والرغبة فيما عنده من الخير والتضرع إليه فى تحقيق المطلوب، والشعور بالحاجة إلى الله والافتقار إليه شعور دائم لازم للإنسان فى كل طور من أطوار حياته، ولكن احساس الإنسان بذلك يظهر أتم الظهور إذا ألمت به كربة أو غشيته نازلة، أو حلت به محنة ففى هذه الحالة ليس أمامه سوى الدعاء فهو سلاح المؤمن وهو معراج الوصول إلى الله لذلك سئل أحدهم كم المسافة بين السماء والأرض فقال دعوة مستجابة لأن النبى ﷺ قال: «ليس شىء أكرم على الله من الدعاء، وليس أنفع منه فى تحقيق المطلوب ودفع البلاء والكروب فإذا فوض العبد أمره إلى الله وأحسن توكله عليه وأخلص الاتجاه وصدقت نيته وحضر قلبه وألح على الله فى دعائه وسؤاله متوسلا إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا موقنا بالإجابة غير يائس ولا شاك مقرا بعجز نفسه وفاقته وحاجته إلى ربه فإن الله تعالى لا يرده خائبا ولا يشمت فيه عدوا حاسدا.

فالدعاء فى الشدة هو التعبير الصادق عن الإحساس الصادق بالحاجة إلى الله تعالى وضرورة اللجوء إليه، والاستعانة به والثقة برحمته التى لا تضيق، وقدرته التى لا تعجز، والدعاء فى الرخاء هو التعبير الكبير عن الشعور بفضل الله وإحسانه وشكره والثناء عليه، وهو فى كلتا الحالتين عبادة صادقة ناطقة بالحاجة الدائمة إلى الله وإلى رحمته الواسعة وفضله العظيم، وقد وعد الله عباده أن يستجيب لهم إذا قالوا يارب ﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم﴾ وأهل اللغة يقولون الدعاء هو النداء والطلب من الأدنى إلى الأعلى، إذ يقال دعا الله بمعنى سأله ورجا الخير منه ويطلق الدعاء على الكلام الذى يدعى به الله كما يطلق على العبادة فقد ورد عن سيدنا النبى ﷺ: «بأن الدعاء هو مخ العبادة»، فهو القوى الذى نلتمس منه القوة والغنى الذى نلتمس منه الغنى، وهو الرحمن الرحيم الذى يرد إليه كل ما فى الوجود من آثار الرحمة والخير العظيم وللدعاء معانى كثيرة فى اللغة وورد فى القرآن الكريم ما يؤيد هذه المعانى، وليس من شك أن دعاء الله معناه النداء الموجه من العبد إليه، أو الاستغاثة به، وأن الغرض فى كلا الأمرين جلب الخير ودفع الشر، وقد يكون الغرض هو الثناء عليه بما يليق به، كما يفهم من قوله تعالى حكاية الكلام عن المؤمنين ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ آل عمران: آية ١٩١، وللدعاء شأن عظيم عند الله فقد حضنا فى كثير من آيات كتابه على الإكثار منه والإلحاح فيه والتعرف إليه به، فالدعاء إذن هو العروة الوثقى التى يتعلق بها العبد حتى يصل عن طريقها بدعائه إلى السماء، أو فيما هو قادم عليه من أهوال، لأن العبد حال تضرعه إلى الله يكون مستأنسا برعايته ومطمئنا إلى معونته وقد ورد عن النبى ﷺ فيما ورد عن عبدالله بن

العبد فى حال تضرعه إلى الله يكون مستأنسا برعايته مطمئنا إلى معونته

أوفى عن النبى ﷺ قال: **«من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصلى ركعتين ثم يثنى على الله تعالى وليصلِّ على النبى ﷺ ثم يقول لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها ياأرحم الراحمين»** رواه الترمذى، وقد بين لنا النبى ﷺ بأنه من فتح له باب الدعاء فقد فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية، وأن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل ولا يرد القضاء إلا الدعاء فعليك بالدعاء. ويقول ﷺ: **«من لم يسأل الله يغضب عليه»** ، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبى ﷺ **«يدعو الله المؤمن يوم القيامة حتى يواقفه بين يديه فيقول له عبدى إنى أمرتك بالدعاء ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى فيقول نعم يارب فيقول أما أنك لن تدعونى بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغمٍّ نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك فيقول نعم يارب فيقول إنى عجلت لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يارب فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا، ودعوتنى فى حاجة أن أقضيها لك يوم كذا أوكذا فلم تر قضاءها فيقول نعم يارب فيقول إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا». وقال ﷺ دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله به ملكا يقول آمين ولك مثل ما دعوت وعنه ﷺ دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب».**

وللدعاء آداب منها:

١ ـ ترصد لدعائك الأوقات الشريفة:

كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع وليلة القدر من الليالى ووقت السحر من ساعات الليل فيقول رسول الله فى يوم عرفة: **«ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى. فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة».**

وكذلك شهر رمضان تغلق فيه أبواب النار وتفتح أبواب الجنة وتصفد فيه الشياطين وينادى فيه ملك ياباغى الخير أبشر ويا باغى الشر أقصر. ويوم الجمعة خير أيام الأسبوع فيقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة. وفيه خلق الله آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة فعلى المسلم أن يكثر فيه من الدعاء يقول النبى ﷺ **«إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه»**. أما ليلة القدر فإنها خير من ألف شهر يقول ﷺ: **«من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له**

الدعاء عبادة صادقة ناطقة بالحاجة الدائمة إلى الله ورحمته الواسعة وفضله العظيم

ما تقدم من ذنبه»، وتقول السيدة عائشة - رضى الله عنها - يارسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة القدر ما أقول فيها. قال: قولى **«اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفو عنى»**، أما وقت السحر فإنه وقت صفاء القلوب وفراغها من هموم الحياة، وقد مدح الله المبتهلين إليه فى هذا الوقت فقال: **﴿إن المتقين فى جنات وعيون* آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين* كانوا قليلا من الليل ما يهجعون* وبالأسحار هم يستغفرون﴾** الذاريات: الآيات ١٥ - ١٨.

يقول - صلوات الله وسلامه عليه -: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له ويقول «أقرب ما يكون الرب إلى العبد فى جوف الليل الأخير» أى ثلثه الأخير، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن ومن الأوقات التى يستجاب فيها الدعاء عند السجود بين يدى الله وبين الأذان والإقامة وعقب الجهاد فى سبيل الله، فيقول أبو هريرة ﷺ «إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله. وعند إقامة الصلوات المكتوبة وعند نزول الغيث فاغتنموا الدعاء فيها».**

٢ - ومن آداب الدعاء أن تستقبل القبلة وترفع يديك بحيث يرى بياض ابطيك فقد قال ﷺ: **«إن ربكم حى كريم يستحى من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردهم صفر»** ثم ينبغى أن تمسح بيديك وجهك فى آخر الدعاء ولا ترفع بصرك إلى السماء يقول ﷺ: **«لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم».**

٣ - اخفض صوتك بين المخافتة والجهر، قالت السيدة عائشة يارسول الله فى قوله **«لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»** قال أى بدعائك.

٤ - لا تتكلف السجع فى الدعاء حال دعائك بل ينبغى أن يكون حالك التضرع وعدم التكلف لأن التكلف لا يتناسب مع التضرع فالواجب أن يكون الدعاء بلسان الانكسار لا بلسان التكلف، وعليك بالمأثور من الدعاء والتمس بلسان التضرع والخشوع.

٥ - اجزم الدعاء وأيقن الإجابة واصدق رجاءك فيه. فما أمرك بالدعاء إلا ليستجيب لك فهو القائل **«ادعونى أستجب لكم».**

٦ - ألح فى الدعاء وكرره ثلاثا فقد كان - عليه الصلاة والسلام - **إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا ولا يستبطئ** الإجابة فقد قال ﷺ: **«يستجاب لأحدكم مالم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لى، فإذا دعوت فاسأل الله كثيرا فإنك تدعو كريما».**

ومن آداب الدعاء أن تجمل فى الطلب، أن يكون طلبك مناسبا لأدب العبد مع سيده.

٧ - افتح دعاءك بذكر الله - عز وجل - فلا تبدأ بالسؤال وابدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم اسأل حاجتك واختم بالصلاة على النبى فالله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما ويرد الأخرى.

وقد استعان الرسل والأنبياء، والصالحون والطيبون والطيبات بالدعاء، سألوا ربهم حاجاتهم كلها، تضرعوا إليه فى أشد أوقاتهم فى الشدة وفى الرخاء وكانت الإجابة عندما طرقوا باب المذلة والرجاء والانكسار فهذا الخليل إبراهيم عليه السلام عندما اجتمع عليه الكفار وهو الوحيد الذى يعبد الله ويوحده فى بلدتهم (يوثقونه بالحبال ويضرمون له النار ويلقونه فيها فاستعان عليهم بتعويض الأمر لصاحب الأمر وحده كما جاء فى الدر المنثور عن ابن جرير الطبرى قال **(لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك)**، وهذه صفات توحيد وكمال وحمد وإقرار له بالملك ونفى عنه الشريك. وقال البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما **(حسبى الله ونعم الوكيل)** قالها إبراهيم عندما استقر فى النار). وهذا هو التفويض والتسليم لله، لأن النبى ﷺ قال: **«إذا**

وقعتم فى الأمر العظيم فقولوا **حسبنا الله ونعم الوكيل**»، عندما فوض الخليل الأمر إلى الجليل قال تبارك وتعالى: ﴿**يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم**﴾ الأنبياء: آية ٦٩، فتحول المكان إلى أجمل ما يكون النسيم والهواء العليل، يقول إبراهيم بعد خروجه من النار «**ما كانت أياما وليالى قط أطيب عيشا إذا كنت فيها ووددت أعيش حياتى كلها مثل عيش إذا كنت فيها**» وهذا أيوب عندما يصاب ينادى ربه فقال تعالى: ﴿**وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين* فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**﴾ الأنبياء: الآيتان ٨٣، ٨٤، وكذلك يونس بن متى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - عندما التقمه الحوت ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه**﴾ الأنبياء: آية ٨٧، فلما استقر الحوت به فى بطن البحر وسمع تسبيح الحصى ﴿**فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾ الأنبياء: آية ٨٧، فقال تعالى: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾ الأنبياء: آية ٨٨، وقد جاء فى الأثر «**من دعا بدعاء يونس أستجيب له**»، وقال النبى ﷺ: **اسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال راوى الحديث قلت يارسول الله هى ليونس خاصة أم لجميع المسلمين**

قال «هى ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها قال ألم تسمع لقوله تعالى: ﴿**فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين* فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين**﴾ الأنبياء: الآيتان ٨٧، ٨٨، فهو شرط من الله لمن دعاه، وهذا نبينا كان من دعائه «**سجد لك خيالى وسوادى وآمن بك فؤادى فهذه يدى وما جنت بها على نفسى يا عظيم يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم**»، وهو فى الهجرة قال تعالى على لسانه ﴿**وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا**﴾ الإسراء: آية ٨٠، وهذه آسية بنت مزاحم امرأة فرعون عندما أراد أن يكرهها على الكفر ﴿**قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين**﴾ التحريم: آية ١١. ولنضع نصب أعيننا قوله تعالى: ﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار* ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار* ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار* ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد* فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾ آل عمران: الآيات ١٩٠ - ١٩٥، وهذه هى نتيجة الدعاء ﴿**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض**﴾.

فالدعاء هو باب الرجاء الذى يدخل منه العباد إلى المعبود فهيا بنا إلى معراج الدعاء حتى ننهل من هذا الوعاء الذى لا ينضب ونفرح بالعطاء فمن أراد رفع البلاء واللطف فى القضاء وطلب الشفاء فعليه بالدعاء فى الشدة والرخاء.

فكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسرا أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا
فتأتيك المسرة بالعشى
إذا ضاقت بك الأحوال يوما
فثق بالواحد الفرد العلى

المكتبة الإسلامية

محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل

تأليف: محمد أحمد جاد المولى بك

عرض/ فتحى الإبيارى

هذا الكتاب «محمد ﷺ.. المثل الكامل» للمفكر والباحث الإسلامى محمد أحمد جاد المولى، من الكتب المهمة التى أثرت المكتبة المحمدية، وقد ولد المرحوم محمد جاد المولى فى إبريل ١٨٨٣م بمحافظة المنيا، وقد تعلم القرآن الكريم وحفظه وهو دون العاشرة فى كُتاب القرية، والتحق بالأزهر الشريف، وكان من الأوائل وحصل على دبلوم دار العلوم بامتياز، واختارته وزارة المعارف عام ١٩٠٧م ليدرس فى انجلترا حيث نال شهادة الدبلوم فى التربية بامتياز من جامعة ريدنجر عام ١٩١٠م وعين فى وظيفة أستاذ مساعد للغة العربية بجامعة أكسفورد لمدة ثلاث سنوات وعاد إلى مصر عام ١٩١٣م وعين بإدارة الترجمة بوزارة الأشغال لمدة ثلاث سنوات واختير عام ١٩١٦م للعمل بالديوان العالى السلطانى وأنعم عليه برتبة البكوية، ثم عين بوزارة المعارف عام ١٩٢٢م مفتشا للغة العربية بعد أن أنعم عليه بنيشان النيل. وعين عام ١٩٣٤ مراقبا لمجمع فؤاد الأول للغة العربية واستمر به سنتين نقل بعدها مفتشا أول للغة العربية بالوزارة.

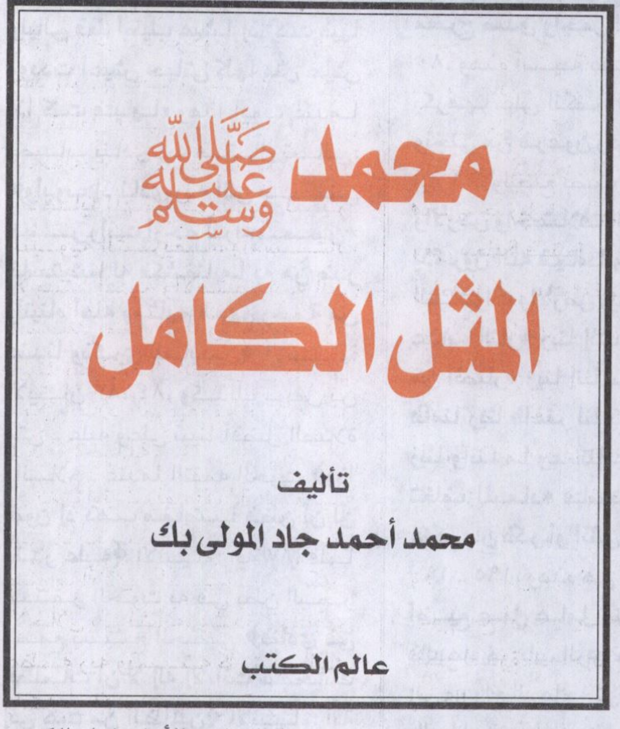
محمد صلى الله عليه وسلم

المثل الكامل

تأليف

محمد أحمد جاد المولى بك

عالم الكتب

وفى عام ١٩٣٨م عين عضوا بالمجلس الأعلى لدار الكتب. ولم ينقطع عن التأليف والنشر حتى آخر لحظة من حياته، وترك ثروة ثقافية وإسلامية كبيرة من أهمها هذا الكتاب. ثم كتاب «عظمة محمد» مترجم إلى اللغة الفارسية و«الخلق الكامل» (٤ أجزاء)، و«انصاف عثمان»، و«القرآن الكريم وأثره فى اللغة والدين والاجتماع»، وغيرها من الكتب والتى اشترك مع آخرين فى تأليفها مثل: فقه القرآن، وفقه العرب، وأيام العرب، وتهذيب المزهر للسيوطى، ومهذب رحلة ابن بطوطة، وغيرها، وله كتب تعليمية منها «قائمة فى علوم القرآن الكريم

والدين وأدب الإسلام، وقواعد اللغة العربية، والمطالعة العربية.

وقد طبع هذا الكتاب «محمد ﷺ المثل الكامل» أربع طبعات ١٩٣٠، ١٩٣٤م، ١٩٣٧م، ١٩٨٨م، والطبعة الأخيرة على نفقة ابنه الدكتور مهندس أحمد السعيد جاد المولى.

وهذا المجلد الكبير «محمد ﷺ المثل الكامل»، للمرحوم محمد أحمد جاد المولى، يحتوى على ثلاثة عشر بابا تناول فيه بأسلوب رصين ومعالجة موضوعية للعديد من القضايا المهمة فى تاريخ السيرة النبوية الشريفة، والأسباب الاجتماعية والاقتصادية التى اقتضت بعثة الرسول محمد ﷺ حيث تناول حال الفرس، والرومان، وحال البلاد العربية، وحال مكة قبل البعثة المحمدية.

ثم تناول المؤلف الأدلة العقلية على صدق نبوته ﷺ، مثل احتمال صنوف الأذى، واشتهاره بمكارم الأخلاق فى نشأته، وشدة خوفه من عظمة ربه ونسبته كل شىء إليه، وانتشار الإسلام بسرعة، وحرصه على هداية الخلق، وإخباره بالمغيبات، واهتمامه بسعادة أمته، وتجرد نفسه من الحظوظ البشرية، واهتمامه الشديد على تطهير النفوس من الأمراض الطبيعية البشرية، وأوحال الشهوات البهيمية، وعجز العرب عن معارضة القرآن الكريم الذى أنزل عليه، وتأييد الله له وخذلان أعدائه.

ومن الأدلة الحسية، إلمامه بالمعجزات ووجه الحاجة إليهما، وضرورة المعجزة للرسول ﷺ، وماهى حقيقة المعجزة، وكيف تقع المعجزة للرسول ﷺ، وماهى أنواع المعجزات ومن دلائل هذه المعجزات:

القرآن الكريم، وانشقاق القمر، وتيسير الماء لقومه على يديه وشفاؤه لبعض الأمراض، وانقياد الشجر له، وسقوط الأصنام بإشارة فى قضيب كان فى يده، واستجابة الله لدعواته، والإسراء والمعراج.

الإسراء والمعراج

والخلاصة أن الإسراء والمعراج لو كان حلما ما كانت فيه آية ولا معجزة، ولا استبعده الكفار، ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء الإيمان، إذ مثل هذا من الأحلام لا ينكر: ويؤكد ذلك مجىء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال: ومن معك؟ فيقول محمد، ولقاؤه الأنبياء فيها وترحيبهم به، وخطبه فى بيت المقدس ورده عليهم، وصلاتهم وراءه، وتعيين محل كل واحد منهم والاخبار عنه بخبر خاص، وحديث فرض الصلاة، ومراجعة موسى فى ذلك، وقوله: ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى إلى غير ذلك مما جاء فى القصة.

وهل عهد مثل ذلك فى رؤيا المنام، وهل يقال فى رؤية المنام: **﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾**؟ أو ينوه بشأنها هذا التنويه كله؟ وهل يحسن أن يكون فرض الصلاة وهى عماد الإسلام فى النوم، مع أن غيرها فرض فى اليقظة؟ ولست أفهم إلا أن هذا إنكار لقدرة الله، وإذا فتش عن إيمان ذلك المنكر، وجد ضعيفا به خلل.

وما أدرى ماذا يصنع فى مثل قوله تعالى: **﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾** النمل: آية ٤٠، وقوله: **﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾** البقرة: آية ٧٣، وقوله: **﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾** البقرة: آية ٢٦٠، إلى غير ذلك من الآيات والمعجزات.

وإن الإيمان بذلك كله، سهل لدى من يعتقد أن الله على كل شىء قدير، وإننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا!!

ثم تناول المؤلف فى أبوابه العديدة عشرة قضايا إسلامية فى مسيرة الرسول محمد ﷺ.. ففى الباب الثانى تناول موضوع: «محمد ﷺ أوفى الأنبياء دينا». وكيفية إعداد الفرد المسلم فى ذاته، غرس العقيدة الصحيحة، ووسائل تكوينها، وكيفية إعداد الفرد ليكون عضوا نافعا فى المجتمع»، وبالنسبة لإصلاح المجتمع ارتكز على إنصاف المرأة ورفع شأنها، والمرأة بوصفها بنتا، وزوجة، وأما.. وإباحة تعدد الزوجات، وأسباب تعدد زوجات الرسول ﷺ، من حيث الأسباب العامة، والأسباب الخاصة. وإباحة الطلاق، ثم تناول موضوع النساء فى الإسلام، والرق والاسترقاق فى الديانة المسيحية، وفى الأزمنة القديمة عند قدماء المصريين والهنود، والصينيين، والعبرانيين والإغريق، والرومان.. والرق فى الإسلام وسبل التحرير.

مفتريات وأكاذيب

وفى الباب الثانى عشر، تناول المرحوم محمد أحمد جاد المولى المفتريات التى قام بها الموتورون من المستشرقين، وأعداء الإسلام، تحت عنوان «ادحاض مفتريات بعض المؤلفين على المعصوم سيد المرسلين»، فيرى أن بعض المستشرقين قد حادوا عن الصراط السوى.. فهم دائما يتلمسون ما عساه أن يشين سمعة الرسول ﷺ، ويحاولون أن يلصقوا به المعايب، من غير بحث أو تمحيص!!

قام النبى ﷺ بالدعوة إلى دين الله، وصبر على كفار قريش ومن على شاكلتهم صبر الكريم الحليم الذى يريد لأمته الهداية والصلاح والسعادة والنجاح، والرقى والفلاح، حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع للصبر ولا للمداراة موضوع، فإنه بذل النصح فقوبل بالتعنيف، وأرشد فاستهزئ به، وأنذر فأوذى وقال: اتقوا الله، فقالوا: مجنون، وقال: اعبدوا الله، قالوا: أتجعل الآلهة إلها واحدا؟ وأتى بالمعجزة فقالوا: ساحر، وقرأ عليهم القرآن فقالوا: شاعر فصبر كما أمره الله تعالى بقوله: **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾**.

ولكنه النبى المصلح لا يبغى من وراء دعوته إلا إصلاح ما فسد من أمرهم. وجمع ما تفرق فى شملهم، وهدايتهم إلى أقوم الطرق، بعد أن فسدت عقائدهم، وطمست معالم دينهم.

لقد أرسل أبو بكر رضي الله عنه، أول خلفاء النبى ﷺ أسامة بن زيد على رأس جيش إلى الشام، وقد أوصاه بوصية لم تستطع الدول المتمدينة الآن أن تفعلها. وإليك وصية أبى بكر رضي الله عنه:

«لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقعروا نخلا وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة، ولا بعيرا إلا للأكل. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وبعد، فهؤلاء الذين ينسبون إلى النبى ﷺ هذه المفتريات يقضى قانونهم بقتل من يتجسس للأعداء، وهم مع ذلك يأخذون على المسلمين قتل من نقض عهدهم وناصر أعداءهم، وجاهر بعداوتهم، وبيت الشر لنبيهم، فهم يحرمون على الناس ما أوجبوه على أنفسهم!!

وقد حاول المرحوم محمد أحمد جاد المولى فى كتابه «محمد ﷺ المثل» التصدى لكل الادعاءات الكاذبة، والافتراءات المغرضة، لهؤلاء الموتورين من المستشرقين، وأعداء الإسلام.. وهى نفس الادعاءات والافتراءات الكاذبة التى تتردد هذه الأيام ضمن الحملة الشرسة على الرسول الكريم ﷺ.. وعلى الإسلام.

وينبغى على الدعاة والقراء الاطلاع على هذا الكتاب القيم، الذى يعتمد على المنطق، والتحليل الدقيق لكل أحداث السيرة النبوية الشريفة.

العنوسة
أسبابها ووسائل القضاء عليها

أ. د/ إبراهيم سليمان عيسى

جاء الإسلام ملبياً لكافة الاحتياجات والمطالب الحيوية للإنسان فالله - سبحانه وتعالى - خالق الخلق ويعلم غرائز الإنسان وفسيولوجيته ومتطلبات قيام الحياة، فالإنسان يحتاج إلى الغذاء والكساء وغير ذلك كثير، وتبدأ أولى مشاكل الإنسان باحتياجاته إلى الطعام والشراب ولا يجد شيئاً من ذلك فيبدأ الصراع بين هذا الفرد وما حوله من البشرية ومختلف الكائنات وعندما يبلغ الحلم تنمو صفاته الجنسية الثانوية ولابد من تلبية مطالب الغريزة الجنسية، أو كما يطلقون عليها غريزة بقاء النوع، وإذا لم يجد ما يلبى متطلباته الحيوية من مأكل ومشرب وإشباع للغريزة الجنسية ينهار الإنسان وتتحطم إرادته وبدلاً من البناء والتنمية والحب والوئام واستقرار الفرد وبالتالى استقرار المجتمع والأمن، نجده يتجه إلى التخريب والتخلف والعداوة والبغضاء وعدم الانتماء وبالتالى يتهدد بنيان المجتمع وتتقوض قواعده وأركانه وتسود شريعة الغاب واعتداء القوى على الضعيف وسلبه.

وفى مقدمة هذه المطالب الحيوية للإنسان يأتى مأكل الإنسان ومشربه أولاً، فقد أباح الإسلام من الطعام والشراب كل شىء طيب وحلال. وأوضح القرآن والسنة النبوية أنواع المحرمات بتفصيل دقيق، فحرّم الميتة والدم ولحم الخنزير، وحرَّم شرب الخمر وأنواع المخدرات المختلفة والمتعددة.

التقاليد الغربية والانحرافات الأخلاقية وأنواع الزواج الباطلة ليست حلا لمشكلة العنوسة

الغريزة الجنسية أو غريزة حفظ النوع:

من أقوى الغرائز البشرية، ومعظم الشرور والآثام تأتى من الانحراف بها عن نهج الله سبحانه وتعالى، وقد أكد الإسلام تلبيته لمطالب الغريزة الجنسية وذلك بواسطة عدة تشريعات:

الزواج:

الزواج قد يكون واجباً وقد يكون مستحباً على تفصيل فى كتب الفقه، والإسلام يجعل من الزواج بداية لتكوين الأسرة المسلمة وإشباعاً للغريزة الجنسية، وهناك مئات الكتب والمراجع عن الزواج ومراحله وشروطه وأنه الطريق الأوحد لبناء الأسرة المسلمة وإشباع متطلبات وحل مشاكل الغريزة الجنسية.

الصيام:

إذا تعذر الزواج للمسلم لسبب أو لآخر فقد شرع الصيام ليكون وقاية وحديث الرسول ﷺ مشهور: «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصيام...**» إلى آخر الحديث (رواه البخارى)، والحديث عن الصيام وحكمه وأنواعه المتعددة لا مكان له فى هذا البحث المتواضع.

الوقاية خير من العلاج:

حرَّم الإسلام ومنع كل أنواع الإثارة الجنسية وشرَّع ضبط

الغـرائـز وتـهـذيـب سـلـوك الفـرد والانحراف عاقبته أمراض جنسية وأوبئة لا علاج لها حتى الآن.

فالهدف من تلبية الإسلام لمتطلبات الإنسان الحيوية ومن تحريم بعض المحرمات كما كشف عنها العلم الحديث معروف ويظهر أن الهدف من إباحة الطيبات وتحريم المحرمات على الإنسان هو حماية بدنه ونفسه وعقله ورفع الحرج عنه - وفيما يتعلق بالمجتمع الهدف هو إقامة مجتمع مسلم وسليم وخال من الأمراض والأوبئة والآفات والعيوب البيئية والأخلاقية.

العنوسة فى اللغة:

عَنَسَتْ المرأة تعنُس بالضم، عُنُوساً وعناساً وتأطرت وهى عانس من نسوة عُنُس وعوانس وعَنَّسَت وهى مُعَنِّس، وعَنَّسَتها أهلها حبسوها عن الأزواج قال الأصمعى يقال عُنِّستْ على ما لم يُسَمَّ فاعله فهى مُعَنَّسَة ويقال عَنَسَت بالتخفيف أيضاً.

وفى الحديث **«لا عانس ولا مُفنِّد»** والعانس من الرجال والنساء الذى يبقى زماناً بعد أن يدرك (يبلغ الحلم) ولا يتزوج وأكثر ما يستعمل فى النساء يقال عَنَست المرأة فهى عانس وعُنِّسَت فهى مُعَنَّسَة إذا كبرت وعجزت فى بيت أبويها، وقيل إذا طال مكثها فى منزل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار، هذا إذا لم تتزوج فإن تزوجت مرة لا يقال عَنَسَتْ.

قال الأعشى:

والبيض قد عَنَسَتْ وطال جراؤها
ونشأن فى فتَن وفى أزوادِ

وفى حديث الشعبى سُئل عن الرجل يدخل بالمرأة على أنها بكر فيقول لم أجدها عذراء فقال إن العذرة يذهبها التعنيس والحيضة، وعَنَسَتْ إذا صارت نصفاً ولَمْ تتزوج وعَنَسَتْ لم تتزوج وهى تترقب ذلك.

وقيل العانس فوق المعصر «والمعصر التى دنا حيضها»[1].

من أسباب مشكلة العنوسة:

تتعدد أسباب مشكلة العنوسة وتتنوع تنوعاً كبيراً حتى وصل عدد العوانس إلى تسعة ملايين فى مصر وحدها[2] ويظل فى مقدمة هذه الأسباب ماتعانيه بعض المجتمعات من علل ومن أهم هذه الأسباب:

البطالة والمغالاة فى المهور ومستلزمات الزواج أسباب رئيسية للعنوسة

١ - عدم تطبيق ما جاء به الإسلام فى أمور الخطبة والزواج والعشرة وأحكام الأسرة والأخذ بالوجاهة والمباهاة والتفاخر فى إقامة حفلات الخطبة والزواج وغير ذلك من مستلزمات إتمام عملية الزواج.

٢ - غلاء المهور وعادة تقديم الشبكة وتقديم الهدايا وتعدد المواسم والأعياد الشرعية وغير الشرعية وهى أعياد تبدأ باقتراح من أحد وجوه المجتمع ثم تنتشر فى أوساط المجتمع ويئن منها الشباب حتى يرضى خطيبته أو زوجته كعيد الحب مثلاً مع أن التعاطف والحب هو سمة المجتمع السليم على مدار الأيام كلها.

٣ - البطالة سبب جوهرى للعنوسة والمصدر الرئيسى لها ولقد وصلت البطالة فى المجتمع المصرى إلى ما يزيد عن ١٠٪ معظمهم من خريجى الجامعات والمعاهد العليا التكنولوجية وغيرها من الدبلومات الفنية والزراعية والتجارية.

٤ - الفقر وانتشاره واتساع مساحته وما يترتب عليه من آثار كعدم وجود سكن والأزمة السكنية فى مجتمعنا ظاهرة جلية وواضحة، فالشباب لا يجدون المهور أو ثمن الشبكة أو الهدايا وإذا وجد ذلك أو بعضه وقف سكن العروسين عقبة كئود استعصى حلها فضلا عن مصاريف شراء الجهاز وتأثيث بيت الزوجية حتى ولو كان متواضعا.

٥ - فى شباب القطاع العمالى زادت نسبة تدهور الكثير من

الصناعات التى اشتهرت بها مصر كصناعات الغزل والنسيج ومختلف الصناعات والاتجاه إلى الاقتصاد الحر والخصخصة وحالات المعاش المبكر وغير ذلك كثير مما انعكس أثر ذلك على الشباب وأولياء الأمور والزواج وتكوين الأسر.

٦ - انتشار المخدرات بأنواعها المختلفة وفى مقدمة هذه المخدرات البانجو وغيره ويعود انتشار المخدرات على الشباب بالنكسات والعجز وأحيانا ضياع العقول، والمخدرات تعتبر المدخل الطبيعى لمختلف أنواع الجرائم من سرقة وقتل واغتصاب ورشوة وتزوير وغير ذلك.

> **أباح الإسلام تعدد الزوجات بعيداعن إشباع الأهواء والشهوات وبشروط عادلة**

عواقب انتشار العنوسة: الزنا ومصائبه:

من أهم عواقب انتشار العنوسة وكساد سوق الزواج وعزوف الشباب عن الزواج أو عدم القدرة عليه فى معظم الأحيان انتشار الزنا ومصائبه العديدة مثل مرض الإيدز والزهرى والسيلان.

وسائل القضاء على العنوسة:

إن علاج ظاهرة العنوسة والقضاء عليها يكمن فى نقض أسبابها السابقة ومن وسائل القضاء عليها ما يلى:

١ - تطبيق النهج الإسلامى فى الزواج والخطبة ومايتعلق بها من مشروعات وعدم المغالاة فى المهور فأقلهن مهراً أكثرهن بركة وأن يكون التركيز فى الاختيار على الدين والخلق والأدلة كثيرة على ذلك من كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الكريم.

٢ - أن تكون الشبكة وهدايا الخطوبة جزءاً من جهاز العروسين، وكذلك أن تساهم هدايا الأصدقاء للعروسين، فى ذلك وأن يتم كل ذلك بانتشار العرف الذى يؤصل هذه المسائل.

٣ - حل مشكلة البطالة والأزمة السكنية ومحاولة القضاء على الفقر ومايترتب عليه من آثار ومحاولة أخذ البعد الاجتماعى فى أمور الخصخصة والأسعار وغير ذلك.

٤ - القضاء على المخدرات وتوعية الشباب وسد نوافذ تسربها داخل البلاد وحماية الشباب من الانحراف والضياع والانهيار.

٥ - تنقية برامج الفضائيات والعمل على نشر البرامج الهادفة والواعية والدعوة إلى الاحترام والاحتشام فى ملابس النساء وأزيائهن.

تعدد الزوجات فى معظم الأحيان قضاء على مشكلة العنوسة:

موضوع تعدد الزوجات يشغل بال غالبية المفكرين والمفسرين، وقد اتخذ منه أعداء الإسلام ذريعة للنيل من الإسلام متذرعين بوجوب المساواة بين الرجل والمرأة، وسوف نلقى مزيداً من الضوء حول التعدد الذى نرى فيه حلاً لمشكلة العنوسة والقضاء عليها، وسوف نبحثه من عدة جوانب ليظهر أنه نعمة من الله أحياناً ومن هذه الجوانب:

أولاً - الجانب الاجتماعى والنفسى:

لنبدأ بالواقع الاجتماعى والنفسى المحيط بمسألة التعدد، ولنبحثه من خلال الاحتمالات المتعلقة بهذه المسألة، بشكل مجرد عن الأحكام القرآنية:

* فى المجتمع الإنسانى نرى أن عدد الإناث أكبر من عدد الذكور، فعدد النساء الصالحات للزواج، يزيد على عدد الرجال الصالحين للزواج.

* فترة الإخصاب وما يتعلق بها من فطرة غريزية عند الرجل تمتد فى حياته - بشكل عام - لما بعد سن السبعين عاما، بينما تتوقف هذه الفترة عند المرأة - بشكل عام - فى

سن أقل منه عند الرجل بأكثر من عشرين عاماً.

* أيضاً هناك حالات تكون فيها الزوجة عازفة عن الوظيفة الفطرية بسبب السن، والواقع الذى يفرضه الفارق بين فترتى الإخصاب عند الزوجة والزوج، مع أن الزوج مازال راغباً فى هذه الوظيفة.. وعلى الرغم من ذلك فإن الاثنين لا يريدان الانفصال عن بعضهما.. هذا بالإضافة إلى أن الرجال معرضون للوفاة والأحداث بنسب أكثر منها عند النساء بسبب الحروب وظروف العمل الاجتماعية، وهذا يزيد من ارتفاع نسبة النساء الصالحات للزواج فى المجتمع.

وهذه الحقائق تظهر بوضوح - فى كل مجتمع يحرم التعدد - وهى زيادة فى عدد النساء غير المتزوجات، أو زيادة فى فترة الإخصاب فى حياة الرجل (حوالى عشرين سنة كما سبق) دون أن يقابله فترة إخصاب مقابلة له عند الزوجة، أو مزيداً من الاختلال فى الوظيفة الفطرية، وهذا الواقع الذى يظهره تحريم التعدد فى المجتمع يؤدى إلى الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول: النساء الفائضات اللاتى لم يتزوجن:

وهذا يتفرع عنه:

١ - إما أنهن يكبتن فطرتهن، فلا يعرفن الرجال فى حياتهن. وبالتالى فالخاسر هو المرأة.

٢ - أو أنهن يعرفن الرجال كأخلاء فى الظلام بعيداً عن العلاقة الشرعية الشريفة.. ولما كانت هذه النساء فائضات، أى لا يقابلهن رجال، بسبب كون نسبة النساء أعلى من نسبة الرجال، فإن علاقتهن غير الشريفة مع الرجال إما أن تكون مع رجال متزوجين وبالتالى يوفرن السبب فى خيانة نساء أخريات، وإما مع رجال غير متزوجين، وفى هذه الحالة لن تتغير نسبة الفائض من النساء.. وهكذا نرى أن الخاسر هو المرأة أيضاً لأن زوجها يخونها من خلال علاقته غير الشريفة مع تلك النساء الفائضات.

الاحتمال الثانى: الرجال الذين يوجد عندهم فترة من صلاحيتهم للإخصاب:

لا يقابلها إخصاب عند زوجاتهم، والذين يرغبون فى الوظيفة الفطرية دون أن ترغب زوجاتهم بذلك بسبب فارق امتداد فترة الإخصاب ومايتعلق بها من الوظيفة الفطرية، وهذا الاحتمال يتفرع عنه:

١ - إما أنهم يكبتون فطرتهم، وبالتالى فالخاسر هو الرجل..

٢ - أو أنهم يعرفون النساء الأخريات كخليلات من خلال خيانة زوجاتهم، وبالتالى فالخاسر هو المرأة، لأنها - فى هذه الحالة - يخونها زوجها.. وهذا الاحتمال مستقل عن الاحتمال الأول وإن كانت النتيجة واحدة وهى خيانة الزوجات من قبل أزواجهن، وبالتالى خسارة المرأة.

وفى الحالتين فالمرأة تدفع ثمن خيانة زوجها لها، لأن الخيانة حصلت بسبب كون امرأة من النساء الفائضات لم تكبت فطرتها، وبالتالى كون هذه المرأة الفائضة تجد فى الرجل المتزوج حلا لوظيفتها الفطرية.. بينما فى الحالة الأخرى حصلت خيانة الزوجة بسبب أن الزوج لم يكبت فطرته الفائضة بسبب فارق زمن الإخصاب، وبالتالى فإن هذا الرجل يجد فى النساء الأخريات حلا لوظيفته الفطرية.

٣ - أو أنهم يطلقون زوجاتهم، لاستبدالهن بأُخر، وبالتالى فالخاسر هو المرأة.

وهنا نقول للذين ينادون بمنع التعدد بحجة حماية المرأة.. من الخاسر الأول فيما تنادون به؟ كيف تكون المرأة رابحة من منع التعدد الذى تنادون به والعاقل يعرف هذه الحقيقة دون بذل الكثير من الجهد، فكون نسبة الإناث تزيد على نسبة الذكور يقتضى أن منع التعدد هو ضد مصلحة النساء أولاً، لأنه إذا تم حرمان بعض الرجال من الزواج بزوجة أخرى، ففى المقابل يتم حرمان بعض النساء من الزواج بصفة نهائية.

ومع زيادة النساء عن الرجال أو عجز الرجال عن متطلبات الزواج سينقلب الحال.. فبدلاً من أن يقرع الرجل باب المرأة لتكون زوجة كريمة مع زوجة أخرى، ضمن إطار الأسرة الكريمة، ستقرع المرأة باب الرجل المتزوج - فى حال منع التعدد - ليكون لها خليلا فى الظلام بعيداً عن ساحة صون كرامتها الإنسانية، أو ستكبت فطرتها مدى الحياة.. ولذلك نرى أن من أهم حلول مشكلة العنوسة هو إباحة التعدد المشروط، بحيث تحفظ كرامة المرأة والرجل.

ولابد - حتى تصان كرامة المرأة وتكون إباحة التعدد لصالحها - أن تشرط هذه الإباحة بحصول العدل وبحرية المرأة الكاملة فى الزواج، فإن هى لم ترغب أن تكون زوجة لرجل متزوج بزوجة أخرى، وتختار عدم الزواج، لا أحد يمنعها من تحقيق رغبتها، وبحيث يكون خيارها للزواج من رجل متزوج هو بديل عن خيار عدم الزواج.. والرجل الذى يتزوج بزوجة أخرى، لابد من شروط توضع عليه، تضمن حق زوجاته الأولى والثانية والثالثة والرابعة، دون أن ينقص شيئاً.. حين ذلك فقط يتم وضع أحكام صون كرامة المرأة والرجل والمجتمع بأسره، ويكون قد وضع إطار لمجتمع كريم نظيف خال من الفساد والفاحشة.

ثانياً - الجانب التشريعى:

وبالبحث عن حقيقة الأحكام التى يحملها القرآن الكريم فيما يتعلق بتعدد الزوجات عبر الإبحار فى الدلالات والمعانى التى تحملها الآيتان الكريمتان قوله تعالى:

﴿وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (النساء: ٣).

وقوله تعالى: **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾** (النساء: ١٢٩).

العدل شرط التعدد المباح:

ويجب أن نلاحظ أن العبارة القرآنية التالية مباشرة لآية الشرط والجزاء.. **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾** هى شرط جديد، يلغى عدم تحقيقه مسألة إباحة التعدّد، ويضعها خارج إطار حدود الله تعالى فى كتابه الكريم.. فبعد تحقُّق شروط إباحة التعدّد، لا تكون هذه الإباحة من شرع الله تعالى إلا بتحقُّق العدل بين الزوجات.. وفى حال عدم تحقُّق العدل فإن التعدّد خروج على حدود الله تعالى.. ومع أن الآية القرآنية **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾** تشير إلى الجانب المادّى للعدل الذى يستطيع الإنسان تحقيقه، كما يدلّ السياق القرآنى السابق واللاحق لهذه الآية.. ومع أن الآية القرآنية **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾** تشير إلى الجانب العاطفى المعنوى الخارج عن إطار استطاعة الإنسان، كما يدلّ السياق القرآنى السابق واللاحق لهذه الآية أيضاً.. فإننا نجد - باعتبار العدل هو ذاته فى الآيتين وبالنظر إلى كل آية من منظار الآية الأخرى تجد عمقاً جديداً من الدّلالات والمعانى.

الآية الثانية تقول إن العدل بين النساء هو خارج استطاعة الرجل مهما كان حريصاً، وبالتالى يكون تقدير الآية الأولى - من منظار الآية الثانية - أن من خاف منكم عدم حصول العدل، فعليه بالواحدة فقط، لأن العدل لن تستطيعوا عليه مهما حرصتم.. فعليك أن تعلم يا من جمعت بين أكثر من زوجة أنك خرجت من دائرة العدل بين الزوجات مهما كنت حريصاً على حصول ذلك العدل.. فالآية القرآنية الأولى - وفق هذا التصور فقط - هى ليست شرطاً إنما خبر من الله تعالى بالنسبة لمسألة العدل.

ومن يتوهم أن الآية الثانية **﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾** تنسخ إباحة التعدد المشروط فى الآية الأولى إنما يفرض سلفاً فى خياله - سواء علم بذلك أم لم يعلم - أن الله تعالى لا يعلم حقيقة

الأحكام التى يُنزّلها فى كتابه الكريم، ومدى صلاحيتها للبشر، فكأنه يقول شرع الله تعالى حكم إباحة التعدد واشترط العدل (المادى المستطاع) ثم اكتشف - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا - حقيقة كان يجهلها، هى أن العدل لن يكون، فسحب حكم الإباحة.

وكما قلنا.. حتى لو فرضنا أن العدل المقصود فى الآية الأولى هو ذاته المقصود فى الآية الثانية، فإن ذلك لا يُلغى حكم إباحة التعدد، ويكون تقدير الآية الأولى هو أن التعدد مسألة مباحة ضمن شروطها، ولكن على المتزوج بامرأة ثانية أو أكثر أن يعلم أنه على الرغم من بقائه داخل إطار الحكم المباح المشروع، فإن تحرى العدل والخوف من الخروج من إطاره، يقتضى الزواج بواحدة فقط، ولا يعنى أبداً إلغاء حكم التعدد، فهذه العبارة ليست شرطاً على هذا الوجه وإنما هى خبر من الله تعالى، وتكون شرطاً حينما يفسر العدل فيها بالعدل المادى المستطاع.. ونظير ذلك قوله تعالى فى الآية الكريمة: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾** (النحل: ١٢٦).

فهل خروج المُعَاقب بمثل ما عُوقِب به، من إطار الخير الذى ينتظر الصابرين **﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾** يُلغى إباحة أن يُعَاقِب الإنسان بمثل ما عُوقِب؟..

والعبارة القرآنية **﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾** تبين لنا أن الاستعمال السليم لحكم إباحة التعدد والالتزام بشروطه، هو اقتراب من عدم الجور والظلم بشتى جوانبه.. فكلمة **﴿تعولوا﴾** تعنى تجوروا وتميلوا، ولا تعنى تكثر عيالكم، فلو كان ذلك لكان من الأولى مجىء العبارة القرآنية بالصيغة (ذلك أدنى ألا تعيلوا)..

وحكم إباحة التعدد الذى رأيناه هو حكم إباحة مشروطة - كما نرى فى القرآن الكريم - وليس حكم إيجاب، والمرأة لا تُكره على الزواج من رجل متزوج، أو غير متزوج.. فالمسألة مسألة حكم مباح ضمن شروط تضمن طرفى المعادلة، هدفه وضع إطار سليم لحل المشكلات الناتجة عن طوارئ اجتماعية تؤدى بالنهاية إلى مضاعفات من شأنها خلخلة توازن المجتمع بأسره.

وما نراه من مضاعفات خطيرة لاستعمال حكم إباحة تعدد الزوجات، استعمالاً خاطئا يتشرد من خلاله الأطفال والنساء، ليس من الإسلام فى شىء، والإسلام منه براء، وهو ناتج عن أخذ حكم إباحة التعدد من منظار الأهواء والشهوات، دون الالتفات إلى شروطه.. وهؤلاء يأخذون ببعض الكتاب ويعرضون عن بعض، وبالتالى يجسدون أمثلة سيئة تشيع التمرد على حكم الله تعالى، وتعطى ضعاف الإيمان حيثيات لهذا التمرد، لإيهام ضعاف الإدراك بعدم صلاحية أحكام كتاب الله تعالى.

وهكذا نرى أن أحكام الله تعالى، أحكام مطلقة مجردة عن التاريخ والزمان والمكان، وأن فرض التصورات البشرية على النصوص القرآنية، وعدم النظر إلى النصوص القرآنية إلا من منظار التاريخ والزمان والمكان، يشوه - فى نفوس البشر - صورة الأحكام القرآنية المطلقة العادلة، ويوهم ضعاف الإدراك بخضوع الدلالات القرآنية للأحداث التاريخية المرحلية، ويضع أفق الفكر الإسلامى فى إطار تصورات البشر وأهوائهم، وكما نشهد - بالنسبة لمسألة تعدد الزوجات - من مضاعفات اجتماعية ونفسية، يدفع ثمنها الإنسان أولا وآخراً.. كل ذلك بسبب البعد عن أحكام الإسلام وتشريعاته.

الهوامش:

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة عنس جـ ٥: ٣١٢٨، ٣١٢٩ تحقيق أ. عبد الله على الكبير وآخرين ط. دار المعارف. وانظر القاموس المحيط للفيروز آبادى جـ٢: ٢٣٣ باب السين فصل العين والنون ط. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة. وانظر أساس البلاغة مادة عنس ٣٧١ للزمخشرى بتحقيق أ. عبد الرحيم محمود.

(٢) لا توجد إحصائية دقيقة لعدد العوانس فى المجتمع لأن الناس لا يتحدثون عن وجود عوانس لديهم من عائلاتهم وأسرهم، فهى سر والإحصائية تميل إلى الظن أكثر من الدقة.

مسجد محمد على بالقلعة

تعد مصر من الدول القليلة فى العالم التى تجمع بين جنباتها متحفا لمختلف أنواع الآثار: فرعونية - قبطية - إسلامية.

فإذا تحدثنا عن الآثار الإسلامية نعجز عن وصف جمالها المعمارى الذى يأخذ بالألباب ويقف المرء مشدوها من عظمة البنائين الذين أبدعوا فى البناء وزخرفوا الجدران بآيات من الفن المعمارى وبخطوط عربية غاية فى الجمال سواء كان ذلك على الأسبلة أو المساجد وغيرها، فقاهرة المعز بها أكثر من ثلاثمائة وخمسين أثرا إسلاميا رمم أغلبه عدا النذر اليسير، فقد وضعت الدولة خطة لترميم كافة الآثار الإسلامية باعتبارها كنوزا لا تقدر بثمن، ولم تألو جهدا من أجل عودة الآثار الإسلامية إلى سابق عهدها، ومن هذه الآثار «مسجد محمد على».

وقد حرصت مجلة «منبر الإسلام» على أن تلقى الضوء عليه لأهميته التاريخية.

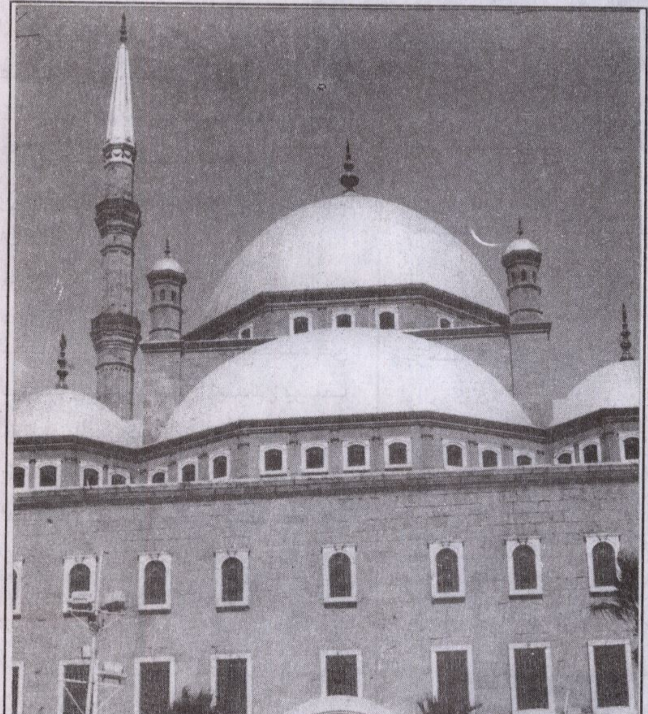

مسجد محمد على بالقلعة

محمد كامل شاهين - تصوير: سيد الزفزاف

د. العربى صبرى عمارة: مسجد محمد على تحفة معمارية رائعة يظهر روائع الفن العثمانى بطريقة لا مثيل لها

يقع هذا المسجد بقلعة الجبل التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى، وشرع محمدعلى فى بنائه سنة ١٢٤٦هـ -١٨٣٠م على أطلال أبنية قديمة من عصر دولة المماليك ولم يكتمل بناؤه فى عصر محمد على نفسه، بل اكتمل فى عهد الخديوى عباس الأول حيث تمت نقوشه وزخارفه وذلك فى عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م.

الميضـأة

وقد بنى هذا المسجد على نسق المساجد العثمانية المشيدة فى استانبول، حيث ذكر المهندس يوسف بوشناق الذى كلف ببناء الجامع بأنه أقامه على نفس طراز مسجد السلطان أحمد فى استانبول «تركيا».

تخطيطه

وعن تخطيط المسجد يقول د. العربى صبرى عمارة - مدرس الآثار بكلية الآثار جامعة القاهرة - يتكون المسجد من مساحة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٤١ مترا، ويغطيها فى الوسط قبة كبيرة قطرها ٢١ مترا، وارتفاعها ٥٢ مترا محمولة على أربعة عقود كبيرة مرتكزة على أربعة أكتاف ضخمة، وحول هذه القبة أربعة أنصاف قباب فى كل جهة نصف قبة وتغطى أركان المسجد أربع قباب صغيرة، وقبة المسجد مكسوة كبقية قباب المسجد بألواح من الرصاص وبأسفلها مثمن تغطيه قبة أخرى صنعت جميعها من الرخام المحفور بزخارف بارزة منفذة بأسلوب الباروك والروكوكو.

ويكسو جدران المسجد من الداخل وكذلك الأكتاف الأربعة بارتفاع ١١,٣٠ متر كسوة من المرمر «الرخام الألبستر» تعلوها نقوش ملونة، وتزدان القباب وأنصاف القبة بزخارف بارزة منقوشة ومذهبة.

وفى الجهة الغربية من المسجد توجد دكة المبلّغ وهى محمولة على أعمدة من الرخام تحمل عقودا من المرمر «الرخام الألبستر» ولها سياج «درابزين» من البرونز ويتوصل إليها من سلمى المئذنتين.

ويشير د. العربى صبرى عمارة إلى أن بالركن الجنوبى الغربى من المسجد يقع قبر محمد على تعلوه تركيبة رخامية مزينة بزخارف وكتابات، ويحيط به مقصورة من البرونز المشغول، أمر بعملها عباس الأول.

المنبر

المنبر الأصلى للمسجد هو المنبر الكبير

تزدان القبة بزخارف بارزة منفذة بأسلوب الباروك والروكوكو

المصنوع من الخشب المزين بزخارف مذهبة، أما المنبر الرخامى الصغير الموجود حاليا إلى يسار المحراب فقد أمر بعمله الملك فاروق سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

الصحن

للمسجد صحن متسع تبلغ مساحته ٥٣×٥٣ مترا يحيط به أربعة أروقة عقودها وأعمدتها من الرخام، ويغطيها قباب مكسوة بألواح من الرصاص.

ويتوسط الصحن ميضأة أعدت للوضوء تغطيها قبة محمولة على ثمانية أعمدة لها رفرف بارز مزين بزخارف بارزة ومذهبة، كما أن باطن القبة مزين بنقوش ملونة ومذهبة تمثل مناظر طبيعية.

ويتوسط الرواق الغربى للصحن برج من النحاس المزخرف بداخله ساعة دقاقة أهداها ملك فرنسا لويس فيليب إلى محمد على سنة ١٨٤٥م.

المآذن

لهذا المسجد مئذنتان وضعتا على جانبى الواجهة الغربية للمسجد ولكل منهما شكلا اسطوانى رشيق وارتفاع كل منهما ٨٢ مترا من الأرض.

الداخل

للمسجد ثلاثة أبواب تؤدى إلى بيت الصلاة أولها فى منتصف الجدار الشمالى، والثانى فى منتصف الجدار الجنوبى، والثالث فى منتصف الجدار الغربى، ويؤدى إلى صحن المسجد أيضا، وللصحن بابان أحدهما فى الجدار الشمالى، والثانى يقابله فى الجدار الجنوبى ويكسو الجزء الأسفل

برج من النحاس به ساعة دقاقة

من وجهاته الرخام، ويقوم أمام وجهتيه الشمالية والجنوبية رواقان اتخذت عقودهما وأعمدتهما من الرخام أيضا، ويغطيهما قباب صغيرة مكسوة بألواح من الرصاص.

ويضيف د. العربى صبرى أن المسجد يضاء بالثريات البللورية الجميلة تحيط بها مشكاوات زجاجية نسقت بأشكال بديعة ورائعة.

هذا هو مسجد محمدعلى بالقلعة الذى يعد واحدا من أشهر مساجد القاهرة والذى يمتاز بروعة بنائه ودقة زخارفه.

يتوسط الرواق الغربى للصحن برج من النحاس المزخرف بداخله ساعة دقاقة أهداها ملك فرنسا لويس فيليب لمحمد على

قطوف لغة الحضارة والعلم

محمد سيد أحمد علىّ الدين

يرجع الاهتمام باللغة العربية إلى إنها وسيلة التعبير عن المعانى والأفكار، وجسر التواصل بين الأجيال، ثم إنها أداة التعليم ونقل الخبرات والثقافات المختلفة، وقبل كل ذلك هى لغة القرآن الكريم به شرفت، وارتبطت بها حضارة المسلمين ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ الشعراء: الآيتان ١٩٤، ١٩٥.

قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ يوسف: آية ٢٠.

وقال: ﴿قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ الزمر: آية ٢٨.

ولأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ تعهد بحفظ كلامه ـ القرآن الكريم ـ فهى باقية ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩.

والحرص على اللغة العربية واجب إنسانى وروحى وقومى تجاه جميع المسلمين وهم يمثلون كتلة لا يستهان بها يمكن أن تلعب دورا حاسما فى الدفاع عن الحضارة الإسلامية.

وقد أثبتت اللغة العربية وعلى مر العصور جدارتها وشهد لها تاريخ الفتح الإسلامى سرعة انتشارها واندماجها فى بيئات لغوية متفاعلة معها فى عصور الازدهار، ونجحت أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة من علوم الفرس والهند واليونان وغيرهم.

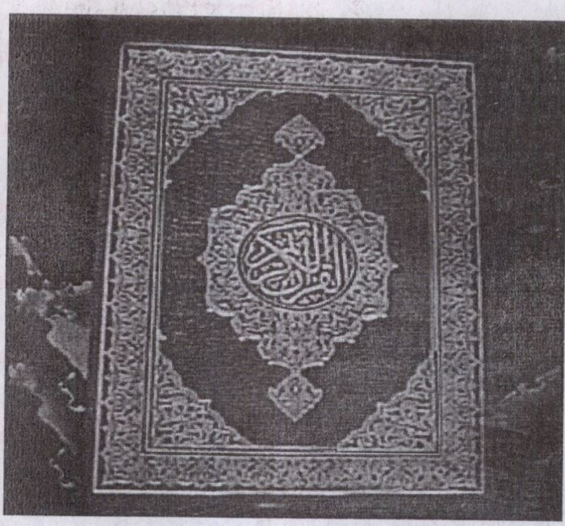

مرونة اللغة العربية

هذه المرونة التامة فى اللغة العربية والقدرة على الاشتقاق والتصريف والمجاز والقلب والإبدال هى التى مكنتها من أن تكون لغة القرآن الكريم المعجز حتى نهاية الزمان وأن تكون لغة الحديث الشريف وما فيهما من معان رفيعة سامية لم يكن للعرب ـ أهل فصاحة زمانهم ـ بها عهد فى الجاهلية وتتحقق مرونة اللغة العربية فى التعبير المعجز لآيات العلم فى القرآن الكريم التى تدعو إلى النظر والتأمل دعوة صريحة عن طريق استشعار وحدانية الخالق وإدراك قدرته وبديع صنعه يقول تعالى: ﴿قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض﴾ يونس: آية ١٠١.

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت* فذكر إنما أنت مذكر﴾ الغاشية: الآيات ١٧ ـ ٢١.

ثم الدعوة إلى الحركة والسعى مع البحث فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت: آية ٢٠.

وكذلك عندما يلفت الخالق تبارك وتعالى أنظار العلماء إلى أوجه حكمته وقدرته فى خلق القمر ومنازله يقول: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ سورة يس: آية ٣٩.

﴿وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ يونس: آية ٥.

من هنا جاء الإعجاز البيانى بلسان العرب أهل البلاغة والفصاحة والبيان، فهى أعم اللغات مادة، وأكثرها تنوعا فى الأساليب وأدقها فى القواعد، جمعت أواصر الصلة بن العرب من قديم فهى لغة تراثية حفظت التراث الإسلامى من الضياع.

ضياع الأمة بين لغتين

وقد تنبه أعداء الأمة الإسلامية إلى أهمية اللغة العربية، وآمنوا بأن تفريغ اللغة من مضامينها فيه إضعاف لها وأن ذلك لابد أن يبدأ من المدرسة والمعهد والتعليم؛ فعمدوا إلى نشر المدارس الأجنبية، ودعم اللغة العامية وإشاعة الاتهامات حول اللغة الفصحى وحول قواعدها ووصفها بأنها لا تستطيع أن تساير التعليم الحديث والتكنولوجيا وعصر المعلومات ورموها بالعقم والشيخوخة وروجو للعامية بهدف إضعاف فهم المسلمين لأحكام دينهم فتضيع أحكام الإسلام - حسب اعتقادهم - حكما بعد حكم وتقطع أواصر الصلة بين أبناء الأمة الواحدة.. وقد فطن إلى هذا الاعتقاد شاعر النيل حافظ إبراهيم فأنشد عن أنين اللغة تحت عنوان: «اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها يقول»:(١).

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات؟
أنا البحر فى أحشائه الدُّر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى؟
فلا تكلونى للزمان فإننى
أخاف عليكم أن تحين وفاتى

ووصف أمير الشعراء أحمد شوقى ضياع الأمة بين لغتين فصحى وعامية يقول:

رب لسان جمع الأقواما
وكان كالجنس لهم قواما
واستمسكت واعتصمت به الفطن
كعروة الملة أو حبل الوطن

اللغة العربية لغة العلم

سجل القرآن الكريم احتفاءه بالعلم والعلماء وسجل التاريخ كفاءة اللغة العربية كفاءة تامة للوفاء بمتطلبات العلم قال تعالى: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط﴾** آل عمران: آية ١٨.

فقد شرف الله سبحانه وتعالى العلماء بأن قرن شهادتهم مع شهادة الحق تبارك وتعالى والملائكة.. وهذا التشريف يدل على أن شهادة العلماء لها وزن خاص لأنها تقوم على أساس وإدراك وفهم لمعنى العدل والقسط.. فهم - العلماء - أقدر الناس على فهم حكمة الخالق تبارك وتعالى ويدعم القرآن هذا المعنى بقوله: **﴿قل هل يستوى الذى يعلمون والذين لا يعلمون﴾** الزمر: آية ٩.

ويقول الحق تبارك وتعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** فاطر: آية ٢٨.

فخشية الحق تبارك وتعالى الحقة قد وقرت فى نفوس العلماء بعد تنبههم إلى إعجاز الخالق تبارك وتعالى فى مخلوقاته وأصول هذا التنوع والوقوف على بعض أسراره. ومازال العلماء يكشفون منها كل يوم جديد.

وما أكثر الآيات الكريمات التى تدعو إلى العلم والتأمل والنظر والبحث والتدبر فى ملكوت السماوات والأرض والدعوة إلى الاستزادة من العلم ضرورة دينية قال تعالى: **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما﴾** طه: آية ١١٤.

وقال تعالى: **﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير﴾** البقرة: آية ١٢٠.

الهامش:

١ - الشاعر: حافظ إبراهيم، الديوان، جـ١، قصور الثقافة - القاهرة ٢٠٠٢م، «أبيات مختارة من قصيدة طويلة».

يرى أن ثقافة الأمة عصية على الذوبان فى ثقافات الآخرين

د. أبو بكر رفيق - نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية ببنجلاديش -:

حمل التجار المسلمون مبادئ الإسلام وقيمه السمحة إلى بنجلاديش فدخل الناس فى دين الله أفواجا

د. أبوبكر رفيق

حاوره: مصطفى إبراهيم خيان

قد تتباعد المسافات وتتعدد المسارات، وقد ترسم الحدود وتقام الحواجز، وقد تتنوع اللغات وتتباين الألسنة وقد تتسع الفجوة بين أقطار الأمة فتصنع الجفوة.

لكن أخوة الإسلام تبقى فى القلب من المسلم وفى العقل والوجدان منه، وقد يسعى البعض إلى شق عصا الأمة وصهرها فى ثقافات الآخرين، لكنها أمة عصية على الذوبان بما أودع الله سرا من أعظم أسرار الحياة، عقيدتها حصن الأمة الحصين.

وإذا كانت وحدة المسلمين هى سر نهضتهم وتقدمهم فإن الواجب يقتضينا أن نفتح نوافذ المعرفة لنطل منها على أقطار الأمة وبلدانها لنرسم لها صورة بالقلم تكون قريبة من الأذهان.

فى هذا الحوار التقينا الدكتور رفيق أبو بكر - نائب رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بشيتاجونج ببنجلاديش - ليطل بنا على هذه الدولة الإسلامية الكبيرة ليرصد قضاياها وهمومها من خلال قضايا وهموم الوطن الأكبر، الأمة الإسلامية..

سلوك التجار المسلمين

■ بنجلاديش إحدى دول العالم الإسلامى التى لا نعرف عنها الكثير.

● تعد بنجلاديش واحدة من أكبر دول العالم الإسلامى من حيث تعداد السكان الذى يربو على ١٥٠ مليون نسمة يشكل المسلمون ٩٠٪ تقريبا من جملة السكان، والبقية تنتمى إلى ديانات أخرى كالبوذية وعبدة الطبائع وغيرهما. تقع شمال ساحل البنغال وتحيط بها الهند من الغرب وتشارك بورما فى الحدود فى الجنوب الشرقى.

دخلها الإسلام منذ القرن الثامن

تساقطت أقنعة العولمة الزائفة فكشفت عن عدم تسامح حضارة الغرب مع الحضارات الأخرى

الهجرى، الثالث عشر الميلادى على يد التجار المسلمين الذين حملوا معهم مبادئ الإسلام القويمة وسماحته وعدله وقيمه السامية وضربوا أروع الأمثلة فى الأمانة والإخلاص فكانوا بمثابة القدوة الحسنة والتعبير الحقيقى الذى عكس صورة الإسلام الناصعة فى أذهان هذه الشعوب فأقبلوا على دين الإسلام أفواجا، وهو ما يعد دليلا قاطعا وحُجة دامغة تدحض فرية الغرب وتدحض مزاعمه التى تدعى انتشار الإسلام بالسيف وهو من مزاعمهم براء.

التعليم الإسلامى

■ **الجامعة الإسلامية العالمية ببنجلاديش.. ما الهدف من إنشائها؟**

● هى جامعة أهلية معترف بها من قبل الحكومة أقيمت فى مدينة شيتاجونج ببنجلاديش لنشر التعليم الإسلامى بشتى فروعه الشرعية والفقهية وعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حيث تضم الجامعة كليات العلوم الشرعية، فضلا عن الكليات العلمية الحديثة فى مرحلتى البكالوريوس والماجستير.

يرأس الجامعة الدكتور عبدالله عمر نصيف، وتضم فى أمانتها الدكتور يوسف القرضاوى والدكتور يوسف جاسم حجى.

والجامعة كما يبدو من اسمها ليست قاصرة على أبناء بنجلاديش وحدهم وإنما تضم دارسين من شتى أنحاء العالم من أبناء المسلمين الذين يحرصون على التزود بعلوم الدين والشريعة فضلا عن العلوم الحديثة فلدينا طلاب من الصين والهند، ولدينا أيضا طلاب أفارقة من الصومال الشقيق التى يبلغ عدد الطلاب المبعوثين منها ٨٥ طالبا. والجامعة بذلك تعد بوتقة تنصهر فيها القوميات المختلفة تحت راية الإسلام وتتحقق على أرضها قيم التآخى والتعاون والتآلف بين أبناء الجاليات المسلمة.

التراجع الحضارى

■ **مايثير الدهشة أن دولة كبيرة بحجم بنجلاديش ليس لها دور ملموس على الساحتين الإسلامية والعالمية.. ترى ما الأسباب من وجهة نظركم؟**

● لو عدنا إلى الماضى لرأينا أن بنجلاديش كانت من الدول المتحضرة الراقية، وبالتالى كان لها وضعها المؤثر بين غيرها من بلدان العالم حتى إن ابن بطوطة قد أفاض فى مدحها ووصفها قائلا: لم أر بلدا أحضر من بنجلاديش.

لكن فى وقتنا الراهن تعرضت البلاد للكثير من الظروف غير المواتية التى جعلتها تتراجع حضاريا وبالتالى تراجعت على مختلف الأصعدة اقتصاديا وتعليميا وسياسيا وبالطبع فإن أحد هذه الظروف والأسباب يعود إلى معاناة بنجلاديش ويلات الاستعمار البغيض الذى نهب ثرواتها وسيطر على مقدراتها وتركها وهى تعانى الفقر والجهل والمرض، وبالتالى فنحن نسعى فى سبيل استعادة دورنا ومكانتنا التى تتناسب وحجم دولتنا.

النهضة التنموية المستهدفة

■ **وما خطتكم لتحقيق هذا الهدف؟**

● لدينا خطة طموح لمواجهة حالة التراجع الحضارى التى أصابت البلاد تقوم على إعداد برامج تنموية متميزة فى جميع المجالات بحيث

تستثمر الإمكانات البشرية الهائلة وانخفاض تكلفة الأيدى العاملة، فضلا عن المقومات الطبيعية للبلاد، فى تحقيق نهضة تنموية حقيقية، لكن المعوق الرئيسى لتقدمنا يكمن فى تدنى نسبة التعليم التى تتراوح بين ٦٠، ٦٥٪، ولذلك فالتعليم هو قضيتنا الأولى للنهوض بالمجتمع باعتباره الأساس المتين لأية بنية حضارية علمية وبالتالى فهو السبيل للفكاك من أسر التخلف والتبعية للغير.

دعاوى باطلة

■ **وما نصيب التعليم الدينى من منظومة التعليم لديكم؟**

● تنتشر المدارس الدينية بداية من المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية فى أنحاء متفرقة من البلاد فضلا عن التعليم الجامعى، حيث يحظى التعليم الدينى بإقبال كبير من أبناء بنجلاديش الذين يتوقون للاستزادة من المعرفة بأمور دينهم وعقيدتهم، كما تحظى اللغة العربية فى هذه المدارس بأهمية خاصة حيث إنها لغة القرآن وهى المدخل الأساسى لفهم الدين على أسس راسخة ومتينة. وهذه المدارس فى مجملها تعتمد على جهود الأفراد والجمعيات الخيرية، وتقوم على المزاوجة بين التعليم الدينى والتعليم العصرى بما يحقق هدفنا المنشود فى اللحاق بركب التقدم دون التخلى عن ثوابتنا الدينية. لكن مما يؤسف له أن بعض الأصوات فى الخارج تعمد لزعزعة العقيدة فى النفوس: فترمى هذه المدارس زورا وبهتانا بما ليس فيها واصفة إياها بأنها تدعم التطرف وهو ما يتنافى مع سمو مقاصدها ونبل أهدافها.

فكر قاصر

■ **قضايا الأمة الإسلامية.. ما مكانها على مائدة الدعاة فى بنجلاديش؟**

● يتصدى رجال الدين للعديد من المشكلات والقضايا الدينية المتعددة بالرأى والحجة المقنعة فى إطار تخصصاتهم، لكن هذه القضايا تستغرقهم فتغيب عنهم النظرة الشاملة والعالمية لقضايا الأمة وما يموج حولها من قضايا مهمة تتطلب إعمال الفكر فيها وإبداء الرأى، لكن يبدو أن اقتصار التعليم على اللغتين العربية والأوردية أدى إلى صعوبة توصيل الرسالة إلى الآخرين.

تنافس إعلامى

■ **وسائل الإعلام فى بنجلاديش. ما تقييمكم لدورها التثقيفى؟**

● هناك العديد من الصحف والمجلات التى تغطى جميع أوجه الحياة فى بنجلاديش فضلا عن الإعلام المسموع والإعلام المرئى الذى يبث من خلال عشر قنوات تليفزيونية، ورغم قناعتنا بتأثير الإعلام المرئى البالغ فى نفوس مشاهديه إلا أن تواضع الإمكانات والتجهيزات الفنية والكوادر المدربة يحد كثيرا من تأثيرها، خاصة فى ظل تعاظم نفوذ القنوات الفضائية الهندية التى تملك إمكانات كبيرة تجعل المنافسة لصالحها، وبالتالى نسعى حثيثا لبناء إعلام قوى قادر على حماية ثقافتنا الإسلامية وقيمنا الحضارية فبقدر تمسكنا بثقافتنا الإسلامية، بقدر ما يكتب لهذه الأمة البقاء فى مواجهة عوامل الفناء التى يسعى البعض ليزرعها فى نفوسنا.

بنك الفقراء

■ **فكرة بنك الفقراء التى تبناها أحد الأثرياء فى بنجلاديش، لاقت استحسان الكثيرين بما قدمته للفقراء.. فما تقييمكم لهذا العمل؟**

● تقوم فكرة البنك على تقديم التمويل اللازم للمشروعات الصغيرة بعد دراسة جدواها الاقتصادية، فى صورة قروض تسدد على أقساط طويلة الأمد ومن خصائصه أنه يقدم قروضه مباشرة لكل محتاج لها دون ضمانات فى مقابل هذه

القروض، وعلى الرغم مما حققه هذا البنك من نتائج طيبة فى دعم الفقراء ماديا، إلا أنه بنك ربوى، تفوق فيه نسبة الفائدة غيره من البنوك الأخرى.

أقنعة العولمة

■ تباينت الآراء حول العولمة ما بين مؤيد أو معارض لها أو متحفظ عليها فكيف ترونها؟

● كنا نأمل أن يتسق باطن العولمة مع ظاهرها لتعود على الإنسانية بالرخاء والخير العميم، وتسود قيم العدل والمساواة والإخاء التعاون بين بنى البشر كما روج لذلك مُنَظروها باعتبارها ثقافة إنسانية تناسب كل الناس وتسهم فى تحقيق التآلف والتعاون بينهم، لكن بمرور الوقت بدأت أقنعتها الزائفة تتساقط حتى كادت أن تكون تغريبا استغل فيه الغرب تفوقه التكنولوجى الكاسح وعدم تسامح حضارته مع الحضارات الأخرى ليفرض الهيمنة فى مجالاتها المختلفة لاسيما بعد الطفرة الهائلة التى تحققت فى تكنولوجيا الاتصال، وهذه الهيمنة - كما أشار إليها الكاتب الأمريكى جيفرى بارنت - تتمثل فى السيطرة على أسواق الرأسمالية العالمية، وفى تملك وإدارة النظام المصرفى العالمى، والقيام بمعظم البحوث والتطوير التقنى المتقدم، وفى السيطرة على المدخل إلى الفضاء ووسائل الاتصال العالمية، كما تتمثل فى التحكم فى التعليم التقنى الفائق.

تزيين القبح

■ إذا كان الأمر كذلك.. فما الآثار المتوقعة لها على عالمنا الإسلامى؟

● لم تعد العولمة تمثل تحديا يواجه المجتمعات النامية فى المجالات الاقتصادية والسياسية والتقنية فحسب، بل تمثل تحديا للفكر الإنسانى على وجه العموم، كذلك تمثل تحديا للتعليم والتربية واللغة والثقافة وهى من أخطر أنواع التحديات التى تمثلها العولمة خاصة بالنسبة لمجتمعاتنا الإسلامية؛ فهى تتسلل إلى ثقافتنا بنعومة وبأساليب خفية تحاول فيها التمويه وتزيين القبيح، كإشاعة ثقافة الجنس المفتوحة الأبواب بطريقة غير شرعية، واستخدام عبارات ملطفة وغير مباشرة لوصف ماهو خبيث ووضعه فى قالب مغاير لحقيقته، وهى كلها صفات ليست مجردة وإنما هى رؤية صادرة عن موقف ثقافى معين، تهدف لسيادة ثقافة عالمية تقبل ولا ترفض وتُصدِّق ولا تُكذب، وترمى لإذابة ثقافة الإسلام فى ثقافات تخالف العقيدة والفطرة السليمة.

وفى مجال التعليم تحاول أن تفرض نظاما تعليميا حياديا لا تدع فيه الفرصة لمن يرغب فى دراسة الإسلام كمنهج كامل متكامل يوجه الحياة ليقودها إلى شاطئ الأمان، بل تريده كدين مثل بقية الأديان والملل وتفريغه من محتواه على أساس كونه طقوسا وعبادات وتترك للفرد حرية ممارسة العبادة أو تركها.

دعوة إلى التسامح

■ هل يعنى ذلك أن نرفض العولمة كلها؟

● الإسلام دين لا يعرف العزلة، ويعترف بالتعددية الثقافية والفكرية، كما يعترف بحق كل أمة فى الدفاع عن خصوصياتها. وهو فى ذات الوقت الذى يؤكد على التمسك بالعقيدة والاعتزاز بها، فإنه يدعو إلى التسامح والتعاون بين أصحاب الأديان. وعلى المسلمين أن يواجهوا تلك الهيمنة بالحكمة والسلوك الحسن دون تعصب ضد الآخرين أو إنكار وجودهم أو التنكر لحقوقهم انطلاقا من تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة وعالميته التى تساير كل تطور فى كل عصر وأوان، وليس فيه ما يخالف الحقائق العلمية الثابتة ولا ما يصادر منهج العقل والفطرة السوية.

خطة توعية دينية للشباب طوال الصيف

٧٥٠ محاضرة وندوة توعية بجميع المحافظات لتحصين الشباب ضد التطرف

أعلن الدكتور محمود حمدى زقزوق زقزوق - وزير الأوقاف - أن الوزارة انتهت من إعداد خطة التوعية الدينية الصيفية للشباب هذا العام.

وصرح د. زقزوق أن الخطة تتضمن تنفيذ ٧٥٠ محاضرة وندوة توعية دينية بمراكز الشباب والنوادى الصيفية بالمدارس بجميع المحافظات بالتنسيق بين مديريات الأوقاف والتربية والتعليم والشباب والرياضة.

وأوضح الوزير أن الخطة تستمر لمدة ثلاثة أشهر تبدأ من أول يوليو حتى نهاية سبتمبر هذا العام وتهدف إلى استثمار طاقات الشباب وتلاميذ المدارس خلال العطلة الصيفية وتبصيرهم بالمفاهيم الدينية الصحيحة وتحصينهم ضد الأفكار المتطرفة وتوعيتهم بخطورتها على مستقبلهم ومستقبل وطنهم.

وقال الوزير إن الوزارة اختارت أكفأ علماء الأزهر والأوقاف المشهود لهم بالكفاءة والاستنارة والقدرة على إقناع الشباب، وتم التنبيه على المديريات الإقليمية بمتابعة تنفيذ هذه الكفاءات بكل دقة والتأكد من تحقيق أهدافها فى توعية الشباب.

وراء الأخبار

منير بيومى - أحمد فاروق

ضم ٥٠١ مسجد أهلى جديد لإشراف وزارة الأوقاف

ضمت وزارة الأوقاف ٥٠١ مسجد أهلى جديد على مستوى الجمهورية لإشراف الوزارة ليصل إجمالى المساجد والزوايا التابعة للوزارة إلى ٩٨ ألف مسجد وزاوية منها ٧٥١١١ مسجدا و٢٢٨٨٩ زاوية.

وصرح الدكتور الوزير محمود حمدى زقزوق بأن المديريات تقوم بصفة مستمرة بحصر المساجد والزوايا الأهلية لضمها إلى الوزارة فى إطار خطتها للانتهاء من ضم جميع المساجد والزوايا مع نهاية العام المالى القادم، كى تحظى المساجد بالرعاية المطلوبة وتوفير الدعاة والعمالة اللازمة لتؤدى دورها كاملا فى أداء الشعائر الدينية وكمنارات للإشعاع الدينى.

وأوضح الوزير أن المساجد التى شملها القرار الأخير موزعة على المحافظات على النحو التالى: ٤ مساجد بالقاهرة، و٣٩ بالمنوفية، و٣٥ بكفر الشيخ، و٦ بالإسكندرية، و٢٣ بالدقهلية، و٣٤ بالإسماعيلية، و١ بشمال سيناء، و٢٢ بالجيزة، و٧ ببنى سويف، و٧٥ بأسيوط، و٣٠ بقنا، و٥ بالبحر الأحمر، و١٨ بالقليوبية، و١٨ بالغربية، و٥٦ بالبحيرة، و١٠ بمرسى مطروح، و٦ بدمياط، و٣ ببورسعيد، و٢ بجنوب سيناء، و٣ بالفيوم، و٣٥ بالمنيا، و٥١ بسوهاج، و١٨ بأسوان.

مصر تشارك فى المسابقة العالمية للقرآن الكريم بالسعودية

وافق الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - على سفر أربعة من شباب مصر المتميزين فى حفظ القرآن الكريم إلى المملكة العربية السعودية لتمثيل مصر فى المسابقة العالمية التاسعة والعشرين فى حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتفسيره والتى تعقد بمكة المكرمة فى الفترة من ٢٩ أكتوبر إلى ٤ نوفمبر وهم:

محمد نبيل أحمد ضيف - الفرع الأول. وعبدالعزيز أحمد عبدالعزيز - الفرع الثانى، وأحمد محمد السيد جعفر - الفرع الثالث، وأحمد محمد محمود أحمد - الفرع الرابع.

كما وافق الوزير على سفر الشيخ أحمد المعصراوى شيخ عموم المقارئ المصرية للمشاركة فى هيئة تحكيم نفس المسابقة.

صرح الوزير بأن الوزارة تحرص سنويا على مشاركة الشباب فى جميع مسابقات القرآن الكريم التى تنظمها الدول العربية والإسلامية بالإضافة للمسابقة العالمية التى تنظمها لشباب العالم الإسلامى خلال شهر رمضان والعديد من المسابقات المحلية طوال العام لتشجيع الشباب على حفظ كتاب الله وتدبر معانيه وتربيتهم على مبادئه وتعاليمه التى تعد دستورا ربانيا ومنهجا قويما يرشدهم إلى كل ما فيه صلاحهم وبناء مستقبلهم ونهضة أوطانهم.

ألف من النشء بالمشروع القومى لمناهضة المخدرات يعرضون أنشطتهم التى تدربوا عليها

فى إطار المشروع القومى لحماية النشء من المخدرات الذى ينفذه المجلس القومى للطفولة والأمومة بالتعاون مع مكتب الأمم المتحدة المعنى بالمخدرات والجريمة والتعاون الإيطالى نظم المجلس لقاء لألف من القيادات الطلابية التى تم تدريبها فى إطار المشروع لعرض الأنشطة الطلابية التى قاموا بتنفيذها فى المدارس من أجل توعية أقرانهم بأخطار المخدرات.

وصرحت السيدة السفيرة مشيرة خطاب - الأمين العام للمجلس - أن برنامج إعداد القيادات الطلابية يمثل نشاطا رسميا فى المدارس بموجب اتفاقية التعاون المشترك التى وقعها المجلس مع وزارة التربية والتعليم فى سبتمبر ٢٠٠٦م، والتى تشكل نقطة تحول مهمة لإرساء قواعد الوقاية داخل أحد أهم الأطراف الفاعلة فى مواجهة مشكلة المخدرات وهى المدرسة لنفتح أمام الطلاب آفاقا واسعة لبناء قدراتهم وثقل مهاراتهم بالشكل الذى يمكنهم من المشاركة الحقيقية، فى مواجهة المشكلات التى تواجههم ومن بينها قضية التعاطى والإدمان.

وأضافت أن مشاركة النشء تعتبر منهجا أساسيا لعمل المجلس فى جميع قضاياه ومنها مجال التوعية بحقوق الإنسان، ومجالات التنمية الأخرى.

جوائز قيمة لأفضل عمل إعلامى عن قانون الطفل

ينظم المجلس القومى للطفولة والأمومة مسابقة لأفضل عمل إعلامى عن قانون الطفل وشرح أبعاده وما جد من تغييرات على المجتمع دعت إلى تطوير القانون بالصورة التى يقترحها المجلس.

صرحت بذلك السيدة السفيرة/ مشيرة خطاب - الأمين العام للمجلس - وقالت إن الهدف من المسابقة هو تشجيع الإعلاميين فى الصحافة والإذاعة والتليفزيون على تحليل قانون الطفل والتعديلات المقترحة عليه بعمق، لرفع وعى المجتمع بالقضايا التى شملتها التعديلات والهدف من كل منها والأسباب التى دعت إليها.

وأضافت أن المجلس سيتلقى صورة من الأعمال الصحفية التى نشرت حول التعديلات أو تسجيلا للأعمال التليفزيونية والإذاعية، وسوف يشكل لجنة لاختيار أفضل الأعمال التى سيرصد لها جوائز قيمة.

مجمع البحوث الإسلامية يوضح رأى الفقهاء فى تعيين المرأة فى منصب القضاء ويحرم الزواج السرى

أصدر مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بيانا حول عدد من الأمور الشرعية الخاصة بالحكم الشرعى فى مسألة تعيين المرأة فى سلك القضاء حيث أكد مجلس المجمع فى بيانه أن رأى الأئمة مالك والشافعى وأحمد بن حنبل أن المرأة لا يجوز أن تتولى وظيفة القضاء.

ويرى الإمام ابن جرير الطبرى، والإمام ابن حزم، أن المرأة يجوز أن تكون قاضيا على الإطلاق فى أى شىء.

ويرى الإمام أبو حنيفة أنه يجوز للمرأة أن تتولى وظيفة القضاء فى القضايا المدنية دون قضايا الحدود والقصاص.

هذه هى أشهر الآراء الشرعية فى مسألة تعيين المرأة فى سلك القضاء، وللمسئولين فى وزارة العدل المصرى، أو لمجلس القضاء الأعلى بمصر، حق اختيار الرأى الذى يرونه مناسبا من بين هذه الآراء الثلاثة، لأنهم أهل الدراية والاختصاص فى هذه المسألة التى اختلف فيها أئمة الفقهاء على حسب اجتهاد كل فريق منهم.

وهذا هو المعروف فى علم أصول الفقه، وفى منهج علاج النوازل والقضايا والأحكام التى اختلفت اجتهادات أهل الثقة من الفقهاء فى حكمها.

كما ناقش مجلس مجمع البحوث الإسلامية فى جلسته أنواع الزواج وأجاب بما يلى:

أولا: الزواج الشرعى الموثق:

وهو الزواج الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية وتمت كتابة عقده فى وثيقة رسمية بواسطة الشخص المختص بذلك قانونا وحكمه أنه زواج صحيح شرعا وقانونا.

ثانيا: الزواج الشرعى الذى لم يوثق:

وهو الزواج الذى استوفى الأركان والشروط الشرعية وهى: زوج وولى وشاهدا عدل وإشهار العقد بأى وسيلة من وسائل الإشهار والصيغة بشرطها مع انتفاء الموانع الشرعية ولكنه لم يسجل عقده فى وثيقة رسمية على النحو المشار إليه فى البند أولا إلا أنه معروف ومشهور بين الأهل والجيران سواء تم عقده شفويا أمام الشهود أم تمت كتابة هذا العقد فى ورقة عرفية بوساطة أحد الزوجين أو غيرهما.

وهو عقد صحيح تترتب عليه جميع الآثار الشرعية إلا أن هذا العقد قد تترتب عليه مشاكل كثيرة تلحق بالمرأة والأولاد ولذلك ننصح بعدم اللجوء إليه.

ثالثا: الزواج السرى:

وهو زواج يتم بين رجل وامرأة سرا بعيدا عن الأهل ويعقد شفويا أو كتابة فى وجود شخصين أو أكثر بصورة سرية حيث يختلس الطرفان المتعة سرا عند وجود فرصة لذلك وبدون علم الولى والأهل والأقارب وبدون توفر الشروط الشرعية وهو حرام لا يصدق عليه وصف الزواج حتى وإن سمى زواجا وإنما هو فى الحقيقة ارتكاب لفاحشة الزنا التى هى من أقبح الفواحش وهو زواج محرم شرعا.

وبذلك يتبين بأن هناك فرقا شاسعا بين الزواج الشرعى الذى لم يوثق والذى اشتهر بين الناس بالزواج العرفى وبين الزواج السرى الذى يخلط بعض الناس بينه وبين الزواج العرفى فالأول حلال والثانى حرام.

وهناك ألوان أخرى يطلق عليها بأنها زواج لكن لا وجود لها فى مصر.

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

حكم الصدقة الجارية من الميراث

السؤال من القارئ/ محمد إبراهيم، من محافظة بنى سويف، يقول:

والدى متوفى وأريد أن أجعل له صدقة جارية، وأنا أعلم أن الصدقة الجارية لابد وأن تكون من مال المتوفى؛ لذا فقد قمت ببيع جزء من ميراث والدى الخاص بى لكى أقوم بعمل الصدقة الجارية، فهل يجوز مثل هذا العمل؟

الجواب: يجوز، وكل الأعمال الصالحة التى يقوم بها الابن لأبيه، أو الإنسان للميت تصل إليه بالدعاء، يعنى أنى أقوم بصدقة جارية حتى وإن كان من مالى الخاص، وأقول: «اللهم هب مثل ثواب هذه الصدقة لفلان» وعندها يأتينى أنا الثواب منها، ويرسل الله لهذا الإنسان مثل هذا الثواب؛ لأن الله واسع كريم لا يمنع أحدا، وهو قادر على أن يعطينى مثل ما أعطى هذا الميت من الثواب الذى وهبته له، ولذلك فالصدقة التى يتركها الإنسان هذه حالة.

أما الصدقة التى يتصدق بها أحدهم عن طريق الدعاء، فهذا شىء آخر، وقد قال النبى ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

فمن الدعاء: أن يدعو الله بأن يعطى مثلما أخذ من الثواب لوالده، أو أمه، أو أحد أقربائه، أو أصدقائه.

والحج يصل ثوابه للميت؛ فهو مشتمل على الصلاة، ومشتمل على الذبح، ومشتمل على الذكر، ومشتمل على الدعاء، ومشتمل على الطهارة، ومشتمل على التصديق، ومشتمل على الصيام، ومشتمل على الحج، هذا إضافة إلى السعى والطواف والوقوف بعرفة، ورمى الجمار.

إذاً: الحج وهو يصل ثوابه؛ تصل كل هذه العبادات وأفعال الخير، سواء كانت العبادة قاصرة على نفسى أو ذاهبة إلى غيرى «خيرى ذاهب لغيرى»، وهذا أحسن عند الله أن تفيد الغير، فكل هذا يصل إلى الميت ﴿**وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾ الحج: آية ٧٧، فالله ـ سبحانه ـ أمرنا دائما أن نفعل الخير.

الهامش:

١ ـ أخرجه مسلم فى صحيحه (٢٦٨٢) والترمذى فى السنن (١٣٧٦).

دفع الزكاة للشباب غير القادر على تكاليف الزواج

السؤال من القارئ/ أ. ح. س، من محافظة الدقهلية، يقول:

هل يجوز دفع الزكاة للشباب غير القادر على تكاليف الزواج؟

الجواب: هذا من أحسن مصارف الزكاة. الزكاة: أن نعطيها لزواج الشباب، لكن الشباب ونحن نساعده على الزواج ينبغى أن يكون عنده مورد رزق؛ لأننا كثيرا جدا نساعد الشباب وهو غير قادر على أن يسيّر البيت بهذا المال، وبهذا الشكل يحرم عليه الزواج؛ لأن الزواج لابد فيه من القدرة على الإنفاق، فنحن لا نريد أن نفتح بيوتا ونقع فى المشكلات بعد أن يأتى طفل أو اثنان، ولا يقدر بعد ذلك أن يكمل المشوار.

نساعد؟ نعم، وندفع هذه المساعدة من الزكاة، وإذا كان هو عنده مورد رزق لا نقول يقينى أن عنده مورد رزق ولكن سنقول متأكد، وواضح جدا أنه فعلا مكتسب وقادر على فتح بيت.

حكم أخذ المرأة المال من زوجها

السؤال من القارئ/ إبراهيم محمد مصطفى من محافظة الشرقية، يقول:

ما موقف أخذ المرأة المال من زوجها؟

الجواب: إذا أخذت المرأة من مال زوجها بالمعروف إن كان شحيحا لا يعطيها ما يكفيها وأولادها؛ فإن هذا يدخل ضمن حدود النفقة، ولا بأس بذلك؛ وذلك لما رواه أبو داود فى السنن عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن هندا أم معاوية جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطينى ما يكفينى وبنى، فهل علىَّ جناح أن آخذ من ماله شيئا؟ قال: **«خذى ما يكفيك وبنيك بالمعروف»**(١).

الهامش:

١ ـ أخرجه أبو داود فى السنن (٣٥٣٢)، والنسائى فى السنن الكبرى (٥٩٨٢)، والبيهقى فى السنن (١٠/ ١٤١).

الوقف للأيتام

السؤال من القارئ/ عمرو عمار محمد من ديرب نجم بمحافظة الشرقية، يقول:

هل يصح أن نؤسس وقفا للأيتام؟

الجواب: هناك أوقاف؛ الحمد لله بدأت فى العمل فى عدة بنوك فى مصر، وتتم بأن أذهب إلى البنك، وأودع مبلغا معينا من المال، والمصارف الإسلامية أصبحت الآن تقبل هذا الوضع وهذا المبلغ يؤتى عائدا، هذا العائد هو الذى نصرفه كثمرة للوقف، نوقف المبلغ فلا يمسه أحد أبدا، ونعين على هذا الوقف ناظرا، يعنى مديرا، يعنى مسئولا عن توصيل الثمرة إلى المستحقين، فحينئذ تذهب للبنك، وتقول له: أنا أريد أن أعمل وقفية، فيعمل لك الإجراءات الخاصة بها، ثم توجه إلى دار أيتام، أو إلى طلبة علم، أو توجه إلى معهد السرطان، أو توجه إلى علاج المرضى هذا أو ذاك إلخ، وتظل هذه الصدقة جارية.

والحمد لله أن وفقنا لفتح باب الوقف؛ لأن الوقف كان له تأثير كبير جدا فى الأمة، وكانت الأمة تحمل على عاتقها قضايا الصحة وقضايا التعليم، فالوقف فى الحقيقة هو والزكاة عمل تكافلى اجتماعى ونهضة قوية كبيرة فى الأمة الإسلامية عبر التاريخ، وهى الفكرة نفسها التى أخذها الغرب بعد ذلك، وأحدثوا بها تطويرا فى صناعتهم وتطويرا فى تعليمهم والقيام أيضا بالخدمات الاجتماعية والصحية.

حكم لبس الرجال الذهب الأبيض والأحجار الكريمة

السؤال من القارئ/ إبراهيم عبد العال، من محافظة الفيوم، يقول:

ما حكم لبس الرجال للماس والأحجار الكريمة والذهب الأبيض وكل ماهو دون الذهب والحرير الطبيعى من معادن نفيسة وأحجار كريمة؟

الجواب: حض الله تبارك وتعالى بنى آدم على أن يتزينوا وأن يكونوا فى صورة حسنة تظهر بها أثر نعمة الله على خلقه، قال تعالى: **﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين* قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** الأعراف: الآيتان ٣١، ٣٢.

وقوله - عز وجل -: **﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾** الضحى: آية ١١.

وفى الحديث الشريف الذى رواه الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**(١).

إلا أن هناك بعض أنواع الثياب والحلى قد أباحه الله تعالى للنساء وحرمه على الرجال وهما الذهب والحرير، فقال - صلوات الله تعالى وتسليماته - **«إن هذين حرام على ذكور أمتى حل لإناثهم»** وأشار إلى الذهب والحرير(٢).

أما ما دون ذلك من الثياب وأنواع المعادن الأخرى المتعددة المتنوعة؛ فإنه يجوز للرجال والنساء استعمالهم على السواء.

وفى واقعة السؤال: فإن الذهب الأبيض إذا كان سبائك مسبوكة من الذهب الأصفر ومادة السيلكون ونحوها؛ فإنه يحرم على الرجال استعماله تختما وغيره؛ إلحاقا له بالذهب، وإذا كان المراد منه معدنا آخر وهو من البلاتين، فإنه جائز استعماله؛ لأنه ليس بذهب حقيقة.

وأما باقى الأنواع المذكورة فى السؤال: من الماس والأحجار الكريمة وكل ما هو دون الذهب والحرير الطبيعى من معادن نفيسة وأحجار كريمة، فإنه يجوز للرجال لبسه والتحلى به ولا حرج فى ذلك شرعا.

الهوامش:

١ - أخرجه الترمذى فى الأدب (٢٨١٩) والحاكم فى المستدرك (١٥٠/٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢ - أخرجه ابن ماجة فى اللباس (٣٥٩٥).

حكم أخذ الأجر على عملية مات من أجريت له

السؤال من القارئ/ أحمد العسال، من محافظة الجيزة، يقول:

أنا طبيب أقوم بإجراء عمليات جراحية، فما حكم الشرع فى أخذ الأجر على عملية أجريت ومات المريض؟

الجواب: نحن عندنا العمل على قسمين: نوع نسميه تحقيق نتيجة، ونوع نسميه بذل مجهود.

فبذل المجهود، مثل: الطبيب يقوم بإجراء عملية فى القلب؛ فيبذل مجهودا مناسبا، نحن نسمى هذا المجهود: مجهود الرجل المعتاد الذى لا يقصر ولا يألو جهدا فى بذل طاقته، وبعد هذا المجهود توفى المريض، فهل يأخذ الطبيب الأجر أم لا؟

هنا لابد أن يأخذ الطبيب أجره.

- لماذا؟

لأن نوع عمل الطبيب من نوع بذل المجهود؛ فهو قد بذل مجهودا تماما مثل رجل أحضرته وقلت له احفر هذه الأرض من أجل بئر، وبعد فترة جئت لأرى هل هناك ماء أم لا. وعندما حضرت لم أجد ماء. فقال الرجل: أريد أجرى، فليس لى ذنب فى عدم استخراج الماء.

فهنا لابد وأن يأخذ هذا العامل أجره.

أما النوع الثانى فهو لتحقيق نتيجة مثل: أن أطلب من خطاط أن يرسم لى خطا، فجاء هذا الخطاط وأخذ (يشخبط) أو يكتب وكلما كتب شيئا وقعت دواة الحبر على الورق، أو قام ابنه الصغير بسكب الدواة على الورق المهم لم يعطنى الخطاط اللوحة، ففى هذه الحال لا يجب على أن أعطيه أجرا؛ لأنه لم يعطِ مجهودا كبيرا طويلا؛ وذلك لأننى لم أحتبسه من أجل إنجاز العمل بل طلبت منه أن يقوم به بحريته. لذا فهذا الطبيب له أن يأخذ أجره دون أى خوف.

مع القراء

ع ا ل ق ر ا ء

إن لم تذنبوا لذهب الله بكم

للدكتور/ محمد عادل عبدالعزيز - أستاذ التاريخ الإسلامى - جامعة الأزهر - فرع الزقازيق.

آدم عليه السلام، هو الإنسان الأول فى القرآن الكريم، وهو المخلوق الذى انحدر من التراب ليكون خليفة فى الأرض، لكن النص القرآنى يكشف أنه بعد أن خلق الله من آدم زوجه حواء، وبدلا من أن يصبح آدم سيدا على كوكب الأرض، يأمره سبحانه أن يسكن هو وزوجه الجنة: **﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾** الأعراف: آية ٩. فما هو السر فى هذا التحول؟!

ونحن حينما نحاول تتبع النصوص القرآنية للتعرف على السبب سرعان ما يكشف لنا القرآن الكريم أن آدم وإن خلقه الله مهيئا للخلافة، إلا أنه يحتاج إلى تأهيل عملى على المنهج الذى يجب أن يتبعه حينما يتولى الخلافة. لذلك بدأت مرحلة الجنة بأن يحرم الله على آدم وزوجه الأكل من شجرة معينة فيأمرهما سبحانه: **﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾** الأعراف: آية ٢٠، وفى نفس الوقت يسمح الله لإبليس أن يغريهما ليأكلا من هذه الشجرة، فيقول سبحانه: **﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين* وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين﴾** الأعراف: الآيتان ٢٠، ٢١.

وتكشف لنا النصوص القرآنية أن محاولات إبليس تكررت حتى استطاع أن يوقع بآدم فيأكل من الشجرة وتتبعه حواء فتأكل هى الأخرى، وهذا ما يؤكد عليه النص الكريم **﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى* فأكلا منها﴾** طه: الآيتان ١٢٠، ١٢١. وبمجرد أن ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما، ويواصل النص القرآنى متابعة الأحداث، فيقول سبحانه: **﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** الأعراف: آية ٢٢، ثم خاطبهما ربهما - عز وجل - بعد هذا العقاب المباشر والخفيف، داخل الجنة: **﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾** الأعراف: آية ٢٢.

وهكذا أصبح آدم فى مفترق الطريق: إما أن يعتذر، وإما أن يركب رأسه ولا يعتذر، لكنه اختار هو وزوجه الرجوع إلى الله، ولم يصرا على المعصية، وهذا ما تكشف عنه سورة الأعراف: **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** الأعراف: آية ٢٣، وهنا فقط استحقا الهبوط إلى الأرض لتولى مهمة الخلافة.

لقد كانت محنة آدم فى الجنة؛ هي محنة الإنسان، كل إنسان علي الأرض، لأن الجميع خلائف الأرض.

لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم وكيف لا يغفر وهو الغفور الرحيم»**.

سلامة العقيدة والحقيقة

للقارئ/ الكريم محمد أحمد الديب فوه - كفر الشيخ

المسلم يؤمن بأن الله - سبحانه وتعالى - هو الواحد الأحد الفرد الصمد رب كل شىء ومليكه ولا معبود بحق سواه، المستحق بالطاعة والعبادة والركوع والسجود هو أهل الثناء ذو الجلال والإكرام، وعندما دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة الله قالوا له ياإبراهيم من ربك؟ فرد عليهم ردا عظيما: **﴿الذى خلقنى فهو يهدين* والذى هو يطعمنى ويسقين* وإذا مرضت فهو يشفين﴾** الشعراء: الآيات ٧٨ - ٨١، انظر إلى هذه الكلمات التى تقوى العقيدة وتجلى الحقيقة، فالله هو الخالق، منه الطعام والشراب والشفاء بيده ، من الذي قال لإبراهيم الموت والحياة ثم البعث والحساب، فقالوا لإبراهيم من ربك؟ سؤال يدل على الجهل والعناد، قال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت، **﴿قال أنا أحيى وأميت﴾** البقرة: آية ٢٥٨، إجابة من الملك تدل أيضا على الجهل، فلا يستطيع الملك أن يحيى ويميت أحدا أو يزيد فى عمر كائن حى، فقال إبراهيم، **﴿فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر﴾** البقرة: آية ٢٥٨، وهذا دليل على عجز البشرية على أن يأتوا أمام قدرة الله ولو اجتمعت البشرية كلها وهذه عقيدة راسخة فى القلب والروح بأن الكل محتاج إلى الله وقوة الحقيقة التى لا تقبل الشك **﴿عمّ يتساءلون* عن النبإ العظيم* الذى هم فيه مختلفون* كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون* ألم نجعل الأرض مهادا* والجبال أوتادا* وخلقناكم أزواجا* وجعلنا نومكم سباتا* وجعلنا الليل لباسا* وجعلنا النهار معاشا﴾** النبأ: الآيات ١ - ١٠، وهكذا.

***

النفس البشرية كما نعلم عاجزة عن الخلق، فهل يستطيع مخلوق أن يخلق ما خلق الله وأنشأه وسواه وأبدع فيه الروح وجعل فيه الخلقة الكاملة التى تفهم وتعقل وتأتى بالمعجزات الكاملة التى يأتى بها الخالق؟ كلا وألف كلا، فالناس جميعا عاجزون مهما كانت قوتهم ومهما تباينت ابداعاتهم فالله وحده - جل جلاله - هو الواحد الأحد الفرد الصمد وهو على كل شىء قدير وهو المستعان على ما تصفون.

ما يجب مراعاته عند تعليم الناس

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - قارئ وكاتب إسلامى.

إن تعليم الناس من القربات العظيمة التى يتعدى نفعها ويعم خيرها وهى حظ للدعاة والمربين من ميراث الأنبياء والمرسلين، وإن الله - جل جلاله - وملائكته وأهل السموات والأراضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير، والتعليم له طرائق وأنواع وله سبل ووسائل، ومنها تصحيح الأخطاء، فالتصحيح من التعليم وهما صنوان لا يفترقان وهناك عدة أمور يجب مراعاتها عند تعليم الناس ومعالجة أخطائهم، لعل من أهمها اعتبار موقع الشخص الذى يقوم بتصحيح الخطأ، فهناك بعض الناس يتقبل منهم مالا يتقبل من غيرهم؛ لأن لهم مكانة ليست لغيرهم ولأن لهم سلطة على المخطئ ليست لغيرهم، ومن أمثلة هذا الأب مع ابنه والمعلم مع تلميذه، فليس صاحب السلطان كمن ليس له سلطان، والإدراك لهذه الفروق يؤدى إلى وضع الأمور فى نصابها، وتقدير الأمور حق قدرها، فلا يؤدى تصحيح الخطأ إلى خطأ أعظم، ومن هذا نستفيد أن على من أتاه الله مكانة وسلطانا أن يسخر ذلك فى تعليم الخلق وأن يدرك أن مسئوليته عظيمة؛ لأن الناس يتقبلون منه أكثر مما يتقبلون من غيره غالبا ويتمكن مما لا يتمكن منه الآخرون، وأن على الآمر الناهى ألا يسئ التقدير فيضع نفسه فى موضع أعلى مما هو عليه ويتصرف بصفات شخصية لا يملكها لأن ذلك يؤدى إلى النفور والصد.

***

إذا لم يراع المعلم هذه الأمور سواء أكان أبا أو معلما أو غيره ممن يقوم بهذا لضاعت الفائدة ووقع القائم بها فى المحظور ولم تثمر النتيجة، بل إنها تؤدى بالعكس إلى طريق مسدود وأظنه طريق الفشل والضياع فى الوقت والجهد وتصبح الأمور غير مرئية من جميع الوجوه.

الحب والإيمان

للقارئ/ شوقي السعيد حامد سليمان - المطرية - دقهلية.

قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا» رواه مسلم، عندما تبحث عن السعادة فلابد أن تبحث عن الحب وللحب قيمة وأهمية عظيمة تحقق السعادة، والحب روح الوجود وصمام الأمن والأمان لبنى الإنسان، والحب معروف من قديم الزمان ولو ساد الحب فى المجتمع ما احتاج إلى قانون أو عدل، والمؤمن هو الذى يستطيع أن يحب كل شىء حوله، وحب الله هو أساس الحب وسر الوجود؛ لأن الله هو واهب الحياة ومصدر الخلق والإيجاد والعدم، ثم حب رسول الله ﷺ حب من القلب، حب مقرون بالعمل والإيمان به، وحب الإنسان لما حوله من طبيعة حيث إنها ليست عدوة للإنسان بل سخرها الله لتكون فى خدمته وتساعده على القيام بجميع مهامه، يجب علينا أن نحب كل شىء حولنا ونجمله ونعتنى به، فنهتم به ونحافظ عليه، عن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم ﷺ راجعا وبدا له جبل أحد قال: **«هذا جبل يحبنا ونحبه»**، وهذا الحب يتمثل فى أجمل صوره فى رسول الله ﷺ الذى أعلن حبه لجبل أحد، وحب الناس لأنهم إخوة فى الدين والوطن وشركاء فى العادات والتقاليد لأننا لآدم وآدم من تراب، وعلينا ألا ننتظر أو ننظر إلى لون أو لغة ولا يحتقر الإنسان أخاه الإنسان، وحب البشر هو شعور المؤمن المسلم نحو كل الناس ليس فيه استعلاء ولا تعصب ولا حقد ولا حسد، إنما هو الشعور بالحب والإخاء لجميع الناس، وبهذا الحب تتوحد قلوب المسلمين، وبهذا نقف أمام أعداء الإسلام بالمرصاد والله هو الهادى إلى سواء السبيل.

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ (١٠)

«إنه لا جدال أن النبى ﷺ يعد مثلا أعلى فى أخلاقه وسلوكه فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه كما جاء فى حديثه هو عن نفسه، ومن هنا جعله الله أسوة حسنة للمسلمين جميعا»

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب** ....

العنوان : ....

....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفون :** ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة العمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٧هـ حتى شعبان ١٤٢٨هـ

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : محمود السنوسى محمود
الهواية : المراسلة وكتابة الشعر
العنوان : قنا ـ نجع حمادى ـ الرئيسية الحساسنة

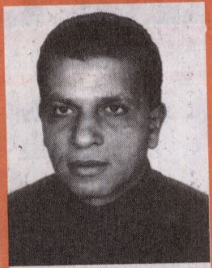

الاسم : عصام عبدالمنعم خميس حسن
الهواية : الاطلاع والقراءة
العنوان : ٩٣ شارع الميدان ـ الجمرك ـ الإسكندرية

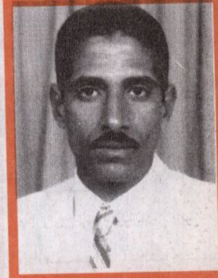

الاسم : عبدالباسط منصور عسكر
الهواية : إلقاء الدروس الدينية
العنوان : الكوم الأخضر ـ حوش عيسى ـ بحيرة

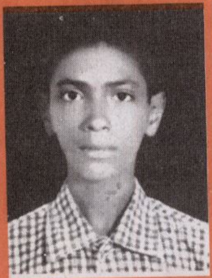

الاسم : مصطفى عاطف عوض محمد
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : مسجد الخضر ـ الباجور ـ المنوفية

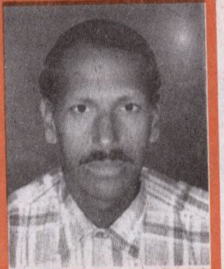

الاسم : عاطف عوض محمد عوض
الهواية : قراءة القرآن والمراسلة
العنوان : مسجد الخضر ـ الباجور ـ المنوفية

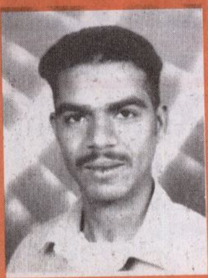

الاسم : محمد السيد محمد أحمد
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : سوهاج ـ جرجا ـ كوم الصعايدة آل عمر

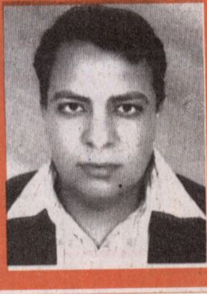

الاسم : راضى محمد النوارجى
الهواية : كتابة الشعر والاطلاع الدينى
العنوان : صان الحجر محافظة الشرقية

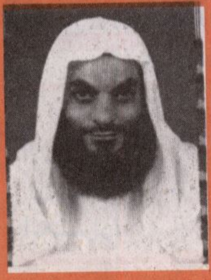

الاسم : ياسر محمد محمد على
الهواية : قراءة القرآن والإطلاع الدينى
العنوان : بورسعيد ـ الزهور ـ عمر بن الخطاب

الاسم : محمد عبدالرءوف السوهاجى
الهواية : قراءة القرآن والابتهالات الدينية
العنوان : سوهاج - مدينة ناصر - ش مدرسة اللغات

الاسم : حذيفة عيد إبراهيم سحالى
الهواية : ممارسة جميع أنواع الرياضة
العنوان: ابيار - كفر الزيات - محافظة الغربية

الاسم : محمد عبدالحفيظ عبده
الهواية : تجويد القرآن الكريم
العنوان : ١٢ شارع الأغلب - باكوس - الإسكندرية

الاسم : محمود مصطفى بيومى
الهواية: القراءة والاطلاع والمراسلة
العنوان : القاهرة - حلوان - المشروع الأمريكى

الاسم : إيهاب أحمد عمران
الهواية : القراءة والاطلاع الدينى
العنوان : دمياط - أولاد حمام

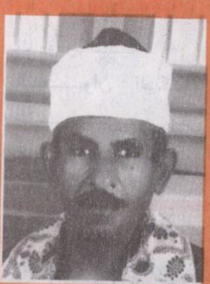

الاسم : صبرى محمد محمود البنا
الهواية : الاطلاع الدينى والخطابة
العنوان : جرجا - الخلافية - نجع السنجق

الاسم : إسلام محمد إسماعيل مصطفى
الهواية : الاطلاع الدينى وقراءة القرآن
العنوان : أوقاف المنوفية

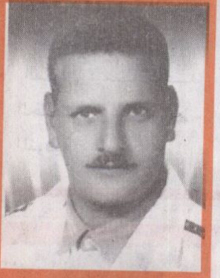

الاسم : خالد عشرى حسين
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : كفر قورص أشمون - محافظة المنوفية

تعارف منبر الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

محتويات العدد

كلمة التحرير		١
حديث الشهر (وحدة المسلمين أهداف ووسائل)	بقلم أ. د. عبدالصبور مرزوق	٢
القرآن الكريم وعلومه		٥
تفسير سورة (القيامة)	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٦
البر فى القرآن الكريم والسنة النبوية	فضيلة الشيخ: فوزى فاضل الزفزاف	١١
الإسراف فى الإنفاق (شعر)	عمر موسى موسى البرعى	١٥
{قل إنما أنا بشر مثلكم}	أ. د. محمود حمدى زقزوق	١٦
صفحة من التاريخ المصرى: فى مسجد ابن طولون جلسة علمية شائقة	أ. د. محمد رجب البيومى	٢٠
من قصص السنة: مع نساء الرسول ﷺ	أ. د. أحمد عمر هاشم	٢٥
التسامح فى الإسلام	أ. د. محمد محمد أبو ليلة	٢٨
الأسرة فى التشريع الإسلامى		٣٧
دعائم العلاقة الزوجية فى الإسلام وأثرها فى تنمية الابتكار لدى الأبناء	أ. د. محمد الدسوقى	٣٨
البصمة الوراثية والأدلة الشرعية	المستشار: حسن حسن منصور	٤٥
المخدرات.. حرب التدمير الشاملة	د. عبدالرحمن عميرة	٥٠
الإنسان بين الخير والشر	إبراهيم حسن زعبل	٥٥
موقف الإسلام من مشاركة المرأة فى العمل العام	فضيلة الشيخ: شوقى عبداللطيف	٥٧
الحضارة والعلوم		٦٥
مكة المكرمة.. عاصمة الثقافة الإسلامية	أ. د. محمد السيد على بلاسى	٦٦
الإسلام والفنون الجميلة (٥)	أ. د. محمد عمارة	٧٢
وقفات مع عالم الحشرات	أ. د. حسنى حمدان الدسوقى	٧٦
ثقافة الوحدة والمسئولية المتبادلة	أ.د. أحمد عبدالرحيم السايح	٨٢
الأوقاف والصيدلة	د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن	٨٥
الإنسان الحكيم تأصيل إسلامى لاسم علمى حديث	أ. د. محمد فتحى فرج بيومى	٨٩
قراءة فى كتاب: حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك	تأليف: أ. د. محمود حمدى زقزوق - عرض: أ. د. أمان محمد عبدالمؤمن قحيف	٩٢
من أعلام المصلحين: أحمد أمين.. وحديث النفس	كمال عبدالوهاب	١٠٠
الدعوة والدعاة		١٠٥
الإسلام والعلم	فضيلة الشيخ: محمد عبدالمجيد زيدان	١٠٦
الدعاء معراج الأولياء فى الشدة والرخاء	د. أحمد عبداللطيف الكلحى	١١٢
محمد ﷺ المثل الكامل	عرض: فتحى الإبيارى	١١٦
العنوسة.. أسبابها ووسائل القضاء عليها	أ. د. إبراهيم سليمان عيسى	١١٩
مسجد محمد على بالقلعة	محمد كامل شاهين	١٢٥
قطوف: (لغة الحضارة والعلم)	محمد سيد أحمد على الدين	١٢٨
حوار مع نائب رئيس الجامعة الإسلامية ببنجلاديش	مصطفى إبراهيم خيان	١٣٠
من وراء الأخبار	منير بيومى	١٣٤
أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة محمد	١٣٧
مع القراء	يحرره: حسين السكرى	١٤٠
بريد التعارف		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها :

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإسبانية والإندونيسية.

- المصحف المعلم ٣٨ شريطًا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطًا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطًا للقراء عبدالباسط عبد الصمد، مصطفى إسماعيل، محمود على البنا، محمود خليل الحصرى

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

- الموسوعة القرآنية
- موسوعة أعلام الفكر الإسلامى
- موسوعة التشريع الإسلامى
- موسوعة علوم الحديث
- موسوعة الحضارة الإسلامية
- موسوعة الفرق والمذاهب فى العالم الإسلامى

أمهات كتب التراث

- سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - الأجزاء من ١ : ١٣
- صفوة السيرة النبوية لابن كثير - الأجزاء من ١ : ٤
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - الأجزاء من ١ : ٦
- مختصر سيرة ابن هشام - الأجزاء ١ ، ٢
- إخلاص الناوى - الأجزاء من ١ : ٤
- صحيح البخارى - الأجزاء من ١ : ١١

وهذه الكتب لكبار العلماء والمحققين فى العالم الإسلامى

- موسوعة الفقه الإسلامى - الأجزاء من ١ : ٢٨
- الفتاوى الإسلامية مجلدة - الأجزاء من ١ : ٢٠
- ينابيع الأحكام فى معرفة الحلال والحرام
- حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين
- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم البيع بالنقد، إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر